

الخط العربي وحدود المصطلح الفني

إسهام

دكتور إدهام محمد حنش

٣



الخط العربي
وحدود المصطلح الفني

دكتور إدهام محمد حنش

دكتور إدهام محمد حنش

من مواليد الموصل بالعراق عام ١٩٦١، حاصل على الدكتوراه في التراث العلمي لفن الخط العربي، أستاذ جامعي، يعمل رئيساً للقسم الأكاديمي بكلية الفنون والعمارة الإسلامية بجامعة البلقاء التطبيقية بالأردن. صدر له عدد من المؤلفات منها: "الخط العربي وإشكالية النقد الفني" (١٩٩٠)، و "الخط العربي ومكانته الفنية المعاصرة" (١٩٩٢)، و "الخط العربي في الموصل" (١٩٩٦)، و "الأنامل والأثر: سيرة فنية للخطاط هاشم البغدادي" (١٩٩٧)، و "الخط العربي في الوثائق العثمانية" (١٩٩٨)، و "الخط العربي وإشكالية المصطلح الفني" (٢٠٠٧)، و "طبقات الخطاطين" (٢٠٠٧).



نهر متعدد... متجدد

مشروع فكري وثقافي وأدبي يهدف إلى الإسهام النوعي في إثراء المحيط الفكري والأدبي والثقافي بإصدارات دورية وبرامج تدريبية وفق رؤية وسطية تدرك الواقع وتستشرف المستقبل



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية

ص. ب: 13 الصفاة، رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

الهاتف: 2487106(00965)- فاكس: 2468134(00965)

البريد الإلكتروني: rawafed@islam.gov.kw

الطبعة الأولى - دولة الكويت
يناير 2008 / محرم 1429

الموقع الإلكتروني للوزارة: www.islam.gov.kw

تم الحفظ والتسجيل بمكتبة الكويت الوطنية
رقم الإيداع: 446 / 2007
ردمك: 978-99906-664-7-2

فهرس المحتويات

- تصدير ٧

- مقدمة ١٥

الفصل الأول ١٧

المصطلح الفني في الخط العربي

الفصل الثاني ٦٥

الخط الكوفي وحدود المصطلح الفني

الفصل الثالث .... [illegible]

الخط البديع المنسوب وحدود المصطلح الفني

الفصل الرابع .... [illegible]

مدرسية الخط العربي وحدود المصطلح الفني

المصادر والمراجع ١٦٧

الأشكال ١٧٧



تصدير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين.

تمثل الفنون الإسلامية روح التفاعل بين عقيدة المسلم ورؤيته وما تجسده عبقريته الفنية في شكل خطوط وزخارف وعمارة وإيقاع وكلمة، وهي ثمرة التواصل بين ذاته وحركة الكون من حوله في مختلف أحواله النفسية والوجدانية.

وقد جاءت تلك الفنون عاكسة للتطورات الحضارية التي عرفتها البيئة الإسلامية، حاملة لآثار التنوع الثقافي والاجتماعي في مختلف أقطار العالم الإسلامي، في شبه الجزيرة العربية وفي مصر والشام وفارس والأندلس وغيرها من بلاد المسلمين.

وظل الاهتمام بالفنون الإسلامية من اختصاص الدوائر الاستشراقية ومحبي تلك الفنون في العالم العربي والإسلامي، إلى أن تم الوعي بضرورة إيجاد مؤسسات قادرة على النهوض بمهام التعريف بتلك الفنون والدعوة إلى صيانتها والاعتناء بها، وتطويرها لتظل مواكبة لمختلف التحولات الاجتماعية والثقافية والفنية.

وقد كان قطاع الشؤون الثقافية بوزارة الأوقاف بدولة الكويت مدركا لأهمية الفنون الإسلامية ودورها في التعريف بخصائص الحضارة الإسلامية وما يكمن خلفها من رؤى وأفكار تكشف عن حيوية الفكر الإسلامي وثقافته، وتبرز عطاء المسلمين المتجدد في ميدان يتواصل حوله الناس من مختلف العقائد والأديان والأجناس ليكتشفوا فيه جوانب إنسانية تمنحهم القدرة على التوازن في الرؤية وإطلاق الأحكام، وتعطيهم فرصا أكثر للتواصل والحوار الحضاري بعيدا عن لغة الإقصاء والتهميش والتجاهل .

فبادر إلى إنشاء «مركز الكويت للفنون الإسلامية» بمسجد الدولة الكبير، ووضع له برنامجا حافلا بالغايات التعريفية بالفنون الإسلامية وتبيئتها داخل الفضاء الثقافي والاجتماعي الكويتي،

واتخذ لذلك فعاليات عديدة، منها إنجازه للمؤتمر والمعرض السنويين للفنون الإسلامية الذي أضحى تقليدا سنويا يؤمه العديد من رواد الفنون والمؤسسات المهتمة وعموم المثقفين والجمهور، ومنها المعارض السنوية للفنون الإسلامية، ومنها المسابقات العديدة للخط العربي للكبار والأطفال، وذلك كله من أجل إبراز أهمية تلك الفنون في تهذيب الذوق وتنمية المواهب وتشكيل الرؤية الاعتدالية المتوازنة للوجود والحياة والمجتمع، وتهيئة الفضاء المناسب للتواصل مع المختصين وذوي الخبرة والمهتمين بالفنون الإسلامية.

وتساوقا مع تلك الأهداف، فإن قطاع الشؤون الثقافية يفرد العدد الثالث من إصدارات «إسهام»، ضمن مشروع «روافد» الفكري والثقافي والأدبي، لفن الخط العربي، وذلك بنشر كتاب: «الخط العربي وحدود المصطلح الفني» للباحث المتخصص الدكتور إدهام محمد حنش.

لقد غلب على ساحة الفنون الإسلامية التعامل مع فن الخط باعتباره ممارسة تطبيقية تكشف عن جماليات الخط العربي وثرائه التشكيلي من خلال الإمكانات العديدة التي تتيحها أنواع الخط العربي المعروفة، مع تلويناتها المحلية بالمشرق والمغرب والأندلس وإيران...

لكن هذه الصورة المهيمنة لا ينبغي أن توقع في الغفلة عن حقيقة جوهرية، وهي أن الاشتغال بالخط العربي يتجاوز حدود الممارسة التطبيقية ليشكل علما له أسسه النظرية ومصطلحاته العلمية ومناهج دراسته الموزعة بين المنهج التاريخي والمنهج الوصفي والمنهجي المقارناتي...

ومعلوم أن فن الخط ليس ممارسة فنية فقط، بل هو فن له أصوله وضوابطه، ومصطلحاته ومفاهيمه، وله تاريخ طويل من الإبداع والتجديد والتطوير، ولابد أن يكون المطلع على اللوحات الفنية

الخطية متشبعا بثقافة معرفية تغذي ثقافته البصرية وتوجهها نحو القبض على الدلالات العميقة للعمل الفني، وإلا سيبقى تأمله في اللوحة انطباعيا جملة وتفصيلا.

ومن ثم، فإن الإقدام على نشر هذا الكتاب هو دعوة إلى أن ترافق الممارسة الفنية الخطية ثقافة معرفية تحدد المفاهيم وتجلي أبعاد المصطلحات، وتزيل التداخل والاضطراب في عملية الفهم والتلقي في ميدان الخط العربي.

وإذا كانت الدراسات الهادفة إلى إلقاء ضوء الاهتمام والمعالجة على هذا الجانب نادرة وعزيزة، فإن كتاب «الخط العربي وحدود المصطلح الفني» للدكتور إدهام محمد حنش، يأتي ليكون لبنة منهجية في هذا البناء النظري المتكامل لعلم الخط العربي. ولعل هذه الغاية هي التي حكمت بناء فصوله ومباحثه، فجاءت عبارة عن « حفريات» مصطلحية تفسيرية في تراث الخط العربي، ممثلا في مصنفات رواده، لاستخلاص بنية متكاملة من المفاهيم والمصطلحات الفنية، وتحديد دلالاتها، نشأة وتطورا، وإبراز الخصائص المميزة لكل اتجاه تشكيلي أو مدرسة فنية.

وقد وفق الكاتب في هذا الاتجاه، فجاء بحثه متكاملا من حيث تناوله لأهم المصطلحات الفنية في ميدان الخط العربي، متماسكا من حيث فصوله، مدعوما بمرجعية متخصصة تكشف عن إحاطة الكاتب بموضوعه إحاطة معرفية ومنهجية دقيقة.

والأمل معقود على أن يكون البحث لبنة في بناء متكامل رفع قواعده قطاع الشؤون الثقافية، تعريفا بمختلف مجالات الثقافة الإسلامية، وتحفيزا على رعايتها، وسعيا إلى إحداث حركة فكرية مسهمة في تطويرها وفعاليتها.

ويسعد قطاع الشؤون الثقافية بوزارة الأوقاف والشؤون

الإسلامية بدولة الكويت أن يقدم هذا الكتاب إلى القارئ ليسهم في تحقيق الغايات الآتية:

- التذكير بأهمية الفنون في الثقافة الإسلامية.

- إبراز الجهود المنهجية الرامية إلى التأصيل العلمي والمصطلحي لمفردات الفنون الإسلامية، بما فيها الخط العربي.

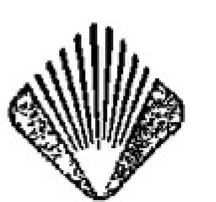
- إبراز دور قطاع الشؤون الثقافية في رعاية الفنون الإسلامية، و«تبيئة» الاهتمام بها داخل المجتمع الكويتي وسائر المجتمعات العربية والإسلامية.

إن الفنون الإسلامية، من خط وزخرفة وعمارة وغيرها..، تمثل ميدانا خصبا للتواصل الحضاري بين الشعوب والحضارات، وهي نافذة لتطلع الأمم الأخرى، من خلالها، على عطاء الحضارة الإسلامية في مستوى الجماليات والقيم الفنية، وبقدر ما يكون الإسهام فعالا في هذا الاتجاه، تكون المؤسسات الإسلامية المهتمة بالشأن الثقافي قد ضمنت بناء جسر للتواصل الثقافي والحوار الحضاري مع غيرها من المؤسسات والحضارات، وفي ذلك رسم لمساحات جديدة وآفاق رحبة محتاجة إلى من يرتادها من أهل الاختصاص والخبرة إبلاغا لرسالة الإسلام، ورسما لملامح حضارته الإنسانية.

وعلى الله قصد السبيل...

* قال الإمام إسماعيل المزني (ت ٢٦٤ هـ / ٨٧٨ م)، وهو من تلاميذ الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م): قرأت كتاب (الرسالة)، وهو من تأليف الإمام الشافعي، على الإمام الشافعي، نفسه، ثمانين مرة، فما من مرة إلا" وكان (الشافعي) يقف على خطأ .. فقال الشافعي: هيه !! أي حسبك وآكفف.. أبى الله أن يكون كتابٌ صحيحاً إلا" كتابه.

* كتب القاضي الفاضل (ت ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م) وزير صلاح الدين الأيوبي الى العماد الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م)، وكان الإثنان من أئمة الكتاب في عصرهما، كتاباً منه: إنه قد وقع لي شيء، وما أدري أوقع لك أم لا، وها أنا أخبرك به، ذلك: إني رأيت انه لايكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.



مقدمة

تصنّف المعرفة العربية الإسلامية دراسة (الخط العربي) تصنيفات علمية ومنهجية عديدة: لغوية وقرائية وتاريخية وفنية وغيرها.. أخذت مكاناً خاصاً في دوحات شجرة هذه المعرفة، تحت عنوان رئيس أسماه المصنفون العرب والمسلمون: (العلوم الخطية).

وإذ تتراوح هذه العلوم الخطية العربية، بحسب بعض هؤلاء المصنفين، بين كيفيات الصناعة والإملاء والآداب في مجالات الخط العربي المختلفة.. فإن الذي تجب الاشارة اليه هنا، وبالضرورة العلمية والمنهجية، هو أن هذه المعرفة العربية الاسلامية قد عنيت أيضاً، بشكل خاص ومميز، بدراسة (الخط العربي) دراسة جمالية / فنية تنطلق من (حقيقة الخط) المتمثلة في كونه صورة أو شكلاً فحسب، وتهدف الى تأسيس ما وصفه بعض هؤلاء المصنفين المعرفيين أنفسهم بـ "علم تحسينه، وتحريره، وتزيينه"، وهو العلم الذي يغلب على تسميته اليوم: (فن الخط) أو (الخطاطة)..

ويقصد بهذا المصطلح: (الكتابة الخطية . لا الإنشائية . العربية) على وجه الحصر المعرفي والتدقيق العلمي، بقصد المنجاة، ربما، من التعميم الدلالي الذي قد يأخذه مفهوم (علم الكتابة العربية) الذي يتضمن كل تلك العلوم الخطية المتعلقة باللغة والقراءات القرآنية وفن الخط وغير ذلك، على غرار التعميم الذي يأخذه العلم العام والحديث للغة Linguistics في استيعابه لعلوم الكتابة والصوت والصرف والنحو والمعنى والدلالة وغيرذلك مما يتعلق باللغة الطبيعية ونشاطها الإنساني الصناعي.

وإذا ما حاولنا استبيان المنطلقات والأسس والشروط العلمية والمنهجية للبحث في مثل هذا المجال.. فلعل أفضل الدراسات التي تتعلق بفن الخط عموماً، وفن الخط العربي خصوصاً، وأدقها علميةً.. هي تلك الدراسات التي تنطلق من مفهوم واضح ومحدد للـ(الخط).. ذلك لأنه مفهوم منشطر الدلالة، متعدد المعاني والاتجاهات التي

تفتـح طريق البحث صوب أكثر مـن مجال معرفي، وقد تحدث بينها تداخلات معرفيـة تؤدي إلى تجاذب البحث لدراسـته بين أكثر من مجال، كما هو حاصل في اغلب دراسات الخط العربي، في تجاذبها بين المجالين المعرفيين: اللغة والفـن. ولا شـك في أهمية اعتماد هذه الدراسات منهجاً علمياً مناسباً، لإتمام الفائدة وضمان النتيجة.

وإذا كان بالإمكان، في هذا السـياق، القول بان الدراسة العلمية لـ (الخط) تنطلق، مفهومياً، من كونٍ الخط Script هو شـكل أو صورة الكتابة Writing .. وتلتزم، منهجياً، المنهج المورفولوجي Morphology الذي يعنى، أساساً، بدراسة الشكل Form .. فإن ما يمكن قوله، في السـياق ذاتـه، هو: أن البحث في المصطلح، بوصفه العلامة الإسمية والمحتـوى الدلالي للموضوع، يصب فـي.. أو يتواصل مع البحث في النظرية المعرفية، بشكل مباشر ومستقيم، إذاً لم نقل بأن هذا البحث المصطلحي هو البحث المعرفي نفسـه تمامـاً .. أي: يمكن القول، في تواصل هذا السياق، بأن دراسة المصطلح الفني للخط العربي يصب فـي صلب النظرية الجماليـة لفن الخط العربـي، بوصفها عنصراً عضوياً أصيلاً في المعرفة الخطية العربية العامة.

ولاشـك فـي أن الحدود اللغويـة والمعرفية لهـذا المصطلح تمثل الأساس المنهجي الأهم لدراسـة نظريته الجمالية والفنية والدلالية، ولذلك سـعى جهدنـا البحثـي المتواضع هنـا الى مقاربـة وبعض موضوعـات الخط العربي الإشـكالية عبر هـذه الرؤية وهذا المنهج لتأصيل هذه الموضوعات على أسسـها الحقانيـة الأولى من المعرفة العربية الإسلامية.

وكانت موضوعات الأصل التأريخي للخط العربي ونشـأته الفنية والوظيفية، وما رافق تطوره في هذا السـياق من الصيرورة المعرفية النوعية لهذا الخط على أصعدة القيمة والفن والوظيفة، وما نتج عن ذلك كله من إشـكاليات مفهومية أضرت معرفيـاً بأصالة هذا الفن

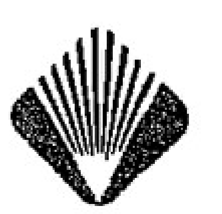
العربي الإســلامي وحيويته الإبداعية الخالصــة.. هـي الموضوعات الرئيســة لهذا الكتاب الذي يمكن اعتباره مراجعة نقدية - معرفية، تقوم، منهجياً، على الاســتقراء والدراسة والتحليل، وتعمل، وظيفياً، على حـل إشــكاليات هذا المصطلح الفنــي المفهومية من خلال بيان حدوده المعرفية التي تؤسس للإطار المعرفي العام لفن الخط العربي، وتهــدف الى تأصيل نظرياته التأريخية والجمالية والفنية والوظيفية والدلالية.

وحاولنــا، عبر صفحــات هذا الكتاب، تلمس هــذه الموضوعات كلها، بشــكل منتخب، في فقـه المصطلــح الفني للخط العربي، بوجه عــام، ومرجعيته المعرفية لبيان طبيعة وحدود مصطلحات أساســية ورئيســة في المعرفــة الخطية العربية مثل: الخــط الكوفي، والخط المنسوب، والمدرسية/الأسلوبية الخطية، والإبداعية الفنية التي تميز الخطاطين عن سواهم من أهل الخط والكتابة العربية.

وختاماً، يمكن أن نقول بأن هذا الكتاب حاول الجمع بين تأريخ الخط العربي وفنـه، في منهج وسـط بين التحليل والتركيب على نحو تتحقق فيه أصول البحث العلمي الرصين، بدرجة منهجية محمودة.

الدكتور

إدهام محمد حنش



الفصل الأول

المصطلح الفني
في
الخط العربي

فقه المصطلح الفني
في الخط العربي

١ - مقدمة:

على الرغم من المساحة المعرفية، الواسعة نسبياً، التي أخذتها موضوعات (الخط العربي) اللغوية، والتاريخية، والآثارية، والوظيفية، وغيرها في الدراسات العربية والأجنبية المتعلقة، بشكل مباشر أو غير مباشر، بهذا الخط، لم تعنَ أي من هذه الدراسات بموضوع (المصطلح الفني في الخط العربي) عناية خاصة ومقصودة.

وإذا كانت مثل هذه العناية قد توفرت في بعض هذه الدراسات، فلم تكن إلا عناية عارضة قليلة في حواشي موضوعاتها اللغوية، والتاريخية، والآثارية، والوظيفية، والفنية.. وفي هوامشها، دون متونها التي لم يكن هذا المصطلح فيها البتة موضوعاً رئيساً من موضوعاتها.

ولذا، فقد ظل هذا (المصطلح الفني) بعيداً عن البحث الجاد والوافي.

ونحاول، في هذا البحث المتواضع، تلمس الطريق إلى فقه المصطلح الفني في الخط العربي عبر منهج استقرائي - نقدي يحاول أن يستطلع كل معلومة عن الموضوع، ويوظفها في بناء رؤية معرفية كلية ومتكاملة عنه، بقصد رسم حدود هذا الموضوع العامة، دون تفاصيله العلمية الدقيقة التي تقوم على شرح (ألفاظ / أسماء / مصطلحات) هذا الموضوع، ليظل هذا البحث المتواضع هادفاً إلى الإحاطة، ليس أكثر، بموضوع المصطلح الفني الخاص بهذا الخط، وأهميته، ومكانته في المعرفة الخطية بخاصة، والمعرفة العربية الإسلامية بعامة.

٢ – تحديدات أساسية:

يمكــن القول إنَّ أغلب جهود البحث الحديثــة والمعاصرة في (فن الخــط العربــي)، يتجاوز تحديد مفهــوم هذا (الخــط) الى مفهوم (الكتابــة) منطلقاً لدراســته.. أو ان بعض هذه الجهود البحثية تنحو – علــى الاقل – منحى التداخل بين مفهومــي (الكتابة) و (الخط) في عملهــا الذي يفترض أن يكون، مــن الناحية العلمية، ذا رؤية واضحة ومنهج محدد في دراســة كل مــن (الكتابة) و (الخط).

ولعل هــذا التجاوز أو التداخل كان ناشــئاً مــن الاعتقاد بصحة توصيف (الكتابة) بأنها الحقل أو المجال المعرفي الأوسع لـ (الخط).. يحده في تعريفه، ويتضمنه في مفهومه، ويستوعبه في دراسته.

ولكن هذا التوصيف لا يمنع دراسة (الخط) من الوقوع، عادة، في ملابســات الخروج المنهجي والمعرفي عن حقل أو مجال الاختصاص الادق الخــاص بــه، على الرغم مــن أن الركون البحثــي إلى علاقة (الخــط) الطبيعية والمتطورة بـ (الكتابة) هو الأســاس الاول لتحديد مفهوم (الخط) الذي ينطلق من رؤية دقيقة له تســتند إلى ما أسماه البعض: (حقيقة الخط)[1] أو (نفس الخط)[2].. وليس إلى أي شيء آخر من الخط أو مما له علاقة به كالكتابة وغيرها، وتؤســس على هذا المفهوم، فــي قاعدة منهجية أصيلة، (المصطلح) المعرفي النوعي لهذا (الخط).

٢ - ١: مفهوم الكتابة:

ولكن هــذا لايمنع أو يغني، بأي حال من الأحوال، عن بســط معنى (الكتابــة) والتعريف بمفهومها عند دراســة (الخــط)، ليس لكونها أصــلا لغوياً ومعرفياً لل(الخط)، فحسب، بل ولأن ثمة علاقة ترادف لغــوي ودلالي جوهرية بين الإثنين، تجمعهمــا معاً.. وتميزهما بعضاً عن بعض، في الوقت نفسه.

فالمعنـــى اللغوي العام لـ (كتابة – المصدر الأســـاس للفعل الثلاثي: كَتَبَ) يتوفر أصـلاً على معنى الخط ضمن ما يتوفر عليه، فعل (كتب) اللغوي، ومشـــتقاته الصرفية العديدة مـــن الأفعال (كاتب / تكاتب / اكتتب / اســـتكتب).. ومن الأسماء (كتاب / كاتب / اكتتاب / كتائب / مكتـــب / مكتبة / مكتوب) من المعاني اللغوية التي كانت قد اخذت مكانها في الاسلوبية العربية، وما تزال تتواصل وتنمو إلى اليوم.. حتى انـــه لا يكاد معجم لغوي واحـد – قديمـــاً كان ام حديثاً أو معاصراً – ان يخلـو بالضرورة من مادة الـــ (كتابة) ومعانيهـــا العديدة هذه. وقد أحاط احـــدث هذه المعاجم اللغوية العربيـــة المعاصرة الرصينة والمســـؤولة، وهو(المعجم العربي الأساسي)[٣] الذي اعدته جماعة من كبـــار اللغويين العرب المعاصرين بتكليـــف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلـــوم، بأغلب المعاني الحية التي كانـــت المعاجم كلها قد احتوتها، فضلاً عن إحاطته بالتطور المعنوي والدلالي للبنى الصرفية المستحدثة لـ (كتب)، فعلية واسمية، حتى الوقت الحاضر.

ولعل من أهم هذه المعاني اللغوية: النســـخ / التأليف / المراسلة / العقد / التسجيل / القضاء / الغرض / الجمع / التهيئة / المشاركة / التبرع / المســـاهمة / الانتســـاخ / الإملاء / الحرفة / الوظيفة / المؤسسة / الآلة / وغيرها.

ولاشـــك في أن هذه المعاني اللغوية هـي شرط من شروط التعريف بـــ (الكتابة) وركـــن من اركان مفهومها اللغوي العـــام الذي لا يختلف فيه التصور المعرفي العربي الاســـلامي عن الرأي العلمي المعاصر[٤] في كون (الكتابة) مظهراً بصرياً من مظاهر اللغة، وظيفته الاســـاس: تمثيل ألفاظها، والتعبير عن معانيها، بأشكال رمزية، تفيد الاستدلال على الاشياء في الوجود.

ويتوفـــر التراث المعرفي (اللغوي / الدلالـــي) العربي على مفاهيم أخرى تـرادف مفهوم (الكتابة) البصري – الرمزي، في معناه وطبيعته ووظيفته.

ولعل من أهم هذه المفاهيم[5]: (الكتاب)، و(الهجاء)، و(القلم)، و(الزبر)، و(الرقم)، و(السطر)، و(الرسم)، و(النقش)، و(التصوير)، و(الإملاء)، و(النسخ)، و(السِفر)، و(التدوين)، و(التحرير)، فضلاً عن مفهوم (الخط).

لكن ما تجب الإشارة إليه هنا هو أن هذه /المفاهيم المتصلة دلالياً بمفهوم (الكتابة) الرئيس، وتنضوي تحته، هي أدق منه معنى.. وأكثر خصوصية، في الطبيعة الصورية، وفي الوظيفة التعبيرية البصرية.

٢ - ٢: مفهوم الخط:

يقترن مفهوم (الخط) اقتراناً شديداً بمفهوم (الكتابة) في المعنى وفي الاستخدام، حتى ليبدو المفهومان وكأنهما شيء واحد، لما بينهما من العلاقة اللغوية والدلالية الخاصة والقوية التي تستند إلى كون الأول من معاني الآخر في العرف اللغوي الذي نصت عليه المعاجم بالذات.

ولكن إنعام النظر في المأثور العربي: الأدبي، والديني، والوظيفي، المتعلق بهذين المفهومين، يكشف عن وجود تباين دلالي دقيق وواضح بينهما، يتمثل في ما يمكن أن نسميه (عمومية الكتابة) و(خصوصية الخط) في التمثيل البصري – الرمزي للفظ أو المعنى بخاصة، واللغة بعامة.

من هنا، تبدو (الكتابة) عملية رسم للفظ /المعنى، وتعييناً مكانياً منظوراً له. وربما لذلك عمد العرب الى تمييز أداء (الكتابة) واثرها بالصوت والصورة، فأطلقوا على (صوت الكتابة) اسم: (النميم)[6]، وعدوا (الخط) إسماً أو مصطلحاً لـ (صورة الكتابة)[7] أو (مصور المعاني)[8].

وتؤكد المصادر العربية: اللغوية والأدبية والتاريخية والفلسفية، على أن (الخط صورة)[9] و"هندسة صعبة"[10]، ليس من خلال ما

تعرضه من آراء وشـــروح وتطبيقات كما في بعض رســـائل هذا الفن ومؤلفاته الأولى، مثل:

* رســـالة ابن مقلة (أبوعلي محمد، ت ٣٢٨ هـ / ٩٤٠م) "في علم الخط والقلم"[١١]..

* ورسالة ابن الصائغ (عبد الرحمن بن يوسف، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١م) الموسومة بـ "تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب"[١٢]..

* ورسالة الهيتي (عبد الله بن علي، ت ٨٩١ هـ/ ١٤٨٩م): "العمدة في الخط والقلم"[١٣]..

وغيـــر ذلك، فقط، بـــل وكذلك من خلال تكرارهـــا وتبنيها لبعض المقولات الفلســـفية في الكتابة والخط، المنسوبة إلى بعض الفلاسفة اليونانيين مثل:

- أرســـطو (ت ٣٢٢ ق.م) الذي تنســب اليه مقـولة: "الكاتب: العلة الفاعلية، والقلم: العلة الآلية، والخط: العلة الصورية، والبلاغة: العلة التمامية"..

- واقليدس (ت بعد ٣٠٠ ق.م) الذي تنسب اليه مقولة "الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية"[١٤]..

وعلى الرغم من أن للفظ (التصوير) في المعرفة العربية الإسلامية معاني ودلالات واســـعة ومتشعبة وعديدة، منها: (التشكيل / التكوين / التخييل / التجسيم / الترسيم / التخطيط / الترقيم / التنقيش/ التخليق/التقدير/التمثيل /التشبيه)[١٥].. فإن هذه المعاني والدلالات لاتخرج في مفهومها العام عن معنى (الصورة) المرادف لمعنى (الشكل)، وعن دلالتها المباشرة على (الأثـر).

ومما تقدم، يمكن القول بإيجاز: أن المعرفة العربية الإســـلامية قد تنبهـــت، منذ وقت مبكر، إلى الطبيعة المكانية/الهندسية/الشـــكلية/

الصورية/الـ (الجسدانية)[١٦] لـ (حقيقة الخط)، بوصف هذه الحقيقة هي حمولته المفهومية الكلية والأســـاس التي تقرر، بشكل نهائي، كون الخط "صورة معروفة، وحلية موصوفة"[١٧].

٢ - ٣: اتجاهات ومناهج دراسة الخط:

ومثلما يصنف البحث العلمي الحديث دراسة الخط بوصفه صورة الكتابة، منهجياً ومعرفياً، إلى مســـتويات عديدة، أبرزها: المســـتوى التاريخـــي Paleography الذي يدرس الخط مـــن حيث تطوره زمنياً على أصعدة الشكل والأسلوب والوظيفة، والمستوى الآثاري Epigraphy الذي يعنى بدراســـة النقش الخطي علـــى الأبنية والأضرحة والنقود والمواد الاثارية الأخرى، والمستوى الجمالي Calligraphy الذي يدرس الخط من حيث كونه فناً[١٨].. تصنف المعرفة العربية الإسلامية دراسة (الخط العربي) إلى ما هو أكثر من ذلك التصنيف بكثير، اذ لم يكتف مصنفو العلوم العربية الإســـلامية بوضعه في دائرة (علوم اللغة) كما فعـــل البعض[١٩]، أو بوضعه في (عداد الصنائع الإنســـانية) كما فعل البعض الآخر[٢٠]، بل أعطـــاه أغلب هؤلاء المصنِّفين وأهل الخط من الأهمية مكاناً خاصاً في (دوحات شجرة) المعرفة العربية الإسلامية، تحت عنوان واحد رئيس أسموه: (العلوم الخطية)[٢١].

وإذا كانـــت هذه العلوم الخطية العربية قد تمثلت، بحســـب بعض هـــؤلاء المصنفين، فـــي: علم أدوات كتابة الخـــط، وعلم قوانين كتابة الخط، وعلم تحســـين أشـــكال الحروف، وعلم كيفية توليد الخطوط عـــن أصولها، وعلم تركيب إملاء الخط العربي، وعلم خط المصحف، وعلـــم خط العروض، وعلـــم آداب كتابة خط المصحف، وعلم رســـم خط المصحف، وعلم معرفة مرسوم الخط، وعلم تركيب مداد الخط، وغيرهـــا[٢٢].. فـــإن ما تجب الإشـــارة إليه هنا، وبالضـــرورة العلمية والمنهجية، هو أن المعرفة العربية الإســـلامية قد عنيت أيضاً، وبشكل

خاص ومميز، بدراســة (الخط العربي) دراسة جمالية / فنية تنطلق مــن (حقيقة الخط) المتمثلة في كونه صورة أو شــكلاً، وتهدف الى تأسـيس ما وصفه بعض هؤلاء المصنفين المعرفيين أنفســهم بـ "علم تحسينه، وتحريره، وتزيينه"[٢٣].

ويمكــن أن نتلمـس هذه الدراســة الجمالية / الفنيــة للـ (الخط العربـي) من خلال عــدد من هذه (العلـوم الخطية)، لعــل ابرزها واكثرها وضوحاً ومباشــرة: (علم تركيب أشكال بسائط الحروف)[٢٤] أو ما كان يسمى ايضاً بعلم (هندسة الخط)[٢٥]، وكذلك (علم تحسين أشكال الحروف الخطية)[٢٦]، وهما العلمان اللذان تمثّلا في ما قدمه فقهــاء فن الخط العربــي الاوائل من امثال: ابن مقلــة الوزير، وابن الصائغ، والآثاري (شــعبان بن محمد، ت٨٢٨هـ /١٤٢٤م)، والهيتي، وغيرهم، من (الأصول والقواعد)[٢٧] الخاصة بـ (حســن الشكل [في بناء الحرف مفرداً] وحسن الوضع [في بناء النص الخطي المؤلف من عدة حروف])[٢٨] في هذا الفن.

٢ - ٤: دراسة المصطلح في الخط:

ولكــن.. على الرغم من تعدد هذه (العلوم الخطية) وكثرة فروعها: اللغويــة، والوظيفيــة، والفنيــة، وغيرها.. وعلى الرغم من تشــعب اتجاهاتها المعرفية والمنهجية في دراســة (الخــط العربي)، لم تنتبه المعرفة الخطيية العربية – كما يبدو – الى اهمية دراسة (المصطلح) فــي هذه (العلوم الخطية)، وبالتالي لم يضع مصنفو المعرفة الخطية العربية الاســلامية في دوحات شجرتها الوارفة علماً للـ (المصطلح) المتعلق بـ (الخط العربي).

وربمــا، تكون المعرفة الخطية العربية الاســلامية بذلك قد غفلت واحداً من أهم الاتجاهات العلمية / المعرفية له، بل ربما يكون أهمها

بســبب أن كل هذه العلوم وفروعها تقوم في بنيتها المعرفية الخاصة به وعليه، فـ (المصطلح الخطي) – بوصفه (اللفظ / الاسم) المشروط بالاتفــاق عليه بين أهل الخط في الدلالة على ما له معنى في مجاله أو له علاقة به –، يشــكل القوام المعرفي لــكل واحد من هذه العلوم الخطية، أولاً .. ويشــكل، ثانياً وأخيراً، قــوام أو بنية المعرفة الخطية العربية الإسلامية ذاتها..

٣ – المصطلح في الخط العربي:

٣ - ١: المصطلح:

يرجع الأصل اللغــوي للفظة (مصطلح) الى الجذر (صلح) ومادته الاشــتقاقية التي تعنــي، في المعاجــم اللغوية، معنــى نقيضاً لمعنى (فســد) ومادته الاشــتقاقية[٢٩]. ولكن هذه اللفظة مشــتقة مباشرة مــن الفعل (اصطلح) الذي مصدره (اصطــلاح)[٣٠]. وربما لذلك، لم يفــرق اللغويون العرب بين (مصطلح) و(اصطلاح) في المعنى[٣١] على الرغم مِن أن الأول اسم والثاني مصدر، فعُدّ الاثنان عند الاستخدام اســمين يدلان على معنى واحد هو "الاتفاق على أمرٍ مخصوص"[٣٢] أو هو "المواضعة"[٣٣] على شــيء يجري (اختراع)[٣٤] معنىً جديد له، وتســميته باسم ما، ينقل عن موضوعه الأول في المعنى الذي، هو في الأصل وفي الغالب، المعنى اللغوي إلى معنى آخر خاص بأهل حقل او مجال أو اختصاص معين.

وتتكامل الحمولة المفهومية لـ (المصطلح) من خلال قواعد منهجية وعناصر معرفية متصلــة العلاقة الداخلية فيمــا بينها لتكوين بنية (المصطلــح) المعرفيــة التي تقوم عادة على هــذه القواعد والعناصر المتمثلة في[٣٥]: (المسمى)، و(المعنى)، و(الاسم)، و(الاتفاق).

وإذا كانت أهمية (المصطلح) تتضح، إلى حد ما، في الفائدة الاقتصادية للأداء الاتصالي، فإن هذه الأهمية تأخذ حيويتها بشكل أكثر فاعلية وتأثيراً، بل وأكثر ضرورة، في تأسيس المجال المعرفي النوعي والخاص لـ (العلم أو الأدب أو الفن أو الصناعة) بما يجعله متميزاً عما سواه من خلال سجله (المصطلحي) الخاص، فرصيد كل مجال معرفي يتمثل، بشكل رئيس، في (مصطلحاته)[٢٦].

وصار من الطبيعي أن تنمو أهمية (المصطلح) هذه إلى مستوى لا يقف عند دوره الحيوي هذا في الشأن المعرفي، فقط، بل يرقى ليكون هو نفسه شأناً معرفياً خاصاً ومميزاً، أصبح يعرف اليوم بـ (علم المصطلح) Terminology.. الذي ينطلق من تعريف (المصطلح) بأنه: كل وحدة لغوية، مفردة أو مركبة، دالة على مفهوم محدد بشكل وحيد الوجهة الدلالية ضمن حقل أو مجال أو ميدان معرفي ما.. ويعنى عناية مباشرة بوضع: نظرية، ومنهج، وتسمية لأي (مفهوم) قابل للاتفاق بين اهل الاختصاص على تضمينه في (لفظ / إسم / مصطلح) ضمن نسيج اللغة العلمية المعينة، وتصنيفه معرفياً في مجموعة اختصاصية يقررها الوصف والإحصاء والتحليل.. وهي أساليب البحث العلمي وأدواته الأساسية في معالجة المعلومات المصطلحية معجمياً، ومحاولة تقييسها لغوياً، عند الحاجة، بالمقابلات الدلالية، الأحادية أو المتعد[٢٧].

وإذ يدخل هذا العلم الى دراسة المفاهيم المعرفية المختلفة، وتسميتها، وانشاء (المصطلح) الخاص بها.. فإن بإمكانه أن يدخل، أيضاً وبشكل طبيعي، إلى دراسة المفاهيم المعرفية المتعلقة بالخط العربي، وتسميتها، وانشاء (المصطلح الخطي) العربي علماً / مجالاً معرفياً يضاف إلى (العلوم الخطية) المعروفة، ويكون جزءاً من المعرفة الخطية العربية الإسلامية.

٣ - ٢: المصطلح الخطي:

مثلما تعددت (العلوم الخطية)، تعدد (المصطلح) المتعلق بـ (الخط العربي)، وتنوع بحسب تعدد هذه (العلوم الخطية) وتنوعها، بشكل متداخل ومتعالق، ولكنه أيضاً متباين تبايناً واضحاً يمكن معه تقسيم هذا (المصطلح الخطي) إلى أنواع عدة، لعل ابرزها ما يأتي:

أ. "المصطلح الخاص"[٣٨] بخط المصحف الشريف، وخط عروض الشعر العربي. ويفيد هذا المصطلح بأن الشكل الخطي لهما معياري ثابت "لايقاس.. ولايخالف"[٣٩].

ويشتمل (المصطلح الخاص) هذا على ألفاظ / أسماء / مصطلحات أخرى/ فرعية، منها في مجال خط المصحف الشريف مثلاً[٤٠]: (المصطلح الرسمي)، و(هجاء المصاحف)، و(الرسم السلفي)، و(الرسم المصحفي)، و(الاصطلاح السلفي)، و(الرسم العثماني)، و(رسم المصحف)، وربما غيرها. أما في مجال خط عروض الشعر فهناك بشكل رئيس: (المصطلح العروضي)[٤١].

ب. المصطلح اللغوي:

وهو الذي يعرف ايضاً بـ (المصطلح العام) أو (المصطلح العرفي)[٤٢].

ويقوم هذا المصطلح على توفية رسم اللفظ بالخط، وهو ما اصطلح عليه اللغويون العرب بلفظ / اسم / مصطلح: (الهجاء) أو (الإملاء).

وقد لحقت الخط العربي في سياقه اللغوي هذا، ألفاظ / أسماء/ مصطلحات أخرى منها على سبيل المثال لا الحصر: (الشكل) و(الإعجام).

ج. المصطلح الوظيفي:

أو (مصطلــح الكتاب)[٤٣] كما كان يعرف قديماً، نســبة الى وظيفة الكتابــة في دواوين الدولة العربية الاســلامية، التي صارت لها عدة كبيرة من الألفاظ / الأسماء / المصطلحات الديوانية، منها: (الكتابة الخطية)، و (الكتابة الانشــائية)، و(ادب الكتاب)، و(صنعة الكتابة)، و(الكاتب)، و(كاتب الخط)، و(كاتب اللفظ)، و(كاتب العقد)، و(كاتب الحكم)، و(كاتب التدبير)[٤٤]، وغيرها.

د. المصطلح الفني:

وهو المصطلح المتعلق بالخط العربي في مســتواه الجمالي، أي في إطار ما كان يعرف عند أهل الخط، ولا يزال، بلفظ / اسم / مصطلح (حسن الخط)[٤٥].

٤ - المصطلح الفني في الخط العربي:

٤ - ١: الفـن:

اســتخدم العرب المســلمون العديد من المصنِفات المعرفية لتمييز الأشياء والظواهر والأعمال وبيان حدودها الاصطلاحية. وكانت أهم هذه المصنفات: (أدب / علم / فن / صناعة).

وعلــى الرغــم من حصــول التداخــل المفهومي الكبيــر بين هذه المصنفــات، ظلت ثمة فــروق دلالية ومعرفية دقيقة تقــوم بينها في تمييــز كل منها للمجال المعرفي الذي تعمل عليه عند جدولة المعارف وإحصائها وتصنيفها، فمفهوم (أدب) مثلاً ينصرف بعامة الى المعرفة النظرية للأسس والقواعد العاملة في اختصاص معين[٤٦].. وينصرف مفهوم (علم) إلى ما يشبه مفهوم الـ (أدب) لكنه محكوم، في الغالب،

بمطابقة الواقع وبالخضوع للتجربة، وهو مع ذلك لا يتعلق بكيفية العمل التي يتعلق بها مفهوم (الصناعة) بشكل أكثر[٤٧].

أما مفهوم (فن) فهو أكثر هذه المفاهيم إمكانية في الاستخدام، وأدقها تحديدا في التخصيص الدلالي على مختلف مجالات: الأدب والعلم والصناعة، فلفظ (الفن) يفيد معرفياً (الضرب / النوع / الأسلوب)[٤٨] من الأدب أو العلم أو الصناعة.

وعلى الرغم من ان المعرفة العربية الإسلامية لم تكن تفرق كثيراً بين كل من (الفن، والصنعة، والحرفة)[٤٩]، اتجهت هذه المعرفة في مفهوم (الفن)، لاحقاً، وبشكل نهائي، إلى تخصيصه على معنى الإبداع ودلالة الجمال في عمل الإنسان وإنتاجه.. تماماً كما يبدو عليه لفظ / اسم / مصطلح (Art) في المعرفة الغربية الحديثة، ولغاتها الحية، ولاسيما الإنكليزية.. التي منها، قد أصبح لفظ / اسم / مصطلح (Art = فن)، بلا منازع، الحامل الرئيس لمفهوم الجمال.. والعامل بدلالة الإبداع الفني، في المعرفة الإنسانية المعاصرة[٥٠].

ومن هنا أصبح الفن هو المعرفة النظرية والعملية المتعلقة بالجمال، ومن هنا ايضاً ثبت معنى الفن أساساً في حدود البحث في جمال/ حسن (الشكل / الصورة)، وفي صناعته.

٤ – ٢: فن الخط العربي:

لم يكن الشكل الأول للخط العربي عند نقطة بدئه التاريخية / ما قبل الإسلامية معروف الصورة والمعالم البصرية على وجه الدقة واليقين والكمال، الاّ ما قدمته بعض المصادر اللغوية والتاريخية العربية من معلومات عامة تفيد بأن عرب ما قبل الاسلام كانوا قد اصطلحوا على خطهم تسمية (الجزم)[٥١] التي تدل على الشكل اليابس المبسوط.

ويبدو أن بعض العارفين العرب الأوائل بالكتابة والخط قد انتبهوا خلال تنامي الشأن الوظيفي لهما في صدر الإسلام إلى تحول نسبي في شكل خط الجزم من اليبوسة والبسط إلى الليونة والتقوير، نتيجة الخفة والسرعة في الكتابة، فميزوا الشكل الآخر للخط العربي باسم (المشق)[٥٢].

ويبدو أن الخط العربي قد انطلق من هذه الثنائية الشكلانية في تمييز (الأسلوب الفني) له على أسس: الاستحسان، والجودة، والأداء، والوظيفة، منذ القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، بما أدى إلى إنتاج (التنوع) الخطي القائم على تباين الخصائص الشكلية والأدائية والوظيفية في أنواع الخط العربي بـ:

* مدى توفرها أو احتوائها على صفات: اليبوسة / البسط / الاستقامة / الاستواء.. أو الليونة / التقوير / التدوير / الانحناء في الشكل.

* مدى خضوعها لعمليات التحقيق / التحسين في الكتابة.. أو السرعة / الخفة في الأداء.

* مدى الإجلال / التعظيم.. أو البساطة / التواضع في الوظيفة.

ومن هنا، أي على أساس هذا التقابل في خصائص الشكل بخاصة، انتظمت أنواع الخط العربي في منظومتين فنيتين رئيستين هما: منظومة (الخطوط الموزونة) / المحققة / المبسوطة / اليابسة/ الكوفية.. ومنظومة (الخطوط المنسوبة) / المطلقة /المقورة /اللينة/النسخية.

وقد فتحت ظاهرة (التنوع) هذه، بوصفها اتجاهاً صناعياً مقصوداً في إنتاج الشكل الخطي المتجانس في منظومة واحدة، أبواب الإبداع على مصراعيها أمام الخط العربي في سيرته الجمالية، وفي صيرورته الفنية على أسس: التجويد، والاستحسان، والبيان، والاصطلاح على

الوضع في أشكال الحروف في أنواع الخط العربي التي صارت عديدة وكثيرة، وعلى تسميتها بأسماء خاصة ومميزة[٥٣].

٤ - ٣: مفهوم المصطلح الفني الخطي العربي:

وإذا كان (المصطلح) بوصفه، كما أسلفنا، بنية لغوية مشروطة الدلالة بالاتفاق على العلاقة المعرفية بين (الاسم / الدال) وبين (المسمى / المدلول)، فإن هذا (المصطلح)، بوصفه مصنفاً معرفياً جامعاً يستند إلى آداب المواضعة وقواعد الاتفاق على كينونة أمر/ نشاط / مجال / عمل / شكل / غير ذلك، دون غيره، كينونة خاصة، هو تعبير عن الآداب والقواعد والأصول الداخلة في هذا الامر، والضابطة لحدوده، وبيان حاله المعرفية من خلال شبكة المعلومات المحمولة في (ألفاظ / كلمات / أسماء) تكاد تكون مغلقة المعنى والدلالة، وغير قابلة للتفسير والاستعارة في غير ما تم (الاصطلاح) على اختصاصها به من الأمور والمعارف والأشكال.

ولقد شكلت أمثال هذه (الألفاظ / الكلمات / الأسماء) مادة (مصطلحية) كبيرة ودقيقة في العلوم والفنون والصناعات المختلفة للمعرفة العربية الإسلامية، فقد صار لعلوم اللغة العربية المتعددة كالنحو والصرف والبلاغة مثلاً مصطلحاتها الخاصة، وكذلك لعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ولسائر العلوم الإنسانية والبحتة والتطبيقية، حتى صار (المصطلح العربي الإسلامي) مجالاً معرفياً خاصاً ينطلق من المعنى اللغوِي العام للألفاظ / الكلمات الى معنى اصطلاحي خاص لها يتركز من خلال التأثيل والدلالة والوظيفة في (تسميات / أسماء) معينة، تشكل بمجموعها قوام المعرفة العربية الإسلامية.

ومثلما كان لكل واحد من هذه العلوم العربية والإسلامية، وغيرها،

مصطلحاته الخاصة التي يمكن ان نطلق عليها: (المصطلح اللغوي / النحوي / الصرفي / البلاغي / القرآني / الفقهي / الحديثي / وغير ذلك).. كان، كما أسلفنا، للخط العربي مصطلحاته الخاصة التي يمكن أن نطلق عليها: (المصطلح الخطي / اللغوي / الوظيفي / القرائي / الفني، وغير ذلك).

ولعل أكثر هذه المصطلحات الخطية أهمية، وخصوصية، وتميزاً: (المصطلح الفني) الذي هو عبارة عن (الألفاظ / الكلمات / الأسماء) التي تعبر عن أسس، ومبادىء، وأوضاع، وأعمال، ومواد، وعمليات صناعة الشكل الجمالي في الخط العربي، فضلاً عما ينتج عن هذه الصناعة، وما يلحق بهذا الشكل او يتعلق به من تنوع / أنواع، وأساليب، ووظائف، ونتاجات، وأعلام، ومؤسسات، وغير ذلك، في إطار الإبداع الجمالي / الفني في مجال الخط Calligraphy العربي، دون الالتفات إلى.. أو العناية بأي مستوى آخر من مستويات الخط العربي: التاريخية، والوظيفية، واللغوية، وغيرها.

٥ - فقه المصطلح الفني للخط العربي

٥ - ١: الكتابة الخطية الفنية:

تنطلق المعرفة العربية الإسلامية في بناء الفقه الجمالي للخط العربي، وفي تسمية مصطلحه الفني، من تمييزها للـ (الكتابة الخطية) الفنية تحديداً، وفصلها عن أي نوع آخر من أنواع الكتابة. وكانت هذه المعرفة قد تباينت في تسمية هذه الكتابة الخطية الفنية تبايناً واضحاً، فتعددت بذلك الألفاظ /الأسماء / المصطلحات التي أطلقت عليها، ويمكن حصرها في ما يأتي:

أ. فن الخط:

علـى الرغم من الحداثة النسـبية للفظ / إسـم / مصطلح (فن الخط) الذي يعود الى بدايات القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي[٥٤]، يكاد هذا اللفظ / الإسـم / المصطلح أن يكون المصطلح العلمي النهائي والمعاصر للمعرفة الفنية في الخط العربي.

ب. حسن الخط:

اسـتخدمت المصادر العربية الأولى، اللغوية والأدبية والفلسـفية والخطية وغيرها، لفظ / اسم / مصطلح (حسن الخط) في التعبير عن الكتابة الخطية الفنية.

وليس من السـهل تحديد المصـدر العربي الأول الذي اقترح هذه التسـمية، كما ليس من السهل تحديد جهة وزمان إشاعتها على وجه الدقة من الناحيتين المعرفية والتاريخية، ولكن يبدو أن هذه التسمية كانت مصطلحاً مسـتقراً وشـائعاً، غير محتاج إلى شـرح أو تفسير في مصادر القرن الثالث الهجري / التاسـع الميلادي.. لاسـيما تلك المتعلقـة بأدب الكتاب على الأقـل، ثم ظل هذا المصطلح يتداول على نحو طبيعي لدى أهل اللغة والكتابة والخط بحسب المجرى والطبيعة نفسـها، بيد أن أهل الخط العثمانيين قد اسـتخدموه بلفظه التركي (حُسـني خـط)[٥٥] على أصعدة هـذا الفن الوظيفيـة والتعليمية.. الرسمية والشعبية.

ج. صناعة أو صنعة الخط:

ويماثل هذا التعبير سـابقه تماماً في مصدره العربي الذي يصعب تحديـده علـى وجه الدقة، ولكنه يبدو مسـتقراً منـذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي[٥٦] على الأقل. وكذلك الأمر في استخدامه العثماني – التركي في تسمية هذا الفن[٥٧].

ج. الخِطاطة:

ويمكن القول بأن هذا اللفظ / الإسم / المصطلح هو أحدث تسمية عربية علمية للكتابة الخطيــة الفنية، تنطلق من لفظة الخط وتلتزم أصول القياس اللغوي العربي لأســماء الحرفة / الصنعة وما شابهها علــى وزن (فِعالة) كالصناعة والوراقة والنجــارة وغيرها، عملاً بما أقره بعض المجامع العربية.

ولعــل أول مــن صاغ هذه التســمية هو الباحث التونســي عثمان الكعاك[٥٨]، وشــاعت بشــكل تدريجي وواســع في الأوساط العلمية المغاربية[٥٩]، ثم شاعت، ولكن على نحو قليل جداً، في بعض المؤلفات والأوساط المشارقية المعنية بشؤون فن الخط[٦٠]. وقد اعتمدها أخيراً مكتب تنســيق التعريب التابع لجامعة الــدول العربية في التعبير عن فن الخط[٦١].

٥ - ٢: (هندسة الخط):

يفترض فقهاء الخــط العربي،على اختــلاف توجهاتهم المعرفية: اللغوية والفنية، أصلاً فلسفياً هندسياً لكل أشكال حروف هذا الخط وصورها.. ينطلق من النقطة، ويتمثل في خطين هندســيين Lines اثنــين لا ثالث لهما، هما: الخط المســتقيم الذي يقابل قطر الدائرة، والخط المنحني الذي يقابل محيطها.

ويعزي أهل هذا الخط تركيب أشــكال الحروف العربية وصورها إلــى عناصر خطية هندســية مجردة تتصل، صفــة وطبيعة، بهذين الخطين. وقد عدوا أوضاع هذين الخطين القابلة للدخول في تركيب شكل كل حرف من أشكال الحروف العربية، على نحو مفرد أي يتركب مــن خط واحد، أو على نحو مركــب أي يتركب من إثنين أو أكثر من الخطوط الهندسية.. سبعة أوضاع اصطلحوا على وصفها بألفاظ /

أسماء / مصطلحات تمثل قوام (هندسة الخط) العربي.

وهذه الأوصاف / الألفاظ / الأسماء / المصطلحات هي:

١. الانتصاب (الخط المنتصب).
٢..التسطيح (المسطح).
٣. الانكباب (المنكب).
٤. الاستلقاء (المستلقي).
٥. الانحناء (المنحني).
٦. الاستدارة (المستدير).
٧. التقويس (المقوس)[٦٢].

وهي، كما تبدو، مستوحاة من أوضاع الجسد الإنساني في الحركة والسكون. (ينظر: الشكل رقم ـ ١).

٥ ـ ٣: الأصول والقواعد:

ويمكن القول إنَّ فقهاء الخط هؤلاء كانوا قد فصّلوا عملياً استخراج أوضاع الخطوط الهندسية هذه من العلاقة القائمة فيما بين الدائرة وقطرها المستقيم، لبناء (حسن الخط) على ما أسماه البعض منهم ب (الأصول والقواعد) التي تنظم وتحكم (حسن الشكل وحسن الوضع) في بناء بنية الحروف الذاتية، وفي "ترتيب هذه الحروف على أحسن نظام"[٦٣] من عمليات تركيب شكل الحرف من الخطوط الهندسية، وتقدير أبعاد هذه الخطوط لإتمام الشكل، وتكييف هيأتها لإكماله، وإشباعه، وإرساله.. ومن علاقات الاتصال والانفصال والمد والإضافة وغيرها فيما بين هذه الحروف.

وكان فقهاء الخط قد فصّلو أيضاً في تسمية هذه (الأصول

والقواعد) بأسماء صارت مصطلحات معروفة عند أهل الخط ودارسيه بألفاظ: التوفية، والإتمام، والإكمال، والإشباع، والإرسال.. والترصيف، والتأليف، والتنصيل، والتسطير[٦٤].

ولم يقف فقهاء فن الخط العربي في معالجة حسن هذا الخط وجماله، هندسياً، عند هذه الأصول والقواعد فقط، ولم يكتفوا بقيامه الجمالي التام على "صور حروفه، وأوضاع كلمه، بدون صحة نسبته الوضعية"[٦٥].. بل اشترطوا لهذه الصحة: (الوزن) و(التناسب) في قيام المفهوم الجمالي / الفني لهذا الخط على صعيد البنية الذاتية لشكل الحرف وصورته بالذات، أساساً لصعيد البنية النصية الخطية.

واصطلحوا لذلك مطالب فلسفية وعملية لتحسين الخط، وتحريره، وتزيينه.. تقوم على ما تفيده ألفاظ / أسماء / مصطلحات مثل[٦٦]:

* (التجليل) الذي قام عليه أول مفاهيم حسن الخط: الكبر في الشكل، والعظمة في الشأن، والوضوح في الوظيفة..

* و(البيان) الذي هو "إحدى البلاغتين" في الخطاب العربي الإسلامي بعامة، و"روح الخط" بخاصة، وتحصيله يعني تحصيل أعلى درجات حسن الخط..

* و(التحقيق) الذي هو "إبانة الحروف كلها" بعمليات كتابية تتضمن كيفياتها ووسائلها وأساليبها.. الألفاظ / الأسماء / المصطلحات المتمثلة في كل من: التحديق، والتحويق، والتخريق، والتعريق، والتشقيق، والتنسيق، والتوفيق، والتدقيق، والتفريق.

ومن خلال ذلك يمكن لأهل الخط التفريق الجمالي / الفني بين شكلَي الخط المتقابلين هندسياً وأداء ووظيفة: (المحقق) و(المطلق).

٥ - ٤: الخطاط / الخطاطون:

كان (كاتب الخــط) أول أصناف الكتاب، وهو يعني (المحرر) الذي كانت مكانته الوظيفية الرســمية أهم واكبر من غيره من الكتاب في الدولة العربية الإســلامية، لاضطلاعه بتجويد شــكل الخط وتنوعه طبقــاً لوظيفته، إذ كانت " كلمة المحــرر / المحررين تطلق على كبار الخطاطين ذوي الأســلوب الفنــي المتميز، وكان يطلــق على الكتابة المجودة لفظ التحرير"[٦٧].

ولقد تطورت تســمية أهل الخط من (كاتب الخط) إلى (الكاتب) إلى (الخطاط) عبر قرون عدة.. ولكن على الرغم من أن هذا اللفظ / الاســم / المصطلح الأخير كان موجوداً، مفرداً وجمعاً، منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي في (أدب الكتاب)[٦٨]، كانت أوضح الإشــارات وأكثرها صراحــة إلى كون الخطــاط / الخطاطين أهل صناعة خاصة.. هي ما تضمنته إشارة التوحيدي من صيرورة الخط نفسه صناعة من الصناعات في مجتمع بغداد القرن الرابع الهجري / العاشــر الميلادي.. ومن ان الخطاط / الخطاطين قد أصبحوا من أرباب هذه الصناعات البغدادية[٦٩].

ولكن هذا اللفظ / الإســم / المصطلح لم يســتقر معرفياً – كما يبــدو – بصورة نهائية دالة على العَلمية المهنية الفنية لكل "من كانت حرفته تحسين الخط"[٧٠] حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[٧١].

وصــار في عهد الدولة العثمانية (٦٩٩-١٣٤١هـ /١٢٩٩-١٩٢٢م) ألفاظ / أسماء / مصطلحات عديدة لمناصب وظيفية حكومية رسمية تختص بفن الخط، مثل: الخطاط، ورئيس الخطاطين، ومعلم حسن الخط، وطغراكش، وكاتب السراي، وغير ذلك. بل صارت في أواخر هذا العهد مؤسسات أكاديمية / تدريسية / متخصصة بفن الخط،

مثل (مدرسة الخطاطين)، وهي بلاشك أكثر تطوراً وتنظيماً مما كان قائماً، من قبل، من مثل هذه المؤسســة بما كان يعرف بلفظ / اسم / مصطلح (المكتب / المكتبات) (٧٢).

٥ – ٥: صور الحروف:

يقسم علماء العربية وفلاسفتها الحروف إلى "ثلاثة أنواع": فكرية، ولفظية، وخطية:

- فالحــروف الفكرية هي صور روحانية فــي أفكار النفوس، مصورها في جوهرها قبل إخراجها، معانيها: الألفاظ.

- والحروف اللفظية هي أصــوات محمولة في الهواء، مدركة بطريق الأذنين بالقوة السامعة.

- والحروف الخطية هي نقوش خطت بالأقلام في وجوه الألواح وبطــون الطوامير، مدركة بالقوة الناظــرة بطريق العينين. والحروف الخطيــة وضعت ليدل بها على الحروف اللفظية، والحروف اللفظية وضعت ليدل بها على الحروف الفكرية التي هي الأصل"[٧٣].

وقــد عني بكل نــوع من هذه الأنــواع الطبيعيــة الثلاثة للحروف مختصون معنيون، كل بحسب اختصاصه وعنايته، فالحروف الفكرية كانت من عنايات أهل الفكر من أمثال المتصوفة وســواهم، والحروف اللفظية كانت مــن عنايات اللغويين، أما الحروف الخطية فقد كانت من عنايات أهل فن الخط، ومنهم بالذات: الخطاطون.

وكان من أبرز وجوه العنايات المذكورة: تســمية الحروف بأســماء خاصة تميز بعضها عن بعض عند أهل كل اختصاص، فاللغويون مثلاً كانوا قد ســموا كل حروف من حروف الهجاء باســمه الخاص الذي

يدل عليه دون غيره، فالـ (أ) يسمى: الألف، والـ (ب): الباء، والـ (ع): العين، وهكذا الحروف الأخرى، بحسب ملفوظها في الهجاء.

ولكن هذه الحروف كانت قد أخذت عند الخطاطين ألفاظاً / أسماء / مصطلحات أخرى، تعددت أحيانا للحرف الواحد بحسب تعدد أشكاله وصوره، فالـ (أ) مثلاً كان قد أخذ عند الخطاطين ثلاثة أسماء هي مصطلحاته في خط الثلث بخاصة. وهذه الأسماء هي: المطلق، والمحرف، والمشعر.. وأخذ الـ (ب) ثلاثة أسماء أيضا هي: المجموعة، والموقوفة، والمبسوطة.. وكذلك الـ (ع) فأسماؤها: الملوزة، والمركبة، والمربعة.. وهكذا بقية الحروف الخطية.

وإذا ما حاولنا استقراء الألفاظ / الأسماء / المصطلحات التي كانت صور الحروف الخطية توصف بها عند الخطاطين، وما تزال.. يمكن أن نقف على قائمة طويلة، نسبياً، من هذه الألفاظ / الأسماء / المصطلحات التي من أبرزها على سبيل المثال لا الحصر: المطلق، والمحرف، والمشعر، والمجموع، والمبسوط، والموقوف، والمرسل، والمدغم، والمفتوح، والارتقاء، والمسبل، والمختلس، والمخطوف، والمدور، والمقور، والمركون، والقوسي، والمطرف، والمخفف، والمركب، والوراقي، والمرشوق، والمطموس، والمقلوب، والمربع، والمثلث، والمقسطل، والبتراء، والمعكوس، والراجع، وعين الهر، وفم الثعبان، وغير ذلك[٧٤]. (ينظر: الشكل رقم ـ ٢).

وكان الزفتاوي (محمد بن احمد، ت٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م) (٧٥) أول أهل الخط الذين بحثوا بحثاً مفصلاً في توصيف أشكال الحروف وتسمية صورها، واصطلح معه عليها عديد من المعنيين بشؤون فن الخط من أمثال: القلقشندي، والهيتي، وابن الصائغ، وغيرهم.

ولا نملك هنا مندوحة عن الإشارة إلى أن أشكال الحروف وصورها المسماة في مثل هذا السياق تنتسب عادة إلى بعض أنواع الخط الرئيسة الداخلة في مجموعة (الأقلام الستة)، وبخاصة منها:

الثلث، والمحقق، والرقاع، والتواقيع (ينظر: الشكل رقم. ٣). ولكن هذا لا يمنع اســتعارتها في وصف أشكال الحروف الخطية بأنواع أخرى من هذا الفن.

٥ - ٦: أنواع الخط:

يعــد التنوع ظاهرة صناعية مقصودة إلى حد كبير في فن الخط، قائمة على التباين في الشكل، والوظيفة، والتسمية.

وتعد تسمية أنواع الخط تقريباً جوهر فقه المصطلح الفني للخط العربي، بل وأساســه المعرفــي المميز له، ليس لأن ألفاظ / أســماء مصطلحات أنواع الخط هي التي تميز هذه الأنواع بعضها عن البعض الآخر في سماتها الشكلية والفنية والوظيفية حسب، بل ولأنها ايضاً تغطي أوسع مساحة معرفية من فقه هذا المصطلح.

ولقــد اتجه فقهاء الخط إلى إنشــاء هذا المصطلح الخاص بأنواع هذا الفن، منذ القرن الثالث الهجري / التاســع الميلادي حتى اليوم، فكثرت ألفاظ / أســماء / مصطلحات أنــواع الخط كثرة تفوق، إلى حد مــا، التوقع والتصور.. حتــى تقلبت هذه الألفاظ / الأســماء/ المصطلحات في مسارد عديدة ومتنوعة لم تخل من، بل غلب عليها.. التباين والاضطراب والمبالغة، إذ تراوحت المصادر التاريخية في ذكر أعــداد هذه الأنواع ما بين أربعين نوعاً عند ابن النديم[٧٦]، وســبعين نوعــاً عند الراوندي (محمد بن ســليمان، ت+ ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م)[٧٧] وثمانــين / أو مائة / بل مــا يزيد على المائة والخمســين نوعاً عند غيرهما[٧٨].

ولو حاولنا اســتقراء ألفاظ / أســماء / مصطلحات هذه الأنواع الكثيرة، استقراءً معرفياً وتاريخياً، لأمكننا أن نقف منها، على سبيل المثال لا الحصر، على ما يأتي: الجليل، والثلثين، والثلث، والثلث الثقيل،

خفيف الثلث، وغبار الحلية، والمؤامرات، والأجوزة، والمفتح، والأثلاث، واللؤلؤي[٧٩]، والرئاسـي، والطومار، والمدبج، والنصف، والمسلسـل، والحوائجـي، والقصـص، والمحـدب، والسـجلات[٨٠]، والـلازورد، والشامي، والموشـع، والمولع، والمنمنم، والمسـهم[٨١]، وثقيل الطومار، والشـامي، ومفتح الشـامي، والمنشـور، وصغير المنشـور، والحلية، وغبـار الحلبة، وصغيرهمـا[٨٢]، والمكي، والمدني، والكوفي، والمشـق، والتجاويد، والسـلواطي، والمصنوع، والمائل، والراصف، والأصفهاني، والسـجلي، والقيراموز، والمحقق، والديباج، والسـجلات الأوسـط، والسـميعي، والأشرية، والطومار الكبير، والخرفاج، والثلثين الصغير الثقيـل، والزنبور، والعهـود، وأمثال النصف، والأجوبـة، والخرفاج الثقيـل، والخرفاج الخفيف، وثقيل النصـف، والمدور الكبير، والمدور الصغير، وخفيف الثلـث الكبير، ومفتح النصف[٨٣]، والإسـماعيلي، والأندلسـي، والعباسي، والبغدادي، والمشـعب، والريحاني، والمجرد، والمصري[٨٤]، والتوقيعات، والنسـخ، والذهب، والحواشـي، والرقاع، والمـتن، والمصاحـف[٨٥]، وصغيـر النصف، والوشـم، والحـرم[٨٦]، والدرج[٨٧]، والتواقيع، والمنثور، والمقترن، والأشـعار[٨٨]، وكاشـيان[٨٩]، والتعليـق، والنسـتعليق، والشكسـتة[٩٠]، والبابـري، والبهـاري[٩١]، والأفريقي، والقيرواني[٩٢]، والمبسـوط، والمجوهر، والمسند الزمامي، والمشـرقي[٩٣]، والديوانـي، وجلـي الديوانـي، والإجـازة، والرقعة، والسياقة، والسنبلي[٩٤].

ولعل من الأهمية أن نشـير هنا إلـى أننا لو واصلنا عملية البحث والاستقراء هذه، فلربما سيكون هناك ألفاظ / أسماء / مصطلحات أخرى، وربما عديدة، لأنواع وأسـاليب من الخط. (ينظر: الشكل رقم -٤-).

٥ – ٧: (النص الخطي)[٩٥]:

وهـو المصطلح النقدي المعبر عن العمـل أو النتاج الفني/الخطي،

الذي يبدعه بشكل مدروس ومقصود الخطاطون المجيدون في سياق التعبيـــر البصري المجــود فنياً، والمترف جماليـــاً، بفن الخط العربي وعنه.

ويمكـــن القول، على ســـبيل المثال، إن هذا العمـــل أو النتاج الفني / الخطـــي يماثـــل تمامـــاً القصيدة في الشـــعر، واللوحـــة في الفن التشكيلي.

وعلى الرغم من غزارة الإنتاج العربي الإســـلامي للكتابة الخطية على العمائر المتعددة الأشكال والوظائف، وفي بطون الصحف والكتب المتنوعة الأغراض والاختصاصات، وعلى المواد المختلفة في طبيعتها وفي استخداماتها كالقماش والنحاس والفخار وغير ذلك.. لم تأخذ هذه الكتابات الخطية من الألفاظ / الأســـماء / المصطلحات ســـوى القليـــل جداً، بل والنادر الذي لا يكاد يـــدل إلا على التأريخ والتذكرة والإرشاد وما شـــاكل ذلك من الدلالات، فأطلقوا على سبيل المثال لا الحصر:

- لفظ / إســـم / مصطلح (الطراز) مثلاًعلى الكتابة الخطية التذكارية النسيجية على القماش بخاصة..

- ويطلـــق أيضاً على ما يســـمى بـ (الافريـــز) الذي هولفظ / اســـم / مصطلح آخر يطلق علـــى الكتابات الخطية المنقوشـــة على العمائر[٩٦]..

- وأطلقوا لفظ / إســـم / مصطلح (المخطوط / المخطوطة / الخطية) على الكتب والمؤلفات التي صنفوها مكتوبة بخطهم[٩٧].

ولكـــن التفنّن العثماني نقل المكتوب الفني بالخط العربي من حاله الســـابقة المحدودة في طبيعته الإنتاجية، وفي مصطلحه الفني، إلى حـــال أخرى أكثر انفتاحاً وتنظيماً في تقعيد هذا المكتوب الخطي في

نظام محدد، إلى حد ما، في طبيعته البنيوية، وفي شكله الصوري، وفي محتواه الدلالي، وبالتالي في مصطلحه الفني.. ولذلك، فقد تباينت الأعمال أو النتاجات الخطية الفنية، العثمانية بالذات، وتنوعت، وتعددت بشكل واضح وملموس في ألفاظ /أسماء/ مصطلحات خاصة ومميزة في المعرفة الخطية العربية الإسلامية، أبرزها[٩٨]: اللوحة، والقطعة، والمرقعة، والحلية، والإجازة، والتقدير، وغيرها. (ينظر: الشكل رقم – ٥).

٥ – ٨: آلات الخط وأدوات الخطاطين:

لاشك في أن لآلات الكتابة، بعامة، دوراً كبيراً وأثراً عظيماً في تحسين الخط وإجادته، وربما لذلك كان الخطاطون وما يزالون يعنون عناية فائقة بهذه الآلات، بل صار لأكثرهم وأبرزهم أدواته الخاصة التي عنوا بصناعتها، فبالغوا في رعايتها، وزينوها بالزخارف، ووشوها بالخطوط، وكفتوها بالذهب والفضة، حتى صارت هي بذاتها تحفاً فنية نفيسة.

ويعد أهل الخط (القلم)، و(المداد)، و(الورق) من أركان هذا الفن الأساسية[٩٩]، ولذا فقد فصلوا كثيراً في طبيعتها، وفي صناعتها، وفي صفاتها، وفي وظيفتها، وفي عملها.

وقد خلصت المعرفة الخطية العربية الإسلامية الخاصة بهذه الأدوات والآلات إلى ألفاظ / أسماء / مصطلحات تعبر عنها وتدل عليها، منها على سبيل المثال لا الحصر[١٠٠]: البراية / البري، والفتح، والنحت، والشق، والقط، والسن، والمقط، والليقة، والاستمداد، والدواة، والمسطرة، والقالب، وغير ذلك. (ينظر: الشكل رقم – ٦).

٦ - الخاتمة:

يقوم علم المصطلح في الخط العربي على عدد كبير ومتشعب من الألفاظ / الأسماء / المصطلحات التي تغطي في معناها وفي دلالتها، بشكل عام، مفهومَي (الكتابة) و(الخط) الرئيسين، ودراستهما في ضوء اتجاه معرفي محدد، غالبا ما يكون إما تاريخياً، أو وظيفياً، أو جمالياً.

وينطلق هذا البحث المتواضع من تقرير أن المفهوم الجمالي لفن الخط العربي يقوم في الأساس على (حقيقة الخط) التي هي في الأصل: أثر / شكل / صورة، يجري تحسينها واستحسانها في ضوء قيم ومعايير جمالية معينة كالوزن والتناسب، والبيان، والتحقيق، وغيرها، تمثل العصب المعرفي لنظرية هذا الخط الفنية.

وتتأسس هذه النظرية / البنية المعرفية لفن الخط العربي، مثل أية بنية معرفية، على ألفاظ / أسماء / مصطلحات تمثل اللغة المعرفية الخاصة لهذا الفن.

وتدور هذه اللغة على مفردات تكاد تختص بتسمية طبيعة هذا الخط الفنية، وأوضاعه، وأشكاله، وأنواعه.. وكذلك بتسمية أهله وطرق أدائهم وأساليب عملهم وأدواتهم وغير ذلك. ويمكن أن نعنون ذلك كله بعنوان علمي دقيق وشامل هو: (المصطلح الفني في الخط العربي).

وعند استقراء معالم / ملامح / مفردات هذه اللغة المعرفية بقصد الوصول إلى فقه هذا المصطلح الفني / الخطي، نجد انه يقوم على عدد كبير ومتشعب من الألفاظ / الأسماء / المصطلحات التي تغطي في معناها وفي دلالتها مفاهيم: الكتابة، والخط، ودراستهما، والمعرفة بهما، والمصطلح المعبر عنهما أو له صلة عضوية حميمة بهما مثل: الفن، واللغة، والوظيفة، والشكل، والصورة، والتنوع، والعمل،

والمنجـز، والصانع، والآلـة، والأداة، وغير ذلك مما يتعلق بفن الخط العربي.

ولعل اهم ما يمكن ان نسـتنتجه من نتائـج لهذا البحث، عدا عن تأطير الموضوع تأطيراً عاماً بقصد التأسـيس المعرفي له، هو توفير الأرضية العلمية / المصطلحية للبحث الموسوعي في هذا المصطلح الفني الخاص بالخط العربي.. والعمل المنهجي على معجمته.

هوامش الفصل الأول وإحالاتـه:

[1] شـــمس الدين محمد بن إبراهيم ابن ساعد السنجاري ابن ساعد السـنجاري، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م: إرشاد القاصد الى اسنى المقاصد، تـ: طاهر بن صالح الجزائري، (بيروت، ١٣٢٢هـ) ط ١، ص ٣٩.

[2] احمد بن علي القلقشــندي، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م: صبح الاعشـى في صناعة الانشا، تـ: محمد حسين شمس الدين (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥) ط١، جـ ٣، ص ٣.

[3] لاروس، تونس ١٩٨٩، ص ص ١٠٢٧ – ١٠٢٨.

[4] ينظــر: الدكتور ميشــال زكريا: الألســنية – علــم اللغة الحديث، (بيروت، المؤسســة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٣)، ط ١، ص ص ١٩ ٣٦–.

[5] ينظر: الدكتورادهام محمد حنش: الخط العربي واشكالية المصطلح الفنــي، (الموصل، مطبعة الزهراء الحديثة، ٢٠٠٣)، ط١، ص ص ٣٩ – ٤٣.

[6] الامير أمين آل ناصر الدين: الرافد – معجم لغوي، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧١) ط ١، ج١، ص ٤٩.

[7] ابو الحسن حازم القرطاجني، ت ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥م: منهاج البلغاء وســراج الادباء، تـ: محمد الحبيب بن الخوجــة، (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨١)، ط ٢، ص ص ١٨ – ١٩.

[8] أبــو هــلال العســكري (ت ٢٥٩هــ / ٨٧٢م): ديــوان المعاني، تـ: الدكتوركرنكو، (بغداد، مكتبة النهضة، د ز ت) ط (مصورة عن نشــرة مكتبة القدسي – القاهرة ١٣٥٢هـ)، ج ٢، ص ٧٤.

(٩) ابـو البقـاء ايوب بن موسـى الكفوي، ت ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٣ م: الكليـات، تـ: الدكتورعدنان درويش ومحمد المصري، ط١، (دمشـق، ١٩٧٤)، ط ١، ج ٢، ص٣٩٩.

(١٠) ابو حيـان التوحيدي، ٤١٤ هـ/ ١٠٢ م: رسـالة في علم الكتابة، تـ: الدكتور ابراهيم الكيلاني،(دمشـق، المعهد الفرنسي، ١٩٥١)، ص ٣٥.

(١١) ينظر: هـلال ناجي: ابن مقلة خطاطاً واديباً وانسـاناً، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١)، ط ١، ص ص ١١٣ - ١٤٢.

(١٢) تـ: هلال ناجي، (تونس، دار ابو سلامة، ١٩٨٤) ط ٤.

(١٣): هلال ناجي، (بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٧٠)، ط ١.

(١٤) ينظـر: ابـو بكـر محمد بـن يحيـى الصولـي، ت ٣٣٦ / ٧٤٧م: ادب الكتـاب، تـ: محمد بهجة الأثري، (بغداد، المكتبة العربية، د. ت) ط (مصورة، القاهرة، المطبعة السـلفية، ١٣٤١هـ)، ص ٥٥.. وكذلك: محمد بن اسحق ابن النديم، ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥م: الفهرست، تـ: رضا - تجدد، (طهـران، ١٩٧١)، ص١٢.. وكذلك: القلقشـندي: المصدر السـابق، ٢ / ٤٤٨.. وكذلك: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م: حكمة الاشراق الى كتاب الافاق، تـ: عبد السلام هارون، ضمن: نـوادر المخطوطات، المجموعة الخامسـة، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١ ١٩٥٤) ط ١، ص ٧١.

(١٥) اشتغل على معاني (الصورة / التصوير) ودلالاتها المختلفة، بشكل دقيق وتفصيلي، وصلتها بالفن في ضوء الشـريعة الاسلامية: احمد مصطفى علي القضاة: الشـريعة الاسـلامية والفنون، (بيروت، دار الجيل، د. ت)، ص ص ٤٢ - ٤٤.

(١٦) ينسب القلقشندي (المصدر السابق، ٣ / ٤٦) هذا التصور الى النظام (ابراهيم بن سيار البصري، ت ٢٣١هـ / ٨٤٥ م).

(١٧) ابراهيم ابن المدبر، ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٣ م: الرسالة العذراء، تـ: الدكتور زكي مبارك، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣١)، ص ١٤.

(١٨) حنش: المرجع السابق، ص ص ١٣ - ١٤.

(١٩) ينظر: ابو نصر محمد بن محمد الفارابي، ت ٣٣٩هـ / ١٠٠٤م: إحصاء العلوم، تـ: الدكتورعثمان امين، (القاهرة، مكتبة الانكلو المصرية، ١٩٦٨)، ط ٣، ص ٦٤.. وكذلك: محمد بن احمد الكاتب الخوارزمي، ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م: مفاتيح العلوم، نشر: لويس شيخو اليسوعي، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٧) ط ١، ص ٣٦ وما بعدها.

(٢٠) ينظر: اخوان الصفا: رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٧)، ج١، ص ٢١٦.. وكذلك: عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م: المقدمة، (بيروت، دار الفكر،، د. ت)، ص ٣٣١.

(٢١) احمد بن مصطفى طاش كوبري زادة، ت ٩٦٨هـ/ ١٥٦٠ م: مفتاح السعادة ومصباح السيادة، تـ: كامل كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، د. ت)، ج ١، ص ص ٨٥ - ٩٣.

(٢٢) المصدر نفسه.

(٢٣) سيف الدين بن يحيى ابن الحفيد التفتازاني، ت ٩١٦هـ / ١٥١٠م: الدر النضيد، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٠)، ص ص ٨ - ٩.

(٢٤) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، ت ١٠٦٧ هـ / ١١٦٦ م:

كشـــف الظنون عن أســـامي الكتب والفنون، (بغداد، مكتبة المثنى، د. ت) ط (مصورة بالاوفسيت)، ج ١، ص ص ٧٠٧ - ٧١٤.

(٢٥) المعزابـــن باديس، ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م: عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تـ: عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي، مجلة معهد المخطوطات العربية، (مجلة. القاهرة)، ١٩٧١، مج ١٧، ص ٧٥.

(٢٦) طاش كوبري زادة: المصدر السابق، ١ / ٨٥.

(٢٧) الهيتي: المصدر السابق، ص ١١.

(٢٨) ينظر رســـالة ابـــن مقلة، في: ناجـــي: ابن مقلة، مرجع ســـابق، ص ١١٩.

(٢٩) ابو الفضـــل محمـــد بن مكرم ابن منظـــور، ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م: لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٥)، ج ٣، ص ٤٦٢.

(٣٠) المعجم العربي الاساسي، مصدر سابق، ص ٧٤٤.

(٣١) الدكتـــور مصطفى جـــواد: المباحث اللغوية في العراق ومشـــكلة العربية المعاصرة، (بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٥) ط ٢، ص ٤.

(٣٢) الشيخ احمد رضا: معجم متـن اللغة، (بيروت، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٩)، ج ٣، ص ٤٧٨.

(٣٣) ابو الحســـن علـــي بن حبيب الماوردي البصري المـــاوردي، ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م): ادب الدنيا والدين، تـ: مصطفى الســـقا، (بغداد، مطبعة اوفسيت الميناء، د. ت)، ص ٢٥٦.

(٣٤) الاختـراع: مصطلح بياني يقصد به.. ايجاد معنى وأسـم لم يسبق اليه. ينظر مثلاً: ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن وهب الكاتب، ت

٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م: البرهان في وجوه البيان، تـ: الدكتوراحمد مطلوب و الدكتورة خديجة الحديثي، (بغداد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٧) ط ١، ص ١٥٨ .. وكذلك: ابو الحســن علي بن محمد الجرجاني، ت٨١٦ هــ / ١٤١٣ م: التعريفــات، تـ: الدكتور احمد مطلــوب، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٣)، ص ٢٢.

(٣٥) ينظر: حنش: المرجع السابق، ص ص ٢٢ – ٢٣.

(٣٦) الدكتورعبد السلام المســدي: قاموس اللسانيات، (بيروت، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤)، ص ١١.

(٣٧) ينظر: الدكتورعلي القاســمي: مقدمة في علم المصطلح، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٥) ط ١، ص ١٧.

(٣٨) القلقشندي: المصدر السابق، ٣ / ١٦٨.

(٣٩) عبــد اللــه بن جعفر بن درســتويه، ت ٣٤٧ هــ / ٩٥٨ م: كتاب الكتاب، نشــر لويس شيخو اليسوعي، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٧)، ط ١، ص٧.

(٤٠) ينظر: غانم قدوري الحمد: رســم المصحف، (بيروت، مؤسســة المطبوعات العربية، ١٩٨٢)، ط ١، ص ١٥٧.

(٤١) القلقشندي: المصدر السابق، ٣ / ١٦٨.

(٤٢) المصدر نفسه، ٣ / ١٦٨ – ١٦٩.

(٤٣) عبد الرحيم بن علي بن شيت القرشي، ت ٦٢٥ هـ / ١٢٢٧: معالم الكتابة ومغانم الاصابة، تـ: محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨) ط ١، ص ٣٣.

(٤٤) عبــد الله بن مسـلم بن قتيبــة الدينوري، ت ٢٧٦هــ / ٨٨٩م: ادب الكتاب، تـ: محمد محيى الدين عبد الحميد، (مصر، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٣)، ط ٤، ص ٢٠٠.

(٤٥) علــي بــن خلف الكاتب، ت بعــد ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م: مــواد البيان، تـ: الدكتور حاتم صالــح الضـامن، المورد (مجلة تراثية فصلية محكمة. بغداد)، ١٩٩٠، مج ١٩، ع ١، ص ١٢٦.

(٤٦) الجرجاني: المصدر السابق، ص ١٦.

(٤٧) محمد علي الفاروقي التهانوي، ت بعد ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥م: موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون، (بيروت، شركة الخياط للكتب والنشر،، د. ت)، ص ٨٣٥.

(٤٨) ينظــر: محمــد بن ابي بكر بن عبد القــادر الرازي، ت ٦٦١ هـ م ١٢٦٢ م: مختار الصحاح، (بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت)، ط ١، ص ٥١٣.

(٤٩) ســيد حســين نصر: مباديء فن العمارة الاســلامية والمشكلات الحضرية المعاصــرة، في: مقالات في الفنون الاســلامية، (الاردن، معهد الفنون الاسلامية ومؤسسة آل البيت للفكر الاسلامي، د. ت)، ص ١٤٩.

(٥٠) ينظر مثلا: الدكتور عفيف البهنســي: معجم مصطلحات الفنون، (بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨١)، ط ٢، ص ص ١١١ – ١١٢.

(٥١) ابن منظور: المصدر السابق، ١ / ١٥٦.

(٥٢) المصدر نفســه، ١٠ / ٣٤٤ – ٣٤٥.

(٥٣) ينظر: حنش: المرجع السابق، ص ص ٥٥ ٨١-.

(٥٤) ينظر على سبيل المثال لا الحصر: سيد ابراهيم: فن الخط العربي، (القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٦٣)، ط ٢.. وكذلك: معمر اولكر: فن الخط التركي،(استانبول ١٩٧٦).. وكذلك: تركي عطية الجبوري: فن الخط العربي الاسلامي، (بيروت، دار التراث الاسلامي، ١٩٧٥).. وكذلك: مصطفى اوغور درمان: فن الخط، ترجمة: صالح سعداوي صالح، (استانبول، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، ١٩٩٠) ط١.. وهناك آخرون.

(٥٥) إدهام محمد حنش: الخط العربي في الوثائق العثمانية، (الاردن، دار المناهج، ١٩٩٨)، ص ٨٩.

(٥٦) ابوهلال العسكري، ت ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م: الأوائل، (بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٨٧)، ص ٥٧.

(٥٧) الدكتورمحيى الدين سيرين: صنعتنا الخطية، (دمشق، دار التقدم، ١٩٩٣) ط ١.

(٥٨) عثمان الكعاك: الخطاطة التونسية، المكتبة العربية (مجلة. القاهرة)، ١٩٦٥، مج ١، ع ٣، ص ١٩.

(٥٩) محمد المنوني: العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين، (الرباط، دارالمغرب، ١٩٧٧)، ص٢٧١.

(٦٠) ناجي زين الدين: مصور الخط العربي، (بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٦) ط ٢، ص ٣٣٦.. وكذلك: الدكتور عبد العزيز الدالي: الخطاطة، (القاهرة،مكتبة الخانجي، ١٩٨٠).

(٦١) ينظر: معجم علم اللغة، اللسان العربي (مجلة. مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي. الرباط)، ١٩٧٥،، مج ١٥، ج ٢، (عدد خاص بالمعاجم)، ص ٣٠.

[٦٢] ينظر: اخوان الصفا: المصدر الســابق، ٣ / ١٤٤. وكذلك: ابن مقلة: المصدر السابق، في: ناجي: المرجع السابق، ص ١٢٠ ١٢٢–.. وكذلك: حســين بن ياسين بن محمد الكاتب، من علماء القرن الثامن الهجري / الرابع عشــر الميلادي: لمحــة المختطف في صناعة الخط الصلف، تـ: هيا محمد الدوســري، (الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٩٢)، ط ١، ص ٤٩ – ٥٠.

[٦٣] التوحيدي: المصدر الســابق، ص ٢٩. وكذلك: ابن خلف الكاتب: المصدر السابق، ص ١٢٥.

[٦٤] ابن مقلة: المصدر السابق، في: ناجي: المرجع السابق، ص ١١٩.

[٦٥] اخوان الصفا: المصدر السابق، ١ / ٢٤٩.

[٦٦] ينظر: حنش: الخط واشكالية المصطلح (مرجع سابق)، ص ص ٥٥ – ٧١. ويراجع بخاصة: التوحيدي: المصدر السابق، ص ٣٢ – ٣٣.

[٦٧] درمان: المرجع السابق، ص ١٩.

[٦٨] ينظــر: وليد الاعظمي: جمهرة الخطاطــين البغداديين، (بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٩٨٩) ط ١، ج ١، ص ص ٢٢٣، ٢٣٥، ٣٨٦، ٣٩٩.

[٦٩] ينظــر: عبد الواحد ذنون طه: مجتمع بغداد من خلال حكاية ابو القاسم البغدادي، المورد، ١٩٧٤، مج ٣، ع ٤، ص ٢٢.

[٧٠] القامــوس الجديد، (تونس، الشــركة التونســية للتوزيع، ١٩٧٩) ط ١، ص ٣١٤.

[٧١] الدكتورحســن الباشا: الفنون الاســلامية والوظائف على الاثار الإسلامية، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٥)، ج١، ص ٤٧٤.

[٧٢] ينظر: حنش: الخط في الوثائق (مرجع سابق)، ص ١٢٤ – ١٢٥.

[٧٣] احمد بن محمد بن المختار الرازي، ت ٦٦٦هـ / ١٢٦٧م: رسالة في حروف العربية، تـ: رشيد عبد الرحمن العبيدي (الدكتور)، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٤، مج ٢٠، ج ١، ص ٩٣ – ٩٤.

[٧٤] ينظر: حنش: الخط واشكالية المصطلح (مرجع سابق)، ص ص ١١٤ – ١١٥.

[٧٥] منهاج الاصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة، تـ: هلال ناجي، المورد، ١٩٨٠، مج ١٥، ع ٤، ص ٢٢٣ – ٢٣٧.

[٧٦] ابن النديم: المصدر السابق، ص ٩ – ١١.

[٧٧] راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله الى العربية: الدكتور ابراهيم امين الشواربي و الدكتورعبد النعيم محمد حسين والدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، (القاهرة، دار القلم، القاهرة ١٩٦٠)، ص ٨٦.

[٧٨] ينظر: حنش: الخط وإشكالية المصطلح (سابق)، ص ٩٩ – ١٠٢.

[٧٩] ابن درستويه: المصدر السابق، ص ٧٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢٧.

[٨٠] المؤدب الضرير البغدادي: كتاب الكتاب وصفة الدواة وتصريفها، تـ: هلال ناجي، المورد، ١٩٧٣، مج ٢، ع ٢، ص ٤٧.

[٨١] ابن المدبر: المصدر السابق، ص ٢٤ – ٢٥.

[٨٢] ابن وهب الكاتب: المصدر السابق، ص ص ٣٤٤ – ٣٤٥.

[٨٣] ابن النديم: المصدر السابق، ص ٩ – ١٠.

(٨٤) التوحيدي: المصدر السابق، ص ٩، ص ٣٠.

(٨٥) مجهول: رسالة في الكتابة المنسوبة، تـ: الدكتور خليل محمود عساكر، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٥، مج ٧، ج ١، ص ١٢٦.

(٨٦) ابن باديس: المصدر السابق، ص ٧١.

(٨٧) القلقشندي: المصدر السابق، ٣ / ١٢.

(٨٨) محمد بن حسن الطيبي، ت ٩٠٨ هـ / ١٥٠٢ م: جامع محاسن كتابة الكتاب، تـ: الدكتور صلاح الدين المنجد، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٢)، ص ص ٢٢ - ٢٣.

(٨٩) الراوندي: المصدر السابق، ص ١٥.

(٩٠) ينظر: حبيب الله فضائلي: اطلس الخط والخطوط، ترجمة: الدكتور محمد التونجي، (دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٩٣) ط١.

(٩١) Anne Marie Schimmel: Calligraphy & Islamic Culture,(London ١٩٩٠) , pv

(٩٢) ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٣٣١.

(٩٣) هوداس: محاولة في الخط المغربي، ترجمة: عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية (مجلة)، ١٩٦٣، ع ٣، ١٩٦٣، ص ١٧٥.

(٩٤) حنش: الخط في الوثائق (سابق)، ص ص ١١٥ - ١٧٧.

(٩٥) ينظر: ادهام محمد حنش: الخط العربي واشكالية النقد الفني، (بغداد، دار الأمراء للنشر والتوزيع، بغداد ١٩٩٠) ط ١، ص ١١١.

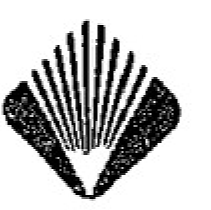
(٩٦) الدكتـور عاصـم محمـد رزق: معجـم مصطلحـات العمـارة والفنون الاسلامية، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠)، ط ١، ص ص ١٨٢ – ١٨٣.

(٩٧) ولعل من الاهمية هنا ان نشـير الى ان هذه الألفاظ / الاسـماء / المصطلحات هي مصنفات مكتبية حديثة لاصول الكتب والرسائل الخطية التراثية بالدرجة الاولى، ولم يبدُ انها كانت مستخدمة قديماً، لا عند المصنفين العرب والمسلمين الاوائل، ولا عند اهل الخط.

(٩٨) ينظـر: حنش: الخط في الوثائق (سـابق)، ص ص ١٤٥ – ١٥٢، ٢٠٠ – ٢١٩.

(٩٩) الزفتاوي: المصدر السابق، ص ١٩٥.

(١٠٠) ينظر: محمد بن سـعيد شـريفي: اللوحـات الخطية في الفن الإسـلامي، (دمشق – بيروت، دار ابن كثير / دار القادري، دمشق / بيروت ١٩٨٨) ط ١، ص ص ٤٧ – ٦٤.



الفصل الثاني

الخط الكوفي
وحدود المصطلح الفني

الخط الكوفي
وحدود المصطلح الفني

١ - مقدمة:

١ - ١ / شكل الخط العربي:

عكف دارسو الخط العربي على النظر العلمي والمعاينة العملية في الوثائق الخطية العربية: الآثارية والعمارية والمصحفية وغيرها.. وعلى التنقيب في الرسوم والأشكال الكتابية البادية في خط هذه الوثائق، لمعرفة خصائص الأداء والحركة والشكل فيه. وتكاد أغلب دراساتهم الآثارية، والتاريخية، واللغوية، والفنية، وغيرها تجمع تقريباً على أن الشكل الأول للخط العربي كان في مراحله الأولى والمبكرة حتى القرن الأول الهجري / السابع الميلادي يتوفر على خاصيتين بارزتين هما: (اليبوسة) و(الليونة)[1].

ولم يكن هناك من خلاف أو اختلاف يذكر في هذا الشأن بين دارسي الفنون الاسلامية بعامة، ودارسي الخط العربي بخاصة، سوى الإختلاف في مسألة أولوية أو أقدمية أو أسبقية كلٍ من(اليبوسة) أو (الليونة) في الطبيعة الصورية الغالبة على شكل الخط الذي كان للعرب عند إطلالة القرن السادس الميلادي، وأطلق عليه "علماء الساميات: الخط العربي"[2]، وزاد عليه بعض الباحثين تعريفه: "الخط العربي المعياري" [3] الذي ربما يقصد منه: الإستقرار اللغوي الرمزي لشكل الخط وصور الحروف في الكتابة العربية المبكرة[4].

وقد دارت آراء هؤلاء الدارسين بشأن هذه المسألة على مدار النقاط الآتية:

١- غلبة اليبوسة المطلقة تقريباً على شكل الخط العربي الأول،

وكمون ليونة نسبية في ثنايا هذا الشكل الذي صار يوصف غالباً باليابس، أي أن اليبوسة سابقة شكلاً وغالبة حضوراً على الليونة في شكل هذا الخط. وعلى الرغم من أن هذا الرأي لاينكر أو يتنكر لوجود الليونة في هذا الشكل، إذ يقر بوجودها القليل الواضح مجتمعة مع اليبوسة فيه.. فإن هذا الرأي يميل إلى أن هذه الليونة طارئة على هذا الشكل، لأنها كانت نتيجة السرعة في الكتابة ليس أكثر، واستثنائية لأنها لم تكن قصداً فنياً ووظيفياً فيه، كما إنه ليس هناك في المدونات التاريخية إشارة إلى وجود هذه الليونة، على نحو مستقل، قبل اليبوسة، ولا حتى على نحو معاصر لها[٥]. ويكاد هذا الرأي أن يكون هو الرأي السائد والمتواتر عند أغلب هؤلاء الدارسين.

٢- أسبقية أو أقدمية الليونة على اليبوسة في شكل هذا الخط[٦] الذي كان في الأصل أو في مرحلته التاريخية الأولى في ما قبل الاسلام، على الأقل، ليناً بالكامل، اكتسب اليبوسة بالتسوية صفةً جديدةً تتعلق بطريقة التنفيذ في رسم الحروف وفق المسارات الهندسية، المستقيمة والمستديرة، التي نقلت إلى الخط العربي المبكر هذا الشكل اليابس المبسوط[٧].

٣- إن اليبوسة والليونة في شكل الخط العربي "... كانا يعيشان معاً في زمن واحد، ويسيران في خطين متوازيين، ولايمكن أن يكون أحدهما متطوراً عن الآخر"[٨].. سابقاً له أو لاحقاً عليه، بل إن هاتين الخاصيتين تشكلان معاً الملمح المشترك الرئيس لشكل هذا الخط الذي تكامل نسبياً في حدود القرن السادس الميلادي.

ولكن تعدد هذه الآراء وتباينها الواضح في تحديد طبيعة الشكل الأول للخط العربي لم يمنع أغلب هؤلاء الدارسين، على اختلاف اهتماماتهم وتوجهاتهم، عند دراسة الخط العربي في هذه الحقبة، وكذلك تطوره في ما بعد، من تغليب (اليبوسة) على (الليونة) في هذا الشكل، وتسميته، من باب التغليب ايضاً، بـ (الخط الكوفي)[٩] مصطلحاً عاماً.

١ - ٢ / الخط الكوفي.. إشكالية المصطلح:

وقـد يخلص المتتبـع لواقع هـذا المصطلح في بعض الدراسـات التاريخية، واللغوية، والآثارية، وغيرها من الدراسات المتعلقة، بصورة مباشـرة أوغير مباشـرة، بالخط العربي، الـى أن مصطلح (الخط الكوفي) يواجه، الى حدٍ ما، إشكالية معرفية في تباين حدوده الفنية والمفهومية، لاسـيما وإن أغلب هذه الدراسـات ينطلق في فهم هذا المصطلـح وفي التعامل معه من حقيقة أن (الخط الكوفي) يقوم على شكلٍ كتابي تغلب عليه التزوية واليبوسة الجافة.

وربما تتضح هذه الإشكالية، على نحوٍ أكثر، في المجالين التطبيقي والنظـري للكتابة العربية، إذ تبدو في المجال التطبيقي الأول متمثلةً في تلك الدراسـات التي تردُ أغلبَ.. إذا لم نقل كلَّ النقوش الكتابية العربية البكر قبل الإسلام، وترد كذلك الكتابات الوثائقية والمصحفية والمسـجدية المبكرة في بدايات ظهوره الأولى في ما قبل الكوفة (١٧ هـ/ ٦٨١ م)، وترد أيضاً الكتابات التذكارية على العمائرالاسـلامية المختلفـة التي أُنجـزت في ما بعد الكوفـة، مفهوماً وتسـميةً، الى مصطلح (الخط الكوفي).

وكان هذا الرد جملةً دون تفريق، على صعيدَي المفهوم والتسمية، جملةً تكاد تكون واحدة.. دون كبير تفريق بين هذه الكتابات كلها على الرغم من التباينات الشـكلية والوظيفيـة والمكانية والزمانية القائمة بينها.

ولعل بالإمكان ملاحظة السـبب العلمي الرئيـس لهذا الرد ماثلاً في غلبة المنهج التاريخي – الآثاري على هذه الدراسات. وهذا المنهج يقوم على تحليل النقوش الكتابية على الأبنية والشـواهد والأضرحة والنقـود والمواد الآثارية الأخرى، فقامت أغلب هذه الدراسـات على تحليل مثل هذه النقوش الكتابية العربية المحصورة في دائرة تاريخية لا تتجاوز القرن الأول الهجري / السـابع الميلادي مادةً لدراسة شكل

الخط العربي و تطوره الدلالي والتأريخي. وقد حرص بعض دراسات هــذا المنهج علــى توفير علاقةٍ، من نوعٍ ما، فــي ما بين الخطوط أو الكتابات الإنســانية بصورة عامة، ومنهاً الخط العربي الذي حاولت هذه الدراسات الآثارية جهدها للوصول الى رد أصل هذا الخط الى أصول كتابية أخرى، أقدم منه، من أبرزها: الخط السرياني، والخط النبطــي[١٠]، وخط المســند الحميــري الجنوبي، والخط الســينائي السامي[١١]، والخط الحضري[١٢].

ويمكن القول إن هذه الدراســات كانت تســعى الى تحديد الأصل التاريخي المبكر لشكل (الخط العربي) الأول[١٣].. أو إنها كانت عبارة عن محاولات علمية على هذه الطريق.

أما المجــال النظري الذي تبــدو فيه هذه الإشــكالية فيتمثل في التبايــن أو الاضطراب في ما بين مفهومين إثنين رئيســين لمصطلح (الخط الكوفي):

أحدهمــا - مفهــوم تراثي قديم يدل على أن هــذا الخط كان هو (الخــط العربي) بعامة، والمجود منــه بخاصة.. الموصوف بـ (الجليل المبســوط)[١٤] و(المحقق)[١٥]، وهو المرجعية الفنية للكتابة والخط عند العرب والمسلمين، حيث "كانت العبرة في زمانهم بتعيين قواعد الخط الكوفي وأنواعه"[١٦].

و ثانيهمــا - مفهــوم حديــث ومعاصر يتلخص فــي كون (الخط الكوفي) "نوعاً من أنواع الخط العربي"[١٧] أو تعبيراً عن ما يشــبه المنظومة الخطية المترابطة في الشكل والقواعد.

ولعل الســبب العلمــي الرئيس في هذا التباين، يتمثل في شــحة الإشارات التاريخية الدقيقة والواضحة إلى الخط الكوفي في المصادر العربيــة الأولى، اللغوية والفنية وغيرها من المصادر، التي إنشــغلت، بصورة خاصة، بصنعة الكتابة في دواوين الدولة العربية الإســلامية

وبطبيعة الخط وخصائصه وشروطه وأنواعه الفنية والوظيفية.

وربما أدت هذه الشحة الى ترك المجال مفتوحاً للأجتهاد العلمي لدارسي هذا الخط المتأخرين، المحدثين والمعاصرين، في وضع هذا المصطلح على طريق معرفية تنطلق تاريخياً من بعض الأصول الآثارية التي أشرنا اليها في النقطة الأولى من هذه الإشكالية، وتمضي، في الوقت ذاته، في مسار النقطة الثانية أو النظرية منها.

١-٣ / المصطلح الفني.. المنهج والحل:

ومن هنا، يمكن القول إن حل هذه الإشكالية ربما يحتاج الى مزيد من البحث في (الخط الكوفي)، لاسيما وأن هذا المصطلح بوصفه واحداً من مصطلحات الخط العربي وموضوعاته الفنية، مايزال لم يأخذ حظه المناسب من الدراسة العلمية المعمقة التي تكشف بالبحث واقعه في المعرفة الكتابية والخطية العربية، وتعمل على تحليل آثاره المختلفة، وتحولاته المتعاقبة على أصعدة الشكل والوظيفة والتسمية، وصولاً الى تمييزه عن عموم أشكال الخط العربي وأنواعه وأساليبه الكتابية.

ولذلك يحاول هذا البحث المتواضع القيام بذلك هنا من خلال منهج فني يجعل دراسة الظاهرة الخطية (الكوفية) وصيرورتها المعرفية أكثر توفيقاً في بيان طبيعة هذا الخط، وتحديد مكانته في المعرفة الخطية العربية. ويقوم هذا المنهج على البحث في شكل الخط العربي وطبيعته الصورية ونظريته الفنية التي تقوم، في جزء كبير منها، على مطالب: التجليل، والتحقيق، والتزيين، والتنوع، والوزن، والتناسب، وغيرها لتجويد الخط العربي وتحسينه على ما يسميه بعض فقهاء فن الخط العربي بـ(الأصول والقواعد) التي هي بمثابة القانون العلمي لبناء (حسن الخط) الذي هو جوهر(المصطلح الفني) للخط العربي.

٢- دراسة (الخط الكوفي):

يمكن القول إن دراسة هذا الخط جاءت منذ القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، بطريقين: أولهما غير مباشر من خلال الدراسات الإستشراقية الآثارية، وثانيهما مباشر من خلال الدراسات العربية الفنية المعنية بالخط الكوفي بشكل كلي ومباشر:

أولاً: الدراسات الآثارية التي ربما كان بعض المستشرقين من أوائل الذين درسوا النقوش الكتابية العربية الأولى، وآستخدموا مصطلح (الخط الكوفي) في التعبيرعن تلك النقوش. ولعل من أوائل هؤلاء المستشرقين: الألماني نولدكه Theodor Noeldke (ت١٣٢٩هـ/ ١٩٣٠م) الذي رد في عام (١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م) أصل "الخط الكوفي" الى الخط النبطي.. والإنكليزي ستاركي J. Starkey (ت١٣٥٧هـ/١٩٣٨م) الذي ردَّ، بعد سابقه بنصف قرنٍ تقريباً، أصل "الخط الكوفي" إلى الخط السرياني (الإسطرنجيلي)[١٨].

وقد مضى العديد من الباحثين الآثاريين بخاصة، وغيرهم أيضاً، على نتائج هذه الدراسات الآثارية في الرؤية العامة الى هذا الخط، وفي منهج دراسته، حتى اليوم[١٩].

ثانياً: الدراسات الفنية التي ربما كان يوسف أحمد (ت١٣٦١هـ/ ١٩٤٢م) أول من حاول عام (١٣٠٨هـ/ ١٨٩١ م) الشروع فيها من خلال فك غوامض بنية (الخط الكوفي) الفنية بواسطة قاعدة المربعات[٢٠] الهندسية لتقليد بعض الكتابات "الكوفية" المسجدية القاهرية عبرالحقب التاريخية المختلفة.

أن الدراسات المعنية بهذا الخط، بشكل كلي ومباشر، ماتزال قليلة جداً. ويمكن القول إن الدراسات العربية الحديثة والمعاصرة المتخصصة، فنياً، بهذا الخط كانت قد بدأت مع جهود رائد دراسات هذا الخط الآثارية والفنية في العصر الحديث: الآثاري والخطاط المصري يوسف احمد. ولكن هذا الباحث الآثاري الخطاط لم يخرج

عن نظرية بعض المستشرقين في رد أصل هذا الخط الكوفي إلى الخط النبطي، سوى أن أهل الحيرة أو الأنبار كانوا قد إشتقوا من هذا الخط النبطي "خطاً سمي بالحيري أو الأنباري، وسمي فيما بعد بالخط الكوفي" على حد قوله.

ويذهب يوسف أحمد الى أن هذا الخط كان قد تطور على أساس مقولتي:

- تشابه الشكل بين كل أنواع الخط العربي الأولى (الحيري، والأنباري، والمكي، والمدني، والبصري، والكوفي)..

- وتغليب تسمية (الكوفي) على كل هذه الأنواع الخطية، وما آلت اليه تجويداً في الشكل وإستخداماً في الوظيفة..

لأن التأنق في الخط والإجادة فيه وتحسينه كان قد جرى في الكوفة، وتطور فيها، وانتشر منها الى المدن الإسلامية الأخرى، الشامية والمصرية، حتى "توجهت العناية في بغداد الى تجويد الخط الكوفي.. مع بقاء تسميته بالخط الكوفي".

وكانت أول بوادر الخروج "من قيود الخط الكوفي"، حسب رأيه، في أواخر العهد الأموي (٤٠ -١٣٢هـ / ٦٦٠ - ٧٤٩م) بإختراع قطبة المحرر (ت١٥٤هـ/ ٧٧٠ م) " الخط الجليل "ومشتقاته التي كان لتناسلها المتواصل، فنياً ووظيفياً، سبب رئيس ومباشر في ما سماه يوسف أحمد بـ (رقود الخط الكوفي) على مدى قرون عديدة إمتدت الى منتصف القرن الثاني عشر الهجري / القرن الثامن عشر الميلادي حيث بانت بوادر (إحياء الخط الكوفي)[٢١].

وعلى الرغم من أن هذا الرجل كان آثارياً في عمله، فإنه كان فنياً تطبيقاً calligrapher في منهجه لدراسة (الخط الكوفي) التي عززها، على ذات الرؤية والمنهج الفنيين، تلامذته بإتجاهاتٍ ثلاثة متكاملة في بناء (المصطلح الفني) لهذا الخط:

الأول: التاريخ الفني لـ (الخط الكوفي) الذي يعالج ظهوره وتطوره وأنواعــه، وكانت جهــود الدكتور زكي محمد حســن رائدة في هذا المجال، إذ كان قــد الف عدداً من الكتب التي عنيت بالخط الكوفي من حيث النشأة والطبيعة والتطور والتنوع وغير ذلك من جوانب الفن التاريخية.

الثاني: (الأصول والقواعد) والشروط النظرية، الجمالية والفنية، لــ (حســن الخط) (الكوفــي). وقد تمثــل هذا الإتجاه في دراســة الدكتورابراهيــم جمعة العلمية الرائــدة لتطورالكتابات الكوفية على الأحجارفي مصرفي القرون الخمســة الهجرية الأولى[٢٣] / الحادي عشــر الميلادي، إذ حــاول فيها تطبيق نظرية (النســبة الفاضلة)[٢٤] علــى هذه الكتابــات، ولكنه وجد إنطباقها على عــدد قليل جداً من حروف هــذه الكتابات الكوفية، فاندفع الى محاولة إفتراض نســبة هندســية رياضية متوسطة خاصة لقياس الأشــكال الفنية لحروف الخــط الكوفي، وحددها بأن تكون نســبة عرض الألــف الى طوله بمقدار (١ : ٧)[٢٥].

الثالث: تقعيد أبجدية كتابية فنية خاصة لحروف (الخط الكوفي) على يــد الخطاط محمد عبد القــادر (ت ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) الذي كان أول من وضع أبجديــة تعليمية لـ (قواعد الخط الكوفي)[٢٦] عام ١٣٦٧هـ/١٩٤٦م، وأول من درّس هذه القواعد في (مدرســة تحسين الخطــوط الملكية) المصرية، مركزاً علــى الأبجدية الخطية التعليمية لنوعين إثنين أساســيين مــن أنواع الخــط الكوفي همــا: (الكوفي البسيط) و (الكوفي المروس). (ينظر: الشكل رقم ـ ٧).

٣- مصطلح (الخط) ما قبل (الكوفي):

تفيد بعض المصادر اللغوية والتاريخية العربية الأولى، بكل وضوح، بــأن العرب في مرحلة ما قبل الإســلام، وربما فــي بواكيره الأولى

أيضاً، كانوا قد اصطلحوا على خطهم الأول إسم (الجزم)[٢٧]. ويمكن عد هذه التسمية تمييزاً له عن:

أولاً: الأصول الكتابية الأخرى الأسبق منه، سواء منها تلك التي قيل: إن الخط العربي كان قد اشتق منها، أو كان قد تأثر بها على الأقل، وبالأخص منها الخطان: (المسند الحميري الجنوبي) و(النبطي الشمالي)، وربما عن الخطوط الأخرى التي كانت شائعة آنذاك، فعاصرها في جيل كتابي واحد.. إذ يبدو مصطلح (الجزم) هذا دقيقاً في التعبير عن طبيعة الشكل الأولى للخط العربي المتمثلة في (اليبوسة) الغالبة، وأكثر دلالة عليها، فإذا ما وقفنا مع أهل اللغة والمصطلح عند معنى (الجزم) ودلالته، نجد انطباقه اللغوي والدلالي التام على الخط العربي الذي "كان يسمى في الجاهلية [بهذا الاسم] لأنه: انجزم أي انقطع"[٢٨] أولاً عما سواه من تلك الخطوط، وبخاصة (المسند) الذي كانت طبيعته الشكلية تقوم إلى حد ما على اليبوسة الهندسية المطلقة التي يذكر بأن خط (الجزم) العربي كان قد أخذ يبوسته منها من خلال اقتباسه طريقة الأداء أو التنفيذ في الكتابة[٢٩] مما أدى إلى إنتاج (شكل) جديد، ومميز، ومختلف له، لاسيما وأن معنى "الجزم في الخط: تسوية الحروف"[٣٠] أي بسطها وهندستها التي يصعب أداؤها وتنفيذها إلا بـ "قلم جزم: لا حرف فيه"[٣١].. أي قلم ذي سنين مستويين غير محرفين في القط[٣٢]. وربما لذلك، وصف الخط العربي الأول أو خط الجزم بأنه خط أو "قلم مبسوط"[٣٣] يقوم في الغالب على: اليبوسة، والبسط، والتربيع في الزوايا، وكثرة المستقيمات، وسماكة أشكال الحروف.

ثانياً: أسلوب كتابي عربي آخر، معاصر له، يقوم على: الليونة، والتقوير، والتدوير في الزوايا، والمنحنيات، ورشاقة أشكال الحروف، ورقتها، وغير ذلك من خصائص المرونة والسرعة والخفة في الأداء، والصغر في الحجم.. عرف، عند أهل اللغة والكتابة على حد سواء، بمصطلح (المشق)[٣٤] معادلا موضوعياً، وموازياً معرفياً، ومقابلاً لغوياً، لمصطلح (الجزم) من حيث تباين: القلم، والأداء، والشكل، والوظيفة.

لم يرقَ (المشق) إلى مستوى (الجزم) في الاستخدام أو التبني العربي والإسلامي الرسمي المبكر: صفةً، وشكلاً، ووظيفةً، ومصطلحاً للخط العربي الأول، اذ تجيء المواقف والنصوص لتؤكد على أن (المشق) هو "شر الكتابة"[٣٥]، وهو القول الذي ربما يعبر، إلى حد كبير، عن رؤية وموقف جمعيين، كان المسلمون الاوائل قد تبنوهما بالنهي عن استخدام (المشق) في كتابة المصحف الشريف بخاصة[٣٦]. وربما كان هذا النهي هو السبب الرئيس في السلوك الكتابي التدويني الأول للمسلمين، وبخاصة منهم كتبة الوحي القرآني[٣٧] الذين ربما كانوا يرون في "الصورة الكوفية للخط جلالاً يتناسب مع جلال القرآن"[٣٨]، وربما لهذا السبب "كانوا يستعملون الخط اللين (المشق) في كتابتهم وهم في حضرة النبي صلوات الله عليه، فإذا ما رجعوا إلى منازلهم.. أعادوا ما كانوا قد كتبوه، بالخط اليابس (الجزم) الذي يتطلب اطمئناناً وتأنياً"[٣٩].

ويبدو أن "الجزم خطنا هذا العربي"، كما يصفه نصاً غير واحد من المصادر اللغوية والتاريخية العربية المهمة[٤٠]، هو (المصطلح الفني) الأول والمبكر للخط العربي على الرغم من قدم المسند وانتقاله بشكل متغير بعض الشيء في الكتابات الثمودية واللحيانية والصفوية في شمال الجزيرة العربية وجنوب بلاد الشام[٤١]، حيث عثر الآثاريون في بادية الاردن الجنوبية مثلاً على العديد من نقوش الخط العربي المبكرالمكتوبة على أنقاض نقوش هذه الكتابات[٤٢].. وعلى الرغم من أسبقية وجود الكتابة في الحواضرالعربية الشمالية كالانبار والحيرة[٤٣] وغيرهما وانتقاله إلى الحواضر العربية الأخرى، وبالذات مكة والمدينة، واستمراره في الحواضر الإسلامية اللاحقة كالبصرة والكوفة.. إذ تشير الروايات إلى أن "أهل الحيرة خطوا الجزم، وهو خط المصاحف، وتعلمه منهم أهل الكوفة"[٤٤]، كما تشير روايات أخرى الى أن العرب في ما قبل الإسلام" كانوا يفتنون في خطوطهم وكتاباتهم، ويحبرونها، ويذهبون فيها مذاهب من التجويد والإتقان. وكان هذا الخط المجود المحبر المتقن يوصف بالترقيش، والنمنمة، والرقم، والوشم، والتنميق"[٤٥].

ومن هنا، يبدو أن هذا (الجزم) ظل هو المصطلح السـائد، شكلاً وتسمية، في تغطية الخط المجود في كل هذه البيئات الكتابية العربية الأولى التي أثبت البحث الآثاري والفني تشابه أشكال خطوطها وتماثل صور حروفها[٤٦]، على الرغم من التسـمية اللاحقة لهذه الاشـكال والصور الخطية، على سـبيل التخمين والافتراض ليس إلا، بأسماء هذه البيئات: (الأنبـاري) و(الحيري) و(المكي) و(المدني) و(البصري) وصولاً إلى (الكوفي) الذي شكل مصطلحه انعطافة أولى في السيرة الفنية للخط العربي.

٤- مصطلح (الخط الكوفي):

٤-١ / الحدود التاريخية والمعرفية:

سـبق ابن وحشية (الكوفي المولد: أبو بكر أحمد بن علي، ت ٢٨٣ هـ / ٩٠٣م) كلَّ أحـدٍ نعرفه من مؤرخي الخـط العربي وفقهائه الى ذكر(القلم الكوفي) مصطلحاً عاماً يشـير الى (الخط العربي) المشـرقي تحديداً، إذ يورد في كتابه (شـوق المسـتهام الى معرفة رموز الأقلام)[٤٧] هذا المصطلح إلى جانب ما أسـماه (القلم المغربي، وهو الأندلسي).. عنوانين إثنين متباينين لأبجدية الخط العربي[٤٨]. (ينظر: الشكل رقم - ٨).

ويمكـن أن نقول، من هنا، إنَّ الحدود التأريخية لهذا المصطلح ترتد الى ما قبل ذكره هذا، لا سـيما وإن إشـارة إبن وحشية العامة إلى أن هذا (القلم الكوفي) هو "الذي وضعه سـيدنا إسـماعيل عليه السلام، وهو أول من تكلم بالعربية وكتب[٤٩]، وقد تنوع وصار تسعة أنواع"[٥٠].

ويمكن القول أيضاً بأن الحدود المعرفية لمصطلح (الخط الكوفي) تظهر، بشـكل جلي وواضح، في بحر القرن الرابع الهجري / العاشر الميـلادي، ويبدو أنه ظل متداولاً فـي غضون تطورات الخط العربي

النوعية، الفنية والوظيفية، الممتدة نسبياً حتى القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وماوراءه.

ولا شك، كما يبدو من هنا، في أن إبن النديم (محمد بن إسحاق، ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥م) قد أخذ من إبن وحشية مصطلح (الخط الكوفي)، ولكنه عرضه في قائمته الطويلة نسبياً لأنواع الخط العربي الأولى والمبكرة، إذ ذكره تحديداً ضمن خطوط المصاحف مع (المكي) و(المدني) و(البصري) وغيرها. وربما كان هو الخط الذي وصفه نفسه بـ "الخط القديم"[٥١].

وربما كان هذا الوصف معروفاً عند أهل الكتابة والخط آنذاك، لاسيما وإن أحد فقهاء هذا الفن، وهو إبن البصيص (محمد بن موسى بن على الشافعي، ق ٨ هـ)، يشير إلى أن "الزمن الأول [العربي أو الإسلامي]. لم يكتب [فيه] إلاّ القلم الكوفي"[٥٢].

ولا شك في أن كلاً من (الخط القديم) و(الزمن الأول) هما قرينة واحدة في الدلالة على مخطوط المصحف العثماني الإمام الذي يصفه القسطلاني (أبو العباس شهاب الدين، ت ٩٢٣هـ /١٤٧٩م) بأنه "المصحف الكبير المكتوب بالخط الكوفي الأول"[٥٣]، وهو "خط حسن بيّن قوي"[٥٤]. (ينظر: الشكل رقم . ٩).

وربما كان هذا هو المعيار النقدي لفنيّة هذا الخط في هذه الحدود التاريخية والمعرفية، إذ يذكرالتوحيدي بأن "العبرة في زمانه كانت بتعيين قواعد الخط الكوفي و أنواعه " التي كانت على عهده متفرعة الى إثني عشر نوعاً[٥٥]، وربما ظلت هكذا أو أكثر حتى زمان القلقشندي (احمد بن علي، ت ٨١٢ هـ / ١٤١٨ م) وربما بعده بقليل أيضاً .. تتمثل، إلى حدٍ ما، في أن للخط الكوفي، كما يقول القلقشندي، "أصلين من أربع عشرة طريقة، هما لها كالحاشيتين: [البسط والتقوير]، وهما قلم الطومار: وهو قلم مبسوط كله، ليس فيه شيء مستدير. وكثيراً ما كتب به مصاحف المدينة القديمة،

وقلم غبار الحلبة: وهو قلم مستدير كله ليس فيه شيء مستقيم"[٥٦]. (ينظر: الشكل رقم ـ ١٠).

٤ـ ٢ / التجويد (الكوفي):

وعلى الرغم من إمكانية العودة بالخط الكوفي إلى خط الجزم أصلاً له.. يبدو، من سياق الإشارات السابقة، بأن مصطلح (الخط الكوفي) هذا كان يطلق، بشكلٍ عام، على (الخط العربي) بمختلف أنواعه وأشكاله وأساليبه الكتابية الأولى، اليابسة واللينة معاً.

وربما كان هذا التغليب من باب التجويد الذي حاول بعض الباحثين المحدثين تعليله في ظل التحولات الحضارية، والطبوغرافية، والوظيفية التي شهدتها (الكوفة) في هذا الإطار، من خلال الاشارات التاريخية الآتية:

١- إن قبائل من اليمن نزلت في جانب (الكوفة) الشرقي، وكان أبناء هذه القبائل يعرفون الكتابة بالخط المسند، فنشروا الكتابة في الكوفة، ونشطوها، وجعلوا الاهتمام بها أكثر مما كانت في المدن الإسلامية الأخرى آنذاك. وربما كان لهذا الاهتمام ولهذا الانتشار دور في نسبة الخط العربي إلى الكوفة[٥٧].

٢- إن بقايا أهل الحيرة والانبار كانوا قد نزحوا إلى الكوفة، فانتشر الخط (الحيري والأنباري) في أهلها، وجودوه، وبرعوا فيه، فنسب إليها، فقيل: الخط (الكوفي) بدلاً من هذين الخطين أو غيرهما[٥٨].

٣- وإن جماعة من علماء الكوفة وعارفيها بالخط قد أستخرجوا إبان العهد الأموي (٤٠ – ١٣٢ هـ / ٦٦٠ – ٧٤٩ م) خطاً من الخطوط العربية السابقة، سمي هذا الخط بـ(الكوفي) لظهوره في الكوفة[٥٩].

وإذا ما حاولنا قبول هذه الآراء، نسبياً، من حيث درجة الصحة التاريخية أو الحضارية أو الفنية، أو تحليلها باتجاه التأثير المباشر

أو غير المباشـر في الصناعة الفنية للخط العربي في (كوفة) القرن الأول الهجري / السابع الميلادي، فلا يكون ذلك إلاّ من باب تعلم أهل الكوفة لخط الجزم، واستثمار كتاب الكوفة الخطاطين لشروط هذا الخط الفنية التي نضجت مع كتابة المصحف الشريف، لاسيما وأن خط الجزم كان هو خط المصاحف الذي تعلمه أهل الكوفة، وجودوه أكثر ليصبح، ربما، "أصلح الخطوط، وأجمعها لأكثر الشروط" [٦٠] الجمالية والفنية والوظيفية.

ولا بد من أن نقف هنا عند محاولة مصادر الخط العربي ومراجعه تفسير التجويد (الكوفي) لهذا الخط، إذ يشير بعضها الى دور رائد، مباشر وغير مباشر، للخليفة علي بن أبي طالب[٦١] (رضي الله عنه)، وكان هو أحد كتبة الوحي، إذ ينسب إليه مصحف مكتوب بالخط "الكوفي البسيط أو القديم"[٥٢]، ويذكر عنه توجيهه أحد كتاب المصاحف بوجوب (تجليل الخط)[٦٣] عند كتابة القرآن الكريم.. بينما يؤكد بعض آخرمنها على أن تجويد الخط في الكوفة "كان قد تم بالهندسة والإتقان، حتى تميز عن الخط الحجازي بنوعيه: المكي والمدني، وهو بدائي غير متقن، فلاشك في أن كتاب الكوفة رأوا تقاليد الخط السرياني في تحسينه وهندسته، وطبقوها على الخط الحجازي البدائي، فالخط الذي ظهر في الكوفة هو وليد الصنعة والفن المقتبسين عن حضارةٍ سابقة"[٦٥].

وكان قد برز في الكوفة كتاب أو خطاطون متميزون بصحة الخط وجودته، وإتقان ضبطه، وحسن شكله[٦٦]. وربما من هنا، من باب (التجويد) وليس من أي باب آخر، صارت النسبة في الخط الى الكوفة.

٥- تجويد الخط (الكوفي):

كان (تجليل الخط) أول الشروط الفنية التي أحكمت كتابة المصاحف بخط الجزم اليابس المبسوط الذي صار فيما يعرف بالخط الكوفي الذي تمثل لأول مرة في المصحف الإمام الذي كتبه الصحابي

الجليل زيد بن ثابت (رضي الله عنه) "بقلمٍ جليلٍ مبسوط"[٦٧].

وقد تمثل هذا التجليل فيما بعد في كتابات المســاجد وكتابات الخلفــاء، إذ يمكن القول إنَّ ذلــك كان قد تمثل، أولاً، في كتابات قبة الصخرة التي انجزت عام (٧٢ هـ/٦٩١ م) على عهد الخليفة الاموي عبــد الملك بن مروان (حكمه: ٦٥ – ٨٦ هــ / ٦٨٤ – ٧٠٥ م)، وكان الخليفــة الامــوي الوليد بن عبد الملك (حكمــه: ٨٦ – ٩٦ هـ / ٧٠٥ – ٧١٥ م) "أول من كتب في الطوامير، وأمر بأن تعظم كتبه، وأن يجلل الخط الذي يكاتب به"[٦٩].

وهنا الآن تماماً.. المكان: دمشــق الشام، و الزمان: العهد الأموي، حيث تؤكد مصادر الخط العربي على أن أهل الكوفة تعلموا (الجزم) "وخط أهل الشــام: الجليل"[٧٠] الذي يوصف بأنه كان "خطاً (كوفياً) محققاً"[٧١].. حصل في الســيرة الفنيــة والوظيفية والمفهومية للخط العربــي تطــور نوعي يمكن عده حلقة الربــط أو صلة الصلة في ما بين (الجزم) و(الكوفــي) اللذين توحدهما الطبيعة الفنية الشــكلية الواحدة التي تغلب فيها اليبوسة على الليونة، وأخذ به الخط العربي المجــود، فنياً ووظيفياً، إســماً جديداً هو (الجليــل)[٧٢] الذي كان هو المصطلح المبكر الذي أطلق على الشكل الخطي اليابس بعد (الجزم)، وفتح الباب واســعاً لقيام (التحــول) أو (الانقلاب) الفني في الخط العربي، متمثلاً في تنوعه أو تمييزه بشكل رئيس إلى "الأقلام اليابسة والأقلام الرطبة"[٧٣]. وهي العملية المعرفية التي ســماها بعض فقهاء الخط ومؤرخيه بـ (إصلاح الخط الكوفي)[٧٤].

٦- (إصلاح الخط الكوفي):

يقصــد بهذه العبارة "التصــرف بالخط الكوفي لإظهــار التدوير فيه"[٧٥]، و"ترطيب كتابته" إذ أن "الرطوبة في الخط هي لدونته وريّه، وألاّ تُرى من الخارج زواياه"[٧٦].

يقوم هذا الإصلاح على أساس استخراج أو اشتقاق أو توليد أنواع

خطيــة جديدة من الخــط الكوفي: القديم أو الأصــل.. الذي تغلب اليبوسة على طبيعته الشكلية صفة عامة، أوعلى أساس قلب الشكل في هذا الخط وتحويله إلى الليونة التي يمكن أن تغلب على الأشكال أو الأنواع الخطية الجديدة التي قد تستخدم بسهولة أكثر في الكتابة على المــواد والخامات المختلفة، والموجهة قصداً إلى أغراض وظيفية جديدة.

ولعل من المفيد أن نشــير هنا الى أن مؤرخي هذا الفن، المحدثين بخاصة، كانوا قد تباينوا فــي تأريخية هذا الإصلاح وفاعليه الروّاد البارزين في إنجازه، إذ كان من أبرزهم على بعض الروايات: الحســن البصــري (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م) الــذي عدّه بعض الباحثين المعاصرين "أول من جود الخط، وأنه هو الذي قلب القلم الكوفي إلى الثلث"[٧٧]، وهــو ما لايحتمل لعدة أســباب، أبرزها: إن تجويد الخط لم يزل في بداياته المبكرة جــداً.. وكذلك إبن العميد (أبو الفتح علي بن محمد، ت ٣٦٦هــ /٩٧٧ م) الذي ذكر بعض الخطاطين بأنه "إخترع تغيرات طرأت على الخط، فحّوله من الكوفي إلى غيره"[٧٨]، وربما يكون ذلك، لكنه غير معروفٍ تاريخياً وفنياً.

ولكــن الحقيقة التي تؤكدها المصــادر العديدة في ذلك تتمثل في اســتخراج الخطاط الأموي قطبة المحرر، لأول مــرة، أنواعاً خطية وصفت بـ (اللينة) نســبياً من الخط (الجليــل) اليابس الكوفي، وهي تلك الأنــواع أو "الأقلام الأربعة"[٧٩] التي اســتخرجها هذا الخطاط من ذلك الخط الجليل الشــامي الذي رجح بعض الباحثين المحققين أنموذجه الفني الأجود آنذاك في كتابات قبة الصخرة[٨٠]، وســماها: الجليل، والطومار، والثلث، والثلثين.

وقد عرفت هذه الخطوط بـ "الخطوط الأصلية الموزونة"[٨١].

وعلى الرغم من أن بعض الباحثين عدّ كلاً من (الجليل) و(الطومار) خطاً واحداً[٨٢]، وهو بلا شــك خط ذو هيئة فنية يابســة في الغالب، فرقت بينهما الوظيفة التي تباينت بينهما في أن الجليل كان يكتب به

علـــى العمائر، ويكتب بـ الطومار على قطع الورق الكبيرة.. فإنه يمكن القول إن وصف خط الجليل الشامي بأنـه "أبو الأقلام"(٨٣) ربما يؤهل لاســتنتاج كونه المصدر الأساس لاشتقاق أغلب أنواع الخط اللاحقة التي صارت تنشــأ بصورة تدريجية في تباينها وتنوعها على أســاس عاملين إثنين هما:

أولاً: (الوزن) الذي يعنى بقياس سماكة أو عرض القلم أو الخط، مبتدئاً بســقف أعلى هو أربع وعشرون شــعرة من شعرات البرذون، لخط الجليل أو الطومار اللذين كانا اكثر تلك الخطوط وزناً وأكبرها عرضاً، وقيســت أنواع الخط الأخرى على أســاس كسور العدد(٢٤)، فقلم أو خط (الثلثين) بعرض اثنتي عشــرة شــعرة، و(الثلث) بعرض ثماني شعرات، وهكذا(٨٤).

ثانياً: (درجة اليبوسة أو الليونة) فيها، فكان أن صار الخط الذي يحتوي في بنيته على (المســتقيمات) اليابسة بمقدار الثلث، نوعاً من الخط جديداً أطلق عليه إســم خط (الثلــث)، وبمقدار الثلثين خط (الثلثين)، وبمقدار النصف خط (النصف)(٨٥).

ومن خط الجليل هذا أو ربما هو نفسه الطومار الذي هو من حيث الشكل "أصغر أنواع الجليل"(٨٦)، وهو بلا شك خط مستقيم ليس فيه تدويــر(٨٧) أي إنه يابس مبســوط بالكامل، أو قريب من هذا الشــكل الخطــي.. كان خط (الثلث) في مراحله الأولــى والمبكرة خطاً كوفياً محضاً، أطلق عليه بعض الباحثين: (الثلث القديم)(٨٨)، تمييزاً له عن أشكال الثلث المتطورة لاحقاً على صفة اللين المطلق.. ويبدو كذلك أن خط (المحقق) كان قريب الشــبه بخطــي (الطومار) و(الثلث القديم) هذيــن إلى درجــة وصفه، بما وصف به هذان الخطــان من كون كل منهما: "خط مبسوط"(٨٩) أيضاً.. ولم يخرج خط (السجلات) عن هذا الإطار الشــكلي اليابس، إذ كان فقهاء صنعة الكتابة ومؤرخو الخط يرون بانه "لا تُحســن كتابته إلاّ بالقلم المحرّف الكوفي"(٩٠).. وكذلك خط (المسلســل) الذي كانت حروفه كلها متصلــة فيما بينها، ليكون أحد أنواع الخط العربي المبكرة في الجمع بين اليبوســة والليونة معاً

فــي بنية واحدة، وليكون في الوقت ذاته تجســيداً للتحول الفني من اليبوسة الغالبة إلى الليونة المطلقة..

ويمكن أن نستشــهد بقول النويري (شــهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م): "وهذه الكتابة العربية، أول من اخترعها على الوضع الكوفي، سكان مدينة الأنبار، ثم نقل هذا القلم الى مكة فعرف بها، وتعلمه من تعلمه، وكثر في الناس وتداولوه. ولم تزل الكتابة به على تلك الصورة الكوفية الى أيام الوزير أبي علي بن مقلة، فعرّبها تعريباً غير كاف، ونقلها نقلاً غير شــاف، فكانت كذلك الى أن ظهر علــي بن هلال الكاتب المعروف بإبن البــوّاب، فكمل تعريبها..."[٩١].. لنقول بــأن الروايات التاريخيــة والعلمية الثابتــة والجديرة بالأخذ والاهتمــام فيمــا يتعلق بهذا التحول في الخط العربي من اليبوســة الغالبــة إلى الليونة المطلقة، تؤكد علــى أن هــذا (التحول الفني) كان قد أنجز تماماً، وبشــكل نهائــي، في بحر القــرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وما بعده، على أيدي الخطاطين المجودين الرواد: إبن مقلة الوزير (أبوعلي محمد، ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، وأخيه (أبوعبد الله الحسن، ت ٣٣٨هـ/٩٤٩م)، وإبن البواب (علي بن هلال، ت ٤١٣ هـ/ ١٠٢٢م)، وياقوت المســتعصمي (ت٦٩٨هــ /١٢٩٨م)، وربما غيرهم، (ينظر: الشكل رقم ـ ١١) الذين كان لهم دور حيوي وهام جداً، معرفياً وفنياً ووظيفياً، في صيرورة بناء الشــكل في الخط على أساس عامل آخر جديد، غير الوزن، هــو (النســبة الفاضلة) التي ســاعدت كثيراً في التقليل من اليبوســة في الشكل الخطي وزيادة المرونة فيه لتقبل الليونة الى أعلى درجاتها التي تمثلت في ما أطلق عليه بعض مؤرخي هذا الفن (الخط المنســوب)[٩٢] في مقابل (الخط الموزون) أو (الخط البغدادي)[٩٣] في مقابل (الخط الكوفي).

ومــن هنا، صارت بنية (الخط العربي) تقوم على ثنائية (شــكلية – وظيفية) تقابلية في منظومتين رئيستين اثنــتين:

١– (الخطــوط الموزونــة) التي تحددت وظيفتهــا تقريباً في ما يتناســب من الاســتخدامات وطبيعة هذه الأنواع والأساليب الخطية

الهندســية اليابســة غالبــاً، فاقتصــرت إســتخداماته تقريباً في حدود الكتابة التســجيلية التذكارية على العمــارة، والنقود، والمواد، والمصنوعات.. والنحاسية بخاصة، والنسيجية، والجبسية، وغيرها.

٢- (الخطوط المنســوبة) التي تحددت وظيفتها تقريباً في كتابة المصاحف بخاصة، والكتب والوثائق الورقية عامة، وغير ذلك أحياناً.

ويؤشــر دارســو الفنون الاســلامية بدايات هذا التحــول الفني. الوظيفــي منذ القرن الخامس الهجري/الحادي عشــر الميلادي.. إذ بدأ يقل اســتخدام الخط الكوفي في كتابــة القرآن الكريم بالكامل، إلاّ عناوين السور التي استمر هذا الخط متبعاً في كتابتها حتى وقت متأخر نسبياً، وحل محله في ذلك تدريجياً خطوط: النسخ[٩٤] بالدرجة الاولى، ثم المحقق، والثلث، وغيرها من (الأقلام الستة)[٩٥].. التي تمّ بظهورها الفني. الوظيفي هذا "انســحاب الخط الكوفي الزاهر من ميدان الكتابــة الاجتماعية.. ليرضى بأن يبقى زاهداً ناســكاً قانعاً بسكنى المساجد والمحاريب وزخرفة المصاحف" فحسب.

٧- (الخط الكوفي) مصطلحاً فنياً:

ولا شك في أن هذا الإصلاح أو التحول التجويدي، الشكلي والوظيفي، التدريجي في ســيرة هذا الخط قد أدى إلى أن يتحدد شــكلاً ووظيفةً ومصطلحاً على نحو آخر.. جديــد ومختلف، إذ لم يعد الخط الكوفي، علــى صعيد المصطلح، يطلق كما كان على الخط العربي بعامة، أو يمثل جانبــه التجويدي الأكبر فيه على الأقل. أما علــى صعيد المعرفة الفنية فقد أصبح التعامل معه محدوداً في ضوء الشــكل والوظيفة أحياناً، كما لو كان لوحده "نوعاً من أنواع الخط العربي"[٩٧].

ومــن هنا يمكن القول أيضا إنَّ مصطلح الخط الكوفي ذاته صار يعبر، إلى حد كبير، عن أســلوب كتابي شبه عام، قابل للتنوع الشكلي

والوظيفي في الأداء والاستخدام، فعلى الرغم من أن الخط الكوفي كان قد بدأ منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي مسيرة النماء، والتوالد، والتكاثر، والتعدد، في الأشكال والأساليب الكتابية التي كانت ماتزال تحتفظ بخصائص اليبوسة والهندسية والسماكة.. وعلى الرغم من إمكانية القول إنَّ نضج هذا التنوع قد تمثل في استقرار حالة الشكل، على نحوٍ أساس ومميز، في أغلب أنواع الخط الكوفي التي اكتمل عقدها، تقريباً وبشكل عام، في بحر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي[٩٨].. يمكن القول أيضاً إنَّ الحدود المعرفية للخط الكوفي قد إتضحت تماماً من خلال صيرورته مصطلحاً فنياً خاصاً يطلق على الخط العربي ذي الأسلوب الهندسي تماماً في الكتابة والشكل اليابس، الى حد ما، في الصورة.

ولعل بالإمكان تأشير بدايات التسمية في هذا المصطلح الفني الكوفي في غضون القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وربما قبله بقليل، كما يبدو من خلال تسمية الخط الكوفي الذي يعرف اليوم بـ (الكوفي المربع) (ينظر: الشكل رقم -١٢) باسم الكوفي (المعقلي)[٩٩]، كأول مثال على أنواع الخط الكوفي في حدود المصطلح الفني.

٨ - أنواع الخط الكوفي:

إضطربت آراء أغلب الباحثين، القدامى والمحدثين، تصنيف أنواع الخط الكوفي في حدود المصطلح الفني[١٠٠]، إذ لم يوفق بعض هؤلاء الباحثين كثيراً في استقراء هذه الأنواع بدقة وعناية ومنهجية، فبان هذا الإضطراب واضحاً في إحصائها على أكثر من عدد، تراوح القول فيه على سبيل الظن والتخمين والإجتهاد في القراءة والتحليل والتفسير، بين آراء عدة منها:

١- إن عدد أنواع الخط الكوفي تحديداً هو ثلاثة وثلاثون نوعاً[١٠١].

٢- إن عددها هو خمسون نوعاً[١٠٢].

٣ - إن هذا العدد هو أكثر من سبعين نوعاً[١٠٣].

واذا كان هــذا الأمــر كذلــك، فذلك لأن هذه المحــاولات لم تعتمد التصنيــف المنهجي المعياري الذي يمكن القول معــه أيضاً إنَّ محاولات دراســية اخرى أعتمدته فكانت أكثر توفيقاً في المعقولية والقبول، على المستويين العلمي والتطبيقي، في حدود المصطلح الفني للخط الكوفي.

وكان الدكتور إبراهيم جمعة قد انطلق من الوظيفة أو الاستخدام، في تصنيف أنواع الخط الكوفي تصنيفاً وظيفياً واضحاً إلى ما يأتي(١٠٤):

١ - كوفي المصاحف.

٢ - كوفي التحرير.

٣ - الكوفي التذكاري.

ولكــن كلاً مــن كوفي (المصاحــف) و(التحرير) كان قد انحســر وظيفياً عن الإســتخدام فــي كتابة المصاحف والوثائــق والكتب وما شــاكل ذلك.. إذ اضطلعت بوظيفة كتابة المصاحف والوثائق والكتب وأمثالها مجموعة أنواع الخط العربي اللينة الشــكل، والسهلة الاداء، والأوضح في القــراءة والتعبير.. ليظل (الكوفي التذكاري – وظيفةً) قائماً في الاســتخدام التسجيلي على العمائر، والنقود، والمصنوعات المعدنية، والنسيجية، والخشبية، وغيرها.

إن هــذا الاســتخدام الوظيفي قد أصبح عامــلاً حيوياً مهماً من عوامل تنوع الشكل وصيرورته الجمالية والفنية في الخط الكوفي، إذ يمكن القول إنَّ هذا الخط كان قد أصبح، من الناحية الوظيفية، أداةً للتعبير أو الاســتخدام الجمالي العربي الإســلامي الأول في العمارة بالــذات، كمــا أصبح ـ في الوقت نفســه ـ المجال المعرفــي المتنامي، باســتمرار، لتنــوع الشــكل في هذا الخــط، من خــلال الإضافات والتحســينات والتزيينــات، الجماليــة والوظيفية أيضــاً، التي صار أهــل هذا الفن ينزعون إلى إدخالها على هذا الشــكل كـ (الترويس) و(التزهيــر) و(التوريق) و(التضفير) وغيرها.. ومن خلال اشــتراك

الخط الكوفي في علاقة جمالية وفنية عضوية وشيجة مع أشكال وعناصر جمالية وفنية أخرى.. وهي، تحديداً، (الزخرفة الإسلامية: الهندسية، والنباتية).

وإذا كانت هذه العلاقة الجمالية العضوية بين الخط الكوفي والزخرفة الإسلامية قد أدت إلى تصور الإثنين فناً زخرفياً واحداً[١٠٥] متلازماً في البنية الشكلية، وفي الوظيفة التعبيرية، سواء من خلال إستخدام الزخرفة عنصراً جمالياً لتحسين البنية الخطية الكوفية، أو من خلال استخدام الخط الكوفي نفسه استخداماً زخرفياً محضاً[١٠٦].. فإن هذه العلاقة قد أسهمت، أيضاً وإلى حد كبير، في إنشاء الصيرورة الفنية للخط الكوفي، بذاته، على العناصر الأساسية الآتية:

١ - الهندسة في بناء شكل الحرف وتشكيل (النص الخطي).

٢ - الزخرفة في هندسة الحرف والنص الخطي.

٣ - التصميم في زخرفة البنية الخطية الكوفية.

وتمثل هذه العناصر مجتمعة أساس التصنيف "العلمي" أو "التقليدي" لأنواع الخط الكوفي، من خلال كونها أيضاً بمثابة القوانين العلمية والجمالية والفنية المحركة للإبداع عند فنان هذا الخط لإنتاج الابتكارات التصميمية المتنوعة في الأبجدية الخطية الكوفية.

وفي سياق الالتزام بهذا التصنيف الذي يقوم على الوضوح في الفروق الشكلية المجردة والزخرفية، بالدرجة الأولى، بين أنواع الخط الكوفي، وعلى الاستخدام الفني أو الوظيفة الجمالية المطلقة لهذه الأنواع.. يمكن اعتماد التصنيف الآتي[١٠٨]:

١ - الكوفي البسيط: أي القديم الذي سماه بعض الباحثين: البدائي[١٠٩]، أو كوفي المشق[١١٠]. ويتصف بكونه مجرداً من أية إضافة، زخرفية أو لغوية. مثاله: كتابات المصاحف الأولى، وكتابات قبة الصخرة. (ينظر: الشكل رقم - ١٣).

٢ - الكوفي المروس[١١١]: نسـبة إلى دخول ترويسـات على هامات حروفه المنتصبة أو الواقفة. أمثلته كثيرة في العمائر الإسلامية العائدة إلى القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسـع والعاشـر الميلاديين، وإن كان ظهوره قد حصل قبل ذلك.

٣ - الكوفـي المورق أو المزهر: تتصل فيه الأشـكال النباتية ذات الأوراق أو الأزهار بكيانات الحروف في البداية أو الوسط أو النهاية، لتشكل معها الأشكال العامة لهذه الحروف[١١٢].

٤ - الكوفي المزخرف: وهو الذي تدخل الزخرفة، النباتية بالذات، عليه لمعالجة الفراغات البينية للحروف بصورة عامة، وكذلك لمعالجة الفراغات فيما بين الحروف المنتصبة بصورة خاصة، بملئها بأشكال الزخرفـة التوريقية على العموم. وسـماه بعـض الباحثين في هذه الحالة تحديـداً بكوفي (الفراغ الزخرفي) الذي سـادت أمثلته على عمائر القرن الخامس الهجري / الحادي عشـر الميلادي. أما الحالة الأخرى له فهي التي يسمى فيها بكوفي (المهاد الزخرفي) الذي تكون أسـطره الكتابية قائمة على أرضية زخرفية كاملة، أي أن الكتابة فيه تكون فوق مسـاحة تغطيها الزخارف النباتية التوريقية، ومن أشـهر أمثلته: الأشـرطة الكتابية الكوفية التي تزين بعض جدران مدرسـة (السلطان حسن) في القاهرة / مصر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي[١١٣]. (ينظر: الشكل رقم - ١٤).

٥ - الكوفـي المضفور[١١٤]: ميزته الشـكلية واضحة في الضفائر المصنوعة على شـاكلة أفرع متداخلة ومضافة على حروفه العمودية والقائمة أو نابعة منها بحسـب فكـرة التضفير وتنوعها اللاّمحدود. ومن الأمثلة البارزة عليه تلك الكتابات الكوفية المضفورة على جدران مدرسـة (قرة تاي) في قونية / تركيا، التي تعود إلى القرن السـابع الهجري / الثالث عشر الميلادي. (ينظر: الشكل رقم. ١٥).

٦ - الكوفي المربع[١١٥]: يتصف بخصائص أساسية تميزه عن غيره تماماً، وهي مترابطة ومتكاملة، أبرزها: الاسـتقامة الكلية والمطلقة،

دون أي انحناء أو تقويس، في أشكال حروفه. وبسبب هذه الاستقامة الحادة تغلب عليه الزوايا القائمة بالكلية سـواء في تحديد الحروف أو في تحديد الفراغات البينية لها، مما يجعل شكله العام يبدو عبارة عن خطوط هندسـية واحدة العرض أو السمك.. واحدة المسافة في التباعد والعلاقة بين الحـروف في النص الخطي. وأمثلة هذا النوع مـن أنواع الخـط الكوفي كثيرة جداً على العمائر الدينية في شـرق العالم الاسلامي. (ينظر: الشكل رقم ١٦).

٨ - خاتمة:

لعل عرض الإشكالية المعرفية التي ظهرت في ثنايا بعض الدراسات، الآثارية والفنية بخاصة، لتـداول مصطلح (الخط الكوفي)، وتحليل أسـبابها الرؤيويـة والمنهجية والموضوعية، ومناقشـتها بآتجاه الحل العلمي المناسـب لطبيعة هذا المصطلح الفنيـة وحقيقته المفهومية.. يفيد بأن مسار هذا البحث المتواضع يمكن أن يتوقف عند نتيجة أولى ومباشرة ومترابطة، تتمثل في ما يأتي:

١ - إن الطبيعة الجمالية الهندسية والزخرفية للخط الكوفي تمثل جوهر المفهوم في المصطلح الفني لهذا الخط.

٢ - ويقوم هذا المصطلح الفني للخط الكوفي على تنوعه الشـكلي والوظيفي.

٣ - وإن هذا التنوع يعد أسـاس الصيـرورة والطبيعة الفنية لهذا الخط الكوفي.

٤ - وأخيـراً: إن هذه الطبيعة الفنيـة للخط الكوفي تمثل اتجاهاً جمالياً وفنياً خاصاً ومميزاً في المعرفة الخطية العربية بصورة عامة، وفن الخط العربي بصورة خاصة.

هوامش الفصل الثاني وإحالاته:

[1] تتداول أدبيات فن الخط العربي هذين اللفظين ومرادفاتهما اللغوية الأخرى مثل: في جانب اليبوسة: البسط والغلظة والتزوية، وفي جانب الليونة: التقوير والرطوبة والتدوير والانحناء، بشكل أساس في توصيف خصائص الشكل في هذا الفن.

[2] رمزي البعلبكي (الدكتور): الكتابة العربية والسامية، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١)، ص ١٧٣.

[3] يحيى عبابنة (الدكتور): التطور السيميائي لصور الحروف العربية، (عمان، جامعة مؤتة / عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ٢٠٠٠)، ص ١٠٤.

[4] انجز الدكتور عبابنة (المرجع نفسه، ص١٢): "دراسة سيميائية تتعلق بعلامات الخطوط، وهي نوع من الدراسات التاريخية المقارنة التي تضع في حسابها أنه يمكن الربط بين شكل الحرف العربي والشكل السينائي والكنعاني، مع الأخذ بعين الاعتبار ان الخط العربي خط رمزي الى أبعد الحدود "، وتوصل الى أن الخط العربي في هذه الفترة "وصل الى هذه المرحلة من الرمزية عبر سلسلة من الحلقات الحضارية التي تحمل سمات الأمم التي كتبت لغاتها قبل العربية بزمن ليس يسيرا"، أي إن العربية أفادت من الجهود الحضارية العظيمة للأمم السابقة، حتى وصل خطها الى هذه المرحلة الرائعة من الدقة"

[5] سهيلة ياسين الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، (بغداد، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٧)، ص ١٤٤.

[6] إبراهيم جمعة (الدكتور): دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، (القاهرة، دار

الفكر العربي، ١٩٦٩)، ص ٦٣.

(٧) يوسف ذنون: قراءة جديدة في أصل الكتابة العربية.. المسند والكتابة العربية المبكرة، آفاق عربية (مجلة فكرية محكمة. بغداد)، ع ١١ ١٢+، س ٢٤ / ١٩٩٨، ص ٤٢.

(٨) محمد عبد العزيز مرزوق (الدكتور): المصحف الشريف، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥)، ص ٨١.

(٩) يقول صفوان التل (الدكتور): في تطور الحروف العربية على آثار القرن الهجري الأول الإسلامية، (عمان، ١٩٨٠)، ص ١٠١: "نجد أن الأساليب النبطية والحجازية والكوفية قد تم إستعمالها في النصف الأول من القرن الهجري الأول" / السادس الميلادي. وينظرفي هذا السياق على سبيل المثال لا الحصر: ناجي زين الدين: موسوعة الخط العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠.. وكذلك: الياس البيطار (الدكتور): الأبجدية الفينيقية والخط العربي، (دمشق، ١٩٩٧)، ص ص ١٠١، ١١٠، ١٩٩.. وكذلك:: جمعة محمود كريم و سلطان عبد الله المعاني: نتائج المسح الأثري لنقوش منطقة (سمرة ابو طريفات) في البادية الجنوبية الشرقية / قضاء الجفر، دراسات (مجلة علمية محكمة تصدر عن عمادة البحث العلمي / الجامعة الأردنية) مج ٢٨، العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد ٢، آب ٢٠٠١، ص ص ٤١٤ – ٤٤٥.. وغيرها.

(١٠) ينظرعلى سبيل المثال لا الحصر: بياترس جرندلر: تاريخ الخطوط والكتابات العربية من الأنباط الى بدايات الإسلام، ترجمة سلطان المعاني (الدكتور) و فردوس العجلوني (الدكتورة)، (عمان، بيت الأنباط للتأليف والنشر، ٢٠٠٤، ص ص ١٨ – ١٩.

(١١) زين الدين: المرجع السابق، ٤ / ٨٤.

[12] يرى الخطاط والباحث يوسف ذنون بأن الخط العربي الأول ربما كان قد إنطلـق أصـلاً من مدينـة (الحضر) العربية التي كانت قائمة قبل الإسلام في المنطقة الجنوبية الغربية من محافظة نينوى الحالية بشمال العراق، وكانت قد سقطت على أيدي الفرس الساسانيين عام ٦٢٠ م.. إلى (الأنبار) ومن ثم إلى (الحيرة) وصولاً إلى (مكة المكرمة) قبيل ظهور الإسلام.

ينظـر بحثـه: قديم وجديد في أصل الخـط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، المورد (مجلة تراثية فصلية محكمة. بغداد)،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع، ص ٨.

[13] على الرغم من أن نظريات عدة كانت قد حاولت تشخيص الأصل التاريخـي المبكر للخط العربي، فما يزال هـذا الأصل غامضاً على وجـه الدقـة واليقين. وقـد ردت تلكم النظريات هـذا الأصل إلى مصدرين أثنين رئيسـين هما (التوقيـف) من الله الى بعض انبيائه عليهم الصلاة والسـلام، و (الإصطـلاح) الذي يفيد بأن هذا الخط هو من وضع الإنسان.

وقـد اختلفت مصادر الخـط العربي ومراجعه في واضع الخط العربي، وكيف وضعه: إختراعاً من غير سـابق مثال.. أم إشتقاقاً من أشـكال كتابية أقدم منه.. ؟ وتتراوح المصادر والمراجع القائلة بوضع هذا الخط اشـتقاقاً من أصول كتابية أخرى أسبق منه، أو تأثراً بها على الأقل، بين: خط المسـند الحميري الجنوبي، والخط السينائي السامي، والخط السرياني، والخط النبطي، والخط الحضري.

[14] القلقشندي: المصدر السابق، ج ٣ ص ٤.

[15] المصرف: البداءع، مرجع سابق، ص ٣٤.

[16] التوحيدي: رسـالة في علم الكتابة، تحقيق د. إبراهيم الكيلاني،

(دمشق، المعهد الفرنسي،١٩٥١)، ص ٣٨.

[١٧] ذنون: المرجع السابق، ص ١٥.

[١٨] جرندلر: المرجع السابق، ص ١٩.

[١٩] حاول الباحث والفنان التشكيلي شاكر حسن آل سعيد البحث عن الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي، اليابس أوالكوفي المربع تحديداً، في المنجزات الكتابية والأسطورية لحضارات العراق القديمة، السومرية وغيرها. ينظركتابه: الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨).

[٢٠] قاعدة تعتمد (المربع) وحدة قياس لعرض الحرف وطوله عند الكتابة، وقد صارت هذه فيما بعد قاعدة التعليم الأساسية في الخط الكوفي بالذات.

[٢١] ينظركتابه: الخط الكوفي، (القاهرة ١٩٣٣).

[٢٢] ينظر من كتبه على سبيل المثال لا الحصر: الفنون الزخرفية الاسلامية، (بيروت، دار الرائد العربي، د. ت) وكذلك: فنون الاسلام، (بيروت، دار الرائد العربي، د. ت)،.

[٢٣] مرجع سابق. يرى الدكتورابرهيم جمعة (قصة الكتابة العربية، مصر، دار المعارف، ١٩٤٧، ص ٢٤) بأن "الخط المربع الذي ذهب البعض الى أنه خط الكوفة الذي آشتقت منه الأقلام، هواقدم عهداً من الكوفة".

[٢٤] "النسبة الفاضلة هي نسبة المثل، والمثل والنصف، والمثل والربع، والمثل والثمن"، بمعنى ان النسبة في أي شيءٍ من الأشياء هي كون "طوله مثل عرضه، ومثل نصفه، ومثل ربعه، ومثل ثمنه"، وهي جوهر الاعتقاد الجمالي العربي الإسلامي إذ ان "أحكم المصنوعات، وأتقن

المركبات، وأحسن المؤلفات.. ما كان تركيب بنيته وتأليف أجزائه على النسبة الأفضل". ينظر: إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٧)، ١ / ٢٠٣، ٢١٧.

[٢٥] جمعة: المرجع السابق، ص ص ١٢٠ - ١٢٣.

[٢٦] ينظر: محمد عبد القادر: من الخطوط العربية، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠).

[٢٧] ابن منظور: المصدر السابق، ١/١٥٦.

[٢٨] المصدر نفسه، ١ / ١٥٦.

[٢٩] ذنون: المرجع السابق، ص ١١.

[٣٠] ابن منظور: المصدر السابق، ١ / ١٥٦.

[٣١] المصدر نفسه.

[٣٢] كان لتغيير قطة القلم من (الاستواء) الى (الميلان) أثر كبير في التحول الشكلي / الوظيفي للخط من (اليبوسة) الى (الليونة).. ينظر: محمد بن سعيد شريفي: اللوحات الخطية في الفن الاسلامي، (دمشق / بيروت، دار ابن كثير / دار القادري، ١٩٨٨)، ط ١، ص ص ٤٧ - ٦٤.

[٣٣] البطليوسي: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠)،١/١٧٣.

[٣٤] يعني (المشق) المد في الكتابة فعدّه بعض مؤرخي فن الخط أسلوباً في الخط أو نوعاً من انواع الخط، كما يعني ايضاً السرعة

فـــي الكتابة فعدّه بعض الفقهاء مكروهـــا في كتابة المصحف. ينظر: ابن منظور: المصدر السابق، ١٠/ ٣٤٤-٣٤٥.

[٣٥] التوحيدي: المصدر السابق، ص ٣٨.

[٣٦] ينظـــر: السجســـتاني: كتاب المصاحف، تحقيـــق: الدكتور محب الدين عبد السبحان، (قطر، وزارة الاوقاف، ١٩٩٥)، ط ١، ١ / ٤٦٥ - ٤٦٦.

[٣٧] للوقوف على أشـــكال خـــط المصحف وصـــوره وطبيعته الكتابية واللغويـــة والقرائية، ينظر: الدراســـة الرائدة والقيمـــة للدكتورغانم قدوري الحمد: رسم المصحف، (بيروت، مؤسسة المطبوعات العربية، ١٩٨٢).

[٣٨] جمعة: المرجع السابق، ص ٢٥.

[٣٩] مرزوق: المرجع السابق، ص ٨٠.

[٤٠] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: إبن دريد: جمهـرة اللغة، (حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٥ هـ)، ٢ / ٩١، وكذلك: إبن جني: ســر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، (مصر، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م)، ١ / ٤٥.

[٤١] جـــواد علي: تاريخ العرب قبل الاســـلام، (بغـــداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٧)، ٧ / ٤٥.

[٤٢] ينظـــر مثلاً: جمعـــة محمود كريم: نقش كوفي من وادي موســـى / البتـــراء يعود للعصر العباســـي الأول، دراســـات (مجلة. الجامعة الأردنية)، مج ٢٦، العلوم الإنسانية والاجتماعية، ملحق، كانون الأول ١٩٩٩، ص ٦٧٠.

(٤٣) يقـول إبـن منظور فـي اللسـان (٥ / ١٧٢) أن المهاجرين [وهم مكيون] سـئلوا : "مـن أين تعلمتم الخط، فقالوا : من الحيرة، وسـئل أهـل الحيرة: من أين تعلمتم الخط، فقالوا : من الأنبار". وكان " لأهل الحيرة خط الجزم" (البطليوسي: المصدر السابق، ١ / ١٧٣).

(٤٤) البغدادي: كتـاب الكتّاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، تحقيق هلال ناجي، المورد (مجلة. بغداد)، ع ٢، مج ٢، ١٩٧٣، ٤٨.

(٤٥) ناصر الدين أسـد (الدكتور): مصادر الشـعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، (مصر، دار المعارف، ١٩٨٢)، ط ٦، ص ١٠١.

(٤٦) لعل أول من أشـار الى هذا التشـابه هو يوسـف أحمد: المرجع السابق، ص١١.

(٤٧) نسخ ورسم إبن وحشية كتابه هذا عام ٢٤١ هـ / ٨٦١ م.

(٤٨) تحقيـق: إياد خالد الطباع، مع كتابه: منهج تحقيق المخطوطات، (دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٣)، ط ١، ص ص ١٣٣، ١٧٢.

(٤٩) يروى من طريق إبن عبد البر مرفوعاً الى الرسـول الأكرم صلى الله عليه وسـلم قال: "أول من كتب بالعربية إسماعيل" قال إبن عبد البر: وهذا أصح من رواية: "أول من تكلم بالعربية إسـماعيل". ينظر: السهيلي في التعريف والإعلام.....

(٥٠) إبن وحشية: المصدر السابق، ص ١٣٣.

(٥١) ابن النديم: الفهرسـت، تحقيق رضا – تجدد، (طهران، ١٩٧١)، ص ص ١٨ – ١٩.

(٥٢) محمد بن موسـى عن علي ابن البصيص الشافعي: شرح قصيدة أبن البـواب في علم صناعـة الكتاب، تحقيق يوسـف ذنون، المورد

(مجلة. بغداد)، ٢٠٠١ م، مج ٢، ع ١، ص ١٣٥.

(٥٣) نقلاً عن: صلاح الدين المنجد (الدكتور): دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته الى نهاية العصر الأموي، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٩)، ط ٢، ص ٤٦.

(٥٤) إبن كثير: فضائل القرآن، (المنار، ١٣٤٨ هـ)، ج ١، ص٤٩.

(٥٥) هي: المكي، والمدني، والشامي، والعراقي، والإسماعيلي، والأندلسي، والعباسي، والبغدادي، والمشعب، والريحاني، والمجرد، والمصري. ينظر: التوحيدي: المصدر السابق، ص ٩.

(٥٦) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الانشا، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥)، ٣/ ٥٣. يلاحظ الدكتور المنجد (المرجع السابق، ص ٤٣) على ما ذكره القلقشندي بان هاتين التسميتين كانتا قد أحدثتا بعد عصر عثمان، والصحيح هوأن الخط الذي كتبت به هذه المصاحف هو (الخط المدني).

(٥٧) أحمد أحمد يوسف: الخط العربي وأساليبه في خدمة الحياة العامة، حلقة بحث الخط العربي، (مصر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون الآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦٨)، ص ٧٧.

(٥٨) سيد ابراهيم: الخط العربي، أصله وتطوره. حلقة بحث الخط العربي، مرجع سابق، ص١٢.

(٥٩) ميرعلي الهروي: مداد الخطوط (مخطوط). عرض الدكتور حسين علي محفوظ: الخط العربي في المكتبة الشرقية، المورد (مجلة. بغداد)، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، مج ٢٩، ع١، ص٩٦.

(٦٠) التوحيدي: المصدر السابق، ص ٣٦.

[٦١] محيـــي الدين ســـرين (الدكتور): صنعتنا الخطية، (دمشـــق، دار التقدم، ١٩٩٣)، ص ٥٧.

[٦٢] ناجـــي زين الدين: مصور الخـــط العربي،(بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٤)، ط ٢، ص ٨.

[٦٣] يمكـــن عد التجليل اول مفاهيم حســـن الخط، وهـــو يقوم على: التكبير في الحجم، والتعظيم في الشأن، والإتمام في البيان. ينظر: حنش: المرجع السابق، ص ص ٦١ – ٦٣.

[٦٤] ينقـــل إبن عبد ربه عن الخليفة الراشـــد علي بن ابي طالب (كرم اللـــه وجهه) قوله لأحد كتاب المصاحف: " اجلل قلمك " ففعل الرجل، فقال الخليفة: " هكـــذا، نـوّره، كما نوره الله ". ينظر: العقد الفريد، تحقيـــق: احمد امين واحمد الزين وابراهيـــم الابياري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٢)، ٤ / ١٩٦

[٦٥] المنجد: المرجع السابق، ص ٧٨.

[٦٦] ينظـــر: بدري محمد فهد (الدكتـــور): صناعة الكتاب بين المؤلف والوراق، (عمان، دار المناهج، ٢٠٠٣).

[٦٧] الزفتـــاوي: منهـــاج الاصابة في معرفة الخطـــوط وآلات الكتابة، تحقيـــق: هلال ناجي، المـــورد (مجلة. بغـــداد)، ع / ٤ ن ١٩٨٦، ص ٢٣٨.

[٦٨] يوســـف ذنـــون: كتابات المســـاجد عبر العصور، مـــن اوراق ندوة الاســـبوع المعمـــاري الثامن لنقابة المهندســـين الاردنيين / المســـجد، (عمـــان، ١٩٩٥)، ص٦٦. وهناك أمثلة أخرى في هذا الســـياق، لعل منها كتابة ســـد معاوية بن أبي ســـفيان (ت ٦٠ هـ / ٦٧٩ م) المؤرخة بسنة ٥٨ هـ / ٦٧٧ م.

[٦٩] الجهشـياري: الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة ١و٣٨ ن ص ٤٣.

[٧٠] البغدادي: المصدر السابق، ص ٤٨.

[٧١] المصدر نفسه.

[٧٢] ابن النديم: المصدر السابق، ص ١٠.

[٧٣] الهيتي: العمـدة، تحقيق: هـلال ناجي، (بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٧٠)، ص ١٩.

[٧٤] مجهول: رسالة في الكتابة المنسوبة، تـحقيق: الدكتور خليل محمود عسـاكر، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٥، مايس، مج١، ج١، ص ١٢٣.

[٧٥] الهروي: المصدر السابق، ص ٩٧.

[٧٦] مجهول: المصدر السابق، ص ١٢٣.

[٧٧] سـهيل انـور: الخطاط البغـدادي على بن هلال المشـهور بأبن البـواب، ترجمة محمد بهجة الاثري وعزيز سـامي، (بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٨)، ص ٢٠.

[٧٨] محمد ابراهيم مؤنس: الميزان المألوف في وضع الكلمات والحروف، (مصر، مطبعة المدارس الميرية، ١٣٥٨)، ص ١٢.

[٧٩] ابن النديم: المصدر السابق، ص ١٠.

[٨٠] يوسـف ذنون: فلسـطين موطن ولادة فن الخـط العربي، المجلة العربيـة للثقافة (المنظمة العربية للتربيـة والثقافة والعلوم. تونس)، ع١، آذار ١٩٨٢، ص ١١٧ – ١٢٣.

(٨١) ابن النديم: المصدر السابق، ص ١٠.

(٨٢) ابراهيم جمعة: قصة الكتابة العربية، (مصر، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٤٧)، ص٥٩.

(٨٣) ابن النديم: المصدر السابق، ص ١٨.

(٨٤) حنش: المرجع السابق ن ص ص ٦٦ - ٦٩.

(٨٥) البطليوسي: المصدر السابق، ١ / ١٧٤.

(٨٦) احمد الاسكندري و مصطفى عناني: الوسيط في الاداب العربي وتاريخه، (مصر، دار المعارف،١٩١٦)، ص ١٩٤.

(٨٧) القلقشندي: المصدر السابق، ٣ / ٥٣.

(٨٨) يوسف ذنون: خط الثلث والمخطوطات، المورد، ٢٠٠١ م / ١٤٢٢ هـ، المجلد التاسع والعشرون، العدد الثاني، ٢٠٠١ م / ١٤٢٢ هـ، ص١٠٩.

(٨٩) القلقشندي: المصدر السابق، ٣ / ٥٣.

(٩٠) ابن المدبر: الرسالة العذراء، نشر زكي مبارك، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣١)، ص ٢٤.

(٩١) النويري: نهاية الأرب في فنون العرب، تحقيق أحمد الزين، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دت)، ٧ / ٣.

(٩٢) مجهول: المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٩٣) إبن خلدون: المقدمة، طبعة باريس، ص٣٣٤.

[٩٤] ديماند: الفنون الاسـلامية، ترجمة احمد محمد عيسـى، ط٢، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٨)، ص ٧٧. ولا بد من أن نشـير هنا الى مصطلح (النسخ) قد تقلب في الدلالة والإستخدام بين: النقل الكتابي للمعنى عند اللغويين، والخط اللين cursive غير اليابس angular في الخط الكوفي وفي غيره عند الآثاريين، ونوع من أنواع الخط العربي التي تعرف بالأقلام الستة عند فقهاء فن الخط العربي وخطاطيه.

[٩٥] الاقلام الستة هي: الثلث، والنسخ، والمحقق، والريحاني، والرقاع، والتواقيع. ينظر: (اقلام سـته) في: الموسوعة الاسلامية (بالتركية)، (استنبول ١٩٨٩)، مج ٢، ص ص ٢٧٦ - ٢٨٠.

[٩٦] احمد: المرجع السابق، ص ١٣.

[٩٧] ذنون: قديم وجديد في اصل الخط، مرجع سابق، ص١٥.

[٩٨] يوسـف ذنون: منظور نشـأة وتطور الخط العربي، حروف عربية (مجلة فصلية تعنى بشـؤون الخط العربي. دبي)،٢٠٠١، ع ٣، س ١،، ص ٦.

[٩٩] إبـن محمد الكاتب: لمحة المختطف فـي صناعة الخط الصلف، تحقيـق: هيا محمد الدوسـري، (الكويت، مؤسسـة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٩٢)، ص ٨٠.

[١٠٠] تباينت إسـهامات دارسـي الفنون الاسـلامية في تسمية أنواع الخط الكوفـي تباينات واضحة فـي إعتماد التسـمية المكانية مرة مثل: الكوفي، والشامي، والاندلسي، والقيرواني، والنيسابوري، وغير ذلـك.. وفي اعتماد التسـمية التاريخية السياسـية مرة اخرى مثل الكوفي: الفاطمي، والايوبي، والمملوكي، وغير ذلك.

[١٠١] تركـي عطية الجبـوري: الخط العربي الإسـلامي، (بيروت /

بغداد، دار التراث الإسلامي / دار البيان، ١٩٧٥)، ص ٧١.

(١٠٢) الاسكندري وزميله: المرجع السابق، ص ١٩٤.

(١٠٣) يذكر الخطاط هاشم محمد البغدادي (ت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) في حوار معه، منشور في جريدة الفكاهة البغدادية، العدد ٧٢ / ١٩٦٨، ص ٨، بأن " للخط أثني عشر نوعاً رئيسياً، وفروعها ثمان وأربعون. ومن هذه الخطوط: الخط الكوفي، وله أثنان وسبعون نوعاً.

(١٠٤) جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية، مرجع سابق، ص ٤٥.

(١٠٥) احمد: المرجع السابق، ص ١٨.

(١٠٦) يعد بعض الباحثين الخط الكوفي عنصراً زخرفياً (الزخرفة الكتابية / الخطية) شأنه في ذلك شأن الاشكال الهندسية (الزخرفة الهندسية) والاشكال النباتية (الزخرفة النباتية) والاشكال الحيوانية والادمية وغيرها (ينظر: حسن: الفنون الزخرفية، مرجع سابق، ص ١٤٤ – ١٧٣)، وربما يكون ذلك صحيحاً الى حدٍ ما لاسيما وان الخط الكوفي، بأغلب انواعه، كان قد استخدم استخداماً تزيينياً، ومعمارياً كذلك، في تشكيلات فنية / جمالية أوحت إلى بعض الباحثين عدها نوعاً من انواع الخط الكوفي سماه كوفي (التشكيلات الفنية) (ينظر: ذنون: المرجع السابق، ص ٦).

(١٠٧) ينظر: جمعة: المرجع السابق، ص ص ٩ – ١١.

(١٠٨) ينظر: جمعة: المرجع السابق، ص ص ٩ – ١١. وكذلك: ناجي زين الدين المصرف: بدائع الخط العربي، (بغداد، وزارة الاعلام، ١٩٧٢) ط ١، ص٤٥١. وكذلك: ذنون: المرجع السابق، ص ٦.

(109) محمد باقر الحسيني: الخط على العملة الاتابكية، الاقلام، ١٩٦٦، ج ٨، س ٢، ص ١٨٢.

(110) حسن: المرجع السابق، ص ١٣٣.

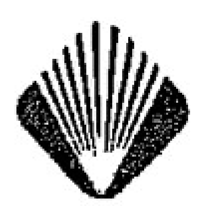
(111) ذنون: المرجع السابق، ص ٧.

(112) حسن: فنون الاسلام، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(113) ينظر: ذنون: المرجع السابق، ص ٧.

(114) المرجع نفسه. وينظر كذلك: الحسيني: المرجع السابق، ص ١٨٢.

(115) ينظر: مأمون لطفي الصقال: مبادىء الخط الكوفي التربيعي، حروف عربية، ٢٠٠٤، ع ١٣، س ٤، ص ص ٤ – ١٢.



الفصل الثالث

البديع المنسوب
وحدود المصطلح الفني

البديع المنسوب
وحدود المصطلح الفني

١- مقدمة:

حفلت مصادر الكتابة العربية ومراجعها المختلفة في الرؤية واللغة والمنهج بالإشارة الى الانقلاب الفني للخط العربي من الشكل الذي كان مقيداً باليبوسة الغالبة الى الشكل المتحرر نسبياً باللیونة.

وقد تباينت أغلب هذه المصادر والمراجع في وصف هذا الانقلاب من جهة، وفي وصف طرفيه الرئيسين من جهة أخرى.. فقد أطلقت على هذا الانقلاب، فضلاً عن الانقلاب نفسه أو القلب، مصطلحَي: التحول، وإصلاح الخط الكوفي. وأطلقت على شكلي أو جنسي أو أسلوبَي الخط العربي اليابس واللين ثنائية وصفية / إسمية متقابلة على مصطلحات: المحقق والمطلق، الموزون والمنسوب، المبسوط والمقور، الكوفي والثلث أو النسخ.

وفي هذا السياق، يمكن القول: مثلما كان لمصطلح (الخط الكوفي) استحواذ بالتسمية على كل أشكال الخط العربي التي تغلب اليبوسة عليها من أنواعه المختلفة نسبياً، وبخاصة في تأريخه الفني المبكر.. كان لعبارة (الخط البديع المنسوب) مثل هذا الاستحواذ الوصفي المبكر على أنواع الخط اللينة.

ولكن هذه العبارة الوصفية، غالباً، ربما كانت الأصل في إشكالية المصطلح الفني لأنواع الخط العربي اللينة المبكرة أو الأولى، على صعيد المفهوم والتسمية بخاصة.. وعلى صعيد تطور المعرفة الخطية العربية بعامة.

٢- البديع...:

٢-١. المعنى والدلالة:

قيدت اللغة العربية المعنى في فعل (البدْع) بالإنشاء والبدء والحدوث، فلا يكاد معنى (البديع) العام يخرج عن وصف الشيء حديث النشأة واولها، أو هو الشيء " المحدث العجيب ".. الشيء الذي يختَرَع لا على مثال سابق[1].

ولعل هذا المعنى هو الذي جعل من (البديع) إسماً واسع الدلالة على كل أول وجديد، فجاء (البديع) إسماً من أسماء الله الحسنى لكونه الأول قبل كل شيء، وهو خالق الأشياء ومحدثها على غير مثال سابق. وكان (البديع) يطلق، وصفاً أو إسماً، على كل جديدٍ عجيب مبهرٍ من الأشياء، ولعل أشهر الأمثلة على ذلك هو قصر (البديع) المغربي الشهير بهندسته وبنائه الذي دام زهاء خمسة عشر عاماً[2].

وقد جرى الاصطلاح بـ (البديع)[3] علماً بلاغياً جامعاً لأساليب تزيين الكلام وتحسينه بعد تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة. وكان أبو الفرج الأصفهاني (ت ٢٤٤هـ / ٨٥٨م) أول من أطلق هذا المصطلح، أطلقه على الصور الشعرية البيانية، وقد طورعلماء اللغة العربية الأوائل كالجاحظ (ت ٢٥٥هـ - ٨٦٨م)، وعبد القاهر الجرجاني وسواهما البديع مصطلحاً فنياً يطلق على فنون البلاغة المختلفة التي كان منها (البديعيات) التي هي القصائد المنظومة في مدح الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم).

ويمكن أن ننطلق من هنا إلى القول: إن البديع - بوصفه لفظاً لغوياً مجرداً أو مصطلحاً محدداً - كان مفهوماً متحرك الدلالة، حتى صار لفظه يطلق إسماً، أو يخلع صفة في مجالات عديدة: دينية، ومعرفية، وفنية، وغيرها..

وكان من هذه المجالات: فن الخط العربي، الذي دخل لفظ (البديع)

لغته المعرفية، محاولاً الاستقرار في جمهرة مفردات مصطلحه الفني، ولكنه ظل لفظاً قلقاً بين كونه صفة عابرة أو اسماً ثابت المبنى والمعنى، إذ تعددت دلالاته الخطية، وتضاربت الآراء في ما يمكن أن يكون عليه (البديع) من الطبيعة اللغوية أو الاصطلاحية، وفي ما يمكن أن يحمل من معنى، أو أن يؤدي من دلالة في هذا المجال.

٢-٢. (البديع) في الخط العربي:

تكشف محاولة تتبع أثر لفظ (البديع) في أدبيات هذا الفن عن وروده في عبارات على شاكلة: (الخط البديع المنسوب) و(الخط البديع) و(بديع الخط).

وعلى الرغم من وضوح المعنى والدلالة في هذه العبارات التي ترجح فيها اللغة على الاصطلاح، إذ لا يتعدى هذا اللفظ في معناه وفي دلالته ما يكون عليه هو نفسه في اللغة والأدب والبلاغة وغير ذلك من معنى الحداثة والجدة، ومن دلالة على الجودة والملاحة والإتقان والجمال والكمال في الأداء والأثرالخطي.. ليشير بالتالي إلى معنى (حسن الخط) ودلالته.

ولذلك، يصعب أن نقرر (البديع) ههنا اسماً مصطلحياً يدل على مفهوم بعينه، ولكننا نقول حين لا تكون لدينا مندوحة عن الأخذ بالاصطلاح هنا: أن لفظة البديع تشير، في أحسن أحوال المعنى والدلالة، إلى ما يعرف لدى أهل فن الخط بـ (الخط المنسوب).

كان طاش كوبري زادة (أحمد بن مصطفى، ت ٩٦٨هـ/١٥٦٠م) أول من أطلق هذا اللفظ في وصف أعلام الخط الأوائل: ابن مقلة الوزير (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م)، وابن البواب (ت ٤١٣هـ / ١٠٢٢م) وياقوت المستعصمي (ت ٦٩٨ هـ / ١٢٩٨م) جميعاً دون تفريق، بأنهم: "أصحاب الخط البديع المنسوب"[٤]، ويميز طاش كوبري زادة ابن

مقلة الوزير من بين هؤلاء الأعلام بأنه " أول من كتب الخط البديع المنسوب"[٥]. وقد نقل حاجي خليفة[٦] (مصطفى بن عبدالله، ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م) ذلك كله عنه بالنص دون زيادة أو تفسير.

وإذا كان لا بد من تفسير لورود لفظة (البديع) هذه في سياق هذه العبارات، فالتفسير الذي نراه هو إمكانية دلالتها على مستوى من مستويات الخط المنسوب: جودة في الأداء وحسناً في الشكل، بحيث يمكن أن تتدرج مستويات الأداء والشكل في الخط دون البديع وفوقه.

وربما كان هذا هو التفسير الذي قصده الشيخ اللغوي أحمد رضا (ت ١٣٢٢هـ / ١٩١٤م)، وهومن أوائل الباحثين المحدثين في الخط، بدلالة البديع في نصوص حاجي خليفة ومصدره السابق: طاش كوبري زادة، ولا سيما النص الذي يصف ابن مقلة بأنه (أول من كتب الخط البديع المنسوب).

وإذا كان الشيخ رضا قد فسَّر (البديع) هذا بأنه هو: "الخط النسخي الشائع [اليوم]، وذكر ابن مقلة الوزير بأنه هو الذي سماه الخط البديع"[٧]..

ولعله من هنا، جاءت هذه الإشكالية المعرفية في حدود المصطلح الفني في ما بين (البديع) و(النسخ) في الخط المنسوب بدايةً، وفي المعرفة الخطية كلها نهايةً، لا سما وإن لفظ (النسخ) متعدد المعنى والدلالة:

٢-٣. إشكالية (البديع):

تعاملت كثرة من مراجع الخط العربي مع لفظ (البديع) على أنه مصطلح فني محدد الدلالة على مادة معينة من مواد فن الخط العربي، وبخاصة على "قلم أو خط النسخ المأخوذ من الجليل أو الطومار"[٨] الذي كان شائعاً طوال القرن الثالث الهجري / التاسع

الميلادي باعتباره مظهراً من مظاهر الكتابة المتقنة على وفق الرسوم والقوانين" إلى أن نبغ الوزير ابن علي بن مقلة في مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي فأطلق على قلم النسخ اسم: البديع"[٩].

ويفهم من هذا، ومما ذهب إليه بعض الباحثين المعنيين بهذا الشأن: أن أولوية التسمية كانت للفظ البديع على لفظ النسخ، لاسيما وإن أغلب مراجع الخط الحديثة تبدو متفقة على نظرية تسمية خط النسخ بالبديع، ولم يبدُ بينها من خلافٍ واضح سوى في نسبة هذه التسمية إلى مصدرها الأول، فقد اتجهت هذه المراجع في تعيين هذا المصدر اتجاهين اثنين:

الأول: يذهب في نسبة هذه التسمية إلى ابن مقلة الذي ابتكرخط النسخ وسماه (الخط البديع). وهذا هو الاتجاه الرئيس.

الثاني: يذهب إلى أن ابن مقلة هو الذي ابتكره ولكن ابن البواب هو الذي طوره وهذبه، وهو الذي "أسماه القلم البديع"[١٠]. وربما كانت فاتحة هذا الرأي على يد المستشرق رايس D. S. Rice في تحقيقه الرائد لمصحف إبن البواب الشهير[١١] .

وعلى الرغم من كثرة ما يتردد (لفظ البديع) في مراجع الخط الحديثة، فإن أحداً من أصحابها لم يحاول الخوض في تفاصيله الفنية أو التاريخية مثلما حاول المستشرق الألماني أريك شرويدر Eric Schroeder في بحثه الرائد الموسوم بـ (ما هو البديع..؟)[١٢] الذي خلص فيه إلى أن (البديع) خط ابتكره ابن مقلة من تطويره لأحد الخطوط الكوفية المشرقية أو الإيرانية بخاصة، ولكنه ليس بكوفي. ويذهب شرويدر الى أن ابن البواب أعطاه شكلاً محدداً ذا ليونة قريبة من ليونة خط النسخ، وهو ليس بخط النسخ، وبهذا يكون (البديع) شكلاً انتقالياً بين الكوفي اليابس والنسخ اللين.

وقد انطلق شرويدر في افتراضه هذا مما ذكره حاجي خليفة عن البديع، وحاول إثبات هويته مما ذكره ابن النديم في فهرسته

عـن الخطوط الكوفية، وبالأخص منها: (القيراموز)[١٣] الذي اشـتق منه (خط العجم) بتعبير ابن النديم، وهو الخط الذي سماه شرويدر (الخط الأعجمي) ورجح شـيوعه في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي خطاً رسـمياً الحاكم في ظل الخلافة العباسـية، ثم أرى أن هذا الشكل من الخط الأعجمي هو (خط البديع)[١٤]، (ينظر: الشكل رقم ١٧) الذي حل بشـكل مفاجئ وغامض محل الكوفي، ثم أفسـح المجال أمام خط النسـخ ليأخذ مكانـه[١٥]، على الرغم من أن الخط الكوفي ظل يسـتخدم في النقوش المعمارية وبعض المصاحف وبعض الوثائق.

بيد أن انتقالية (البديع) بين اليبوسة والليونة كانت أهم خصائصه الفنيـة التـي أدت به إلى عدم امتلاك هوية فنية مميزة في الشـكل والأداء، يمكـن أن يعـزى بها هذا الشـكل من الخـط إلى مجموعة (الخطـوط الموزونـة)[١٦] أو مجموعـة (الخطوط المنسـوبة). ولعل ضياعـه الفني - الوظيفي المذكور هنا كان أو جعل أبرز إشـكالياته المصطلحية تكمن في معرفة وضعه وفي تسميته، وربما كان ذلك هو السبب، عند شـرويدر على الأقل، في اختفاء هذا النوع المحتمل من أنواع الخط.

وكانت المستشرقة الألمانية آن ماري شيمل Schimmel قد عارضت افتراض شـرويدر هذا، ونفت أن يكون أمر (البديع) كما رأى هو[١٧]، دون أن تقدم أي دليل على نفيها هذا، بل ودون مناقشة منها، عميقة أو عابرة لرأي شرويدر الذي تنفيه.

وربمـا لذلك، يمكن القول بأن بعضاً من الباحثين في هذا المجال إنطلقـوا من فرضية شـرويدر هذه في الاصل الكوفـي للبديع إلى القـول إنَّ (البديع) مـن نوع الكوفي القيرواني، الذي تمت تسـميته عنـد هذا البعض بـ (الكوفي البديع)، وهي تسـمية تبدو لنا يتيمة فقيرة لا تصمد فنياً وتاريخياً أمام حيثية (الكوفي القيرواني) بوصفه مصطلحـاً فنيـاً ملتزماً في البحث العلمي المتعلـق بالخط، لأن هذا (الكوفـي البديع) لا يخرج في شـكله وفي وظيفتـه وفي تاريخه عن

إطار الشــكل القيرواني المذكور[18] (ينظر: الشكل رقم - ١٨).. تطور بتخلصه من كثرة الزخرفة إلى الاعتدال فيها مع البساطة في الخط منذ بـدأ خطاطو"صنهاجة" يميلون منذ القـرن الخامس الهجري / الحادي عشـر الميلادي إلى تبني أسـلوب جديد، يقـوم على المقابلة بين الاسـتدقاق والاستغلاظ في الشـكل، أي: أن دقيقه دقيق جداً، وغليظه غليظ جداً، في كتابة المصاحف الإفريقية (التونسـية)، كما هو الحال، على سـبيل المثال لا الحصر، في أشـهرهذه المصاحف، وهو المصحف المعروف بـ (مصحف الحاضنة) المكتوب حوالي ٤١٠هـ / ١٠١٩ م، بخـط (علي الوراق) (ينظر: الشـكل رقم ـ ١٩)، وسـمي هذا المصحف بهذا الاسم نسبة إلى السيدة فاطمة.. حاضنة المعزين باديس الصنهاجي (ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م).

٢- ٤. (البديع) ليس (النسخ):

وعـوداً علـى ذلك النص المشـكل أو الذي ربمـا كان وراء هذه الإشكالية المعرفية للبديع والنسخ وعيرهما، يتوجب هنا النظر بإنعام الى القصد الذي أراده الشيخ رضا أحمد من هذا النص الذي لايبدو لنا مقصوده بـ (الخط النسـخي) هنـا.. إلا" (الخط اللين) الذي كان معروفاً قبل ابن مقلة[19] تمييزاً له عن الخط اليابس، ولم يقصـد من ذلك (خط النسـخ) الذي نعرفه بوصفه نوعاً من أنواع الخط الفنية (ينظر: الشكل رقم ـ ٢٠) ينسب اختراعه الأول إلى شقيق الوزير ابن مقلة: أبي عبدالله الحسن بن مقلة[20] (ت ٣٣٨ هـ / ٩٤٩م).

ولعـل مـا يجعـل هذه المقاربـة النقدية تؤكد ذلـك.. هو أن لفـظ (النسخ) منشطر المعنى في اللغة المعرفية للكتابة والخط، على الدلالات والفهوم الآتية:

١- النقل الكتابي ـ الحرفي للمعنى[22].

٢- الخـط اللين المختلف عن الخـط اليابس[٢٢].

٣- نوع خاص أو معين من أنواع الخط الستة الاساسية المعروفة عنـــد أهـل الخـط (الأقلام الســـتة)، وهـي: المحقق والثلث، والنســـخ والريحان، والرقاع والتواقيع[٢٣].

٤- النسخ هو الكتابة أو الخط بصورة عامة، فهناك "النسخ في شكله الكوفي المقور لأول الإسلام، والنسخ في الصورة التي نقله اليها الكتاب المحسنون، ولا سيما إبن مقلة وإبن البواب.."[٢٤].

إن لفـــظ (النســـخ) ذا المعاني والـــدلالات المتباينة في المعرفة الخطية العربية يجعل من مصطلح (النســـخ) الخطي الفني إشكالية مفهومية، ربما تحتاج هي الى حل علمي ســـليم، ربما جعل الخطاط والباحث يوسف ذنون[٢٥] يعارض نظرية التسمية المتبادلة بين البديع والنســـخ، أياً كان اتجاهها، جملة وتفصيـــلاً، ونبه غير مرة، على أن نظرية إطلاق تسمية خط أو الخط البديع على خط النسخ لا أساس لها من الصحة، فما هـي إلا اســـتنتـاج (خاطئ) وقع فيه أحمد رضا، ولأنه من الذين كتبوا عن الخط في وقت مبكر من العصر الحديث، فقد تابعه من جاء بعده دونما تدقيق لما كتب، فكلمة (البديع) لا تفيد هنا أكثر من معناها اللغوي القائم على كونها صفة محضاً.

ومن الممكن أن يستقر الرأي بأنه ليس لـ (البديع) هنا أي معنى اصطلاحـــي مميز يمكن أن يجعلها تعمـــل خارج إطار اللغة الوصفية لروعة (الخط المنسوب).

٣- الخط المنسوب:

وإذا كان لفـــظ (البديـــع) هذا وصفاً دالاً على الجدة والملاحة والحســـن والروعـة في (الخط المنسوب)، ولم يكن إسماً . مصطلحاً يـــدل على نـــوع من الخط بعينه، نســـخاً كان أو غيـــره.. فإن لفظ

(المنسوب) هنا لا يختلف كثيراً عن ما هو عليه (البديع) من الإشكالية في القصد والدلالة، والذي يبدو، في ضوء أبسط مراجعة نقدية أو تحليل له في هذا السياق، أنه لا يعدو أن يتجاوز (البديع) في كونه وصفا لغوياً محضاً، نسبياً، الى أن يكون وصفاً جمالياً معيارياً، يمكن عده وصفاً معرفياً محدوداً بحدود (النسبة) و (التناسب) وغيرهما مما يعطيه صفة مصطلحية معينة.

وعلى الرغم من هذا التباين الدلالي النسبي في ما بين كل من (البديع) و(المنسوب).. يظل الإثنان وصفين متتابعين، لغوياً، لـ (الخط).. يقوم الوصف الأول منهما في حقيقته على اساس الثاني، أي إن (المنسوب) هو الأصل لكلا الوصفين، فالخط كان بديعاً لأنه منسوب في الأصل.

٣- ١. إشكالية (المنسوب):

ولكن إشكالية (المنسوب) المفهومية تبدو أكثر تعقيداً من الإشكالية المفهومية لـ (البديع)، فقد تباينت مصادر الخط العربي ومراجعه في بيان معنى (المنسوب) بين الأقوال الآتية:

١ - "الخط المنسوب يعني كونه منسوباً إلى كاتبه المجيد"[٢٦].

٢ - "قال بعضهم: إن السين يجب أن تكون مثل أسنان منشار النجار. ومن الخطأ أن يقال إن الخط مأخوذ من ذلك. بل إن كل حرف له نسبة بآخر، طبقاً لخطوط الأساتذة المتقدمين مثل ابن البواب وابن مقلة"[٢٧].

٣ - تسمية "الأقلام المنسوبة الى الكسور "كالثلث والثلثين والنصف وغيرها، على أساس" أن الأقلام كلها، تأخذ من الخطوط [lines] المستقيمة والمستديرة نسباً مختلفة، فإن كان فيه من الخطوط المستقيمة الثلث سمي الثلث، وإن كان فيه من الخطوط

المستقيمة الثلثان سمي قلم الثلثين"[٢٨].. أو إن "هذه الأقلام منسوبة من نسـبة قلم الطومار في المساحة، وذلك أن قلم الطومار الذي هو أجل الأقلام.. مسحة عرضه أربع وعشرون شعرة من شعر البرذون، وقلم الثلث منه بمقدار ثلثه: وهو ثمان شعرات، وقلم النصف بمقدار نصفه: وهو آثنتا عشرة شـعرة، وقلم الثلثين بمقدار ثلثيه: وهو ست عشرة شعرة"[٢٩].

٤ – المنسـوب على أسـاس "تناسب الخط في أشـكاله الهندسية المتقنة المجودة"[٣٠].

وربما جاءت هذه الإشـكالية المفهومية للفظ (المنسـوب) هنا في وصـف (الخط) من تعدد (معاني النسـبة) وتباينهـا في ما بين كلٍ من علماء (الهندسـة) التي كانت مقولاتها وقوانينها أسـاس التحول المعرفي. الفني للخط العربي من (الموزون) الى (المنسـوب).. وعلماء الرياضيـات والمنطق واللغـة أو النحو تحديداً، علـى الرغم من أن الجميـع تقريباً يتفقون على معنـى عام لها، لا يكاد يخرج عن أنها: "نوع من الإضافة"[٣١].

٣-٢. التناسب.. هندسة الجمال في الخط:

على الرغم من التباين اللغوي المعروف في مايخص أصالة اللفظ العربي لـ (الهندسـة) وتعريبها المسـتحدث في بنـاء الكلمة ومعناها المحدود، وعلى الرغم من حداثتها في المعرفة العربية الإسلامية، التي كانت بحدود القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.. أعطى العرب المسلمون الهندسة دلالات فلسفية وعلمية وفنية تنفتح على ماوراء هذا المعنى اللغوي المحدود، إذ صاغ العلماء العرب المسلمون رؤية مفهومية شمولية للهندسة، تتصل بالحكمة، وتعمل في مختلف مجالات المعرفة الإنسـانية: النظرية والعملية، إذ تبدو الهندسة بمثابة قاعدة التوفيق التـي تنتظم في العلوم والمعـارف والآداب والفنون والصنائع لتحقيق

هذه الحكمة فيها، وبذلك يمكن فهم الهندســة على أنها ليست العلم المجرد لقياس المقادير حســب، بل هـي أيضــاً القوانين والمعايير التي تنظم الأشـياء والأعمال والأمور والأفكار، وهــي كذلك: كل إنتاج أو إبداع متقن وفق هذه القوانين والمعايير الهندسية.. من أشكال وأعمال وأفكار ورموز ومصنوعات ومسموعات ومبان وغير ذلك.

وربما لذلك كله، عد مصنفو المعرفة العربية الإســلامية الهندسة واحــداً من أهــم أربعة علوم أساســية، هي:علم العدد، والهندســة، والموســيقى، والهيئة.. وصنفوا (علم الهندســة) هذا إلى: علم عقلي نظري و آخر حسي عملي[٣٢].

وقد دخلت المعرفة الهندســية أصلاً فــي التحول المعرفي. الفني للخــط العربي من الموزون إلى المنســوب، أو يمكن القــول إنّهَا كانت سبباً وجيهاً في هذا التحول، حتى صارت (قوانين الهندسة) المتعلقة بالنقطــة والخط line والســطح والجســم وغير ذلــك، من أصول المعرفــة الخطية العربية التي انتقلت فيها الشــروط الجمالية للخط كالحســن والجودة والقوة والبيان، من (الوزن) القائم على الشــعيرة والشعرة والدانق والقيراط غيرها الى (التناسب) على وفق العلاقات الرياضية للخطوط lines والأوضاع والأشكال الهندسية. وربما لذلك صــار (الخطــاط)، بوصفه مجود الخط وصاحب تحســينه، يعرف بـ"المحررالحاذق المهندس"[٣٣].

إن الأخذ بمقولات الهندســة وقوانينها صارمــن أولويات المعرفة الخطية العربيــة. ولعل أولى هذه المقولات وأهمها: (النســبة) التي بها وعلى أساســها كان (التناسب) هندسة الخط العربي الرياضية. الجمالية.. لا ســيما وإن كلاً من علماء الهندســة وفقهاء الجمال، العرب والمســلمون، يجتمعون على مفهــوم متماثلٍ تقريباً لمصطلح (النسبة)، فهي عند علماء الهندسة: "إضافة في القدَر بين عِظَمَين من جنسٍ واحد"[٣٤].. وعند علماء الجمال: العرب والمســلمين، "دالة

على الإعظام.." وهو مصطلح مـن مصطلحات علم الجمال العربي الإسـلامي، اخترعـه الفارابي[٣٥]، مثلمـا إخترع غيره مـن العلماء مصطلحات: القبول والميل والاستحسـان والإعجاب والرضا والفتنة واللذة والهيبة وغيرها بنفس المعنى في التعبيرعن العلاقة بين الجميل ومدركه أو عن أثرالجمال في ناظره أو سامعه أو متخيله.

إن نظرية الجمال العربية الإسـلامية تسـتند، باختصار، إلى مقولات: الكمال والتمام، و العدد والتناسـب، والقبول والاسـتجابة. وتمتاز الأشـياء في هـذه النظرية بما يمكن أن نسـميه: النسـبية الجمالية الخاصة، إذ أن "لكل شـيءٍ كمال يليق به، وقد يليق بغيره [كمـال] ضده، فحسـن [جمال] كل شـيءٍ في كمالـه الذي يليق بـه"[٣٦]. ولذلك، فإن بناء الجمال وصناعته تقومان، بالدرجة الأولى، على التناسـب، إذ "يعمل الصناع والحذاق [ومنهم الخطاطون مثلا] مصنوعاتهم مـن الأشـكال والتماثيل والصور [بمـا فيها الخطية] مناسـباتٍ : بعضها لبعض، في التركيب والتأليف والهندام"[٣٧].. إذ أن "أحكم المصنوعـات، وأتقن المركبات، وأحسـن المؤلفات: ما كان تركيب بنيته، وتأليف أجزائه على النسبة الأفضل"[٣٨].

وكانت (النسـبة) في النظرية الهندسـية ـ الجمالية لفن الخط العربي ذات خصوصية معينة في قياس الشـكل المتناسب أو المنسوب للحرف. وتقوم هذه الخصوصية على (الفضل) الذي هو مفهوم قيمي عربي إسلامي يفيد الزيادة في كل شيءٍ حسن من جمال أو خير أو رزق أو غيـر ذلك. ومن هنا، عرفت هذه النسـبة في أدبيات الجمال العربية الإسـلامية بعامة، وفي أدبيات فن الخـط العربي بخاصة، بـ(النسبة الفاضلة).

و "النسـبة الفاضلة: هي المثل، والمثل والنصف، والمثل والربع، والمثل والثمن" أي أن هذه النسـبة في أي شيء من الأشياء هي كون" طوله مثل عرضه، ومثل نصفه، ومثل ربعه، ومثل ثمنه"[٣٩].

وقد استخدم فقهاء فن الخط العربي هذه (النسبة الفاضلة) في قيام (حسن الخط) على أساس أن "الخط الحسن: كل ما جمع ما يليق به من.. تناسب الحروف، وتوازيها، وآستقامة ترتيبها، وحسن انتظامها"[٤٠].

واعتمدوا لتناسب أشكال الحروف كلها: تناسب شكل حرف الألف على مقدار (١ : ٨) نسبة فاضلة في ما بين عرضه وطوله[٤١]، ومقدار (١ : ٧) نسبة أفضل[٤٢].. وبوضع حرف الألف هذا قطراً لدائرة مفترضة، تجري عملية بناء التناسب في كل أشكال الحروف الأخرى على أساس العلاقة المتناظرة في التناسب لما بين قطرالدائرة ومحيطها المتمثل في حرف الألف (ينظر: الشكل رقم - ٢١). وعلى هذا الأساس عدوا "أحسن الخط: المنسوب".

هوامش الفصل الثالث وإحالاته:

[١] ينظر: إبن منظور: المصدر السابق، ١ / ٣٤١.٣٤٢.

[٢] ينظر: جورج مارسـيه: الفن الإسـلامي، ترجمة عفيف بهنسي، ط١، دمشق ١٩٦٨، ص ٢٨٠.

[٣] ينظر:أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط١، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٣، ١/٣٨٣.

[٤] طاش كوبري زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، ترجمة و تحقيق: كامل كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، د.ت، ١/٨٣، ٨٤، ٨٥،٨٦.

[٥] المصدر نفسه، ١/٨٣.

[٦] حاجي خليفة: كشـف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (مصورة بالأوفيست) مكتبة المثنى، بغداد د.ت، ١/٧١١.

[٧] أحمد رضا (الشـيخ): رسـالة الخـط، مطبعة العرفـان، صيدا ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، ص ١٦.

[٨] محمـد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه، ط١، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الرياض ١٩٨٢، ص١٠٤.

[٩] محمـد بهجة الأثـري: تحقيقات وتعليقات علـى كتاب الخطاط البغـدادي علي بن هلال، مطبعة المجمع العلمي الملكي، بغداد ١٩٥٨، ص٦٦-٦٧.

[١٠] ناجـي زين الديـن المصرف: مصور الخط العربـي، ط٢، مكتبة

النهضة، بغداد ١٩٧٦، ص ٣٢٣.

(١١) D. S. Rice: The Unque Ibn Al – Bawwab Manuscript in the Chester Beatty, Dublin 1955,p 24

(١٢) Eric Schroeder: What was the Badi script ? ARS ISLAMICA, (١٣)Uni. Of Michigan, New York, 1968, Vol.4, pp. 232 – 248
ظل لفظ (القيراموز– الذي أشار ابن النديم إلى أنه نوع من أنواع الخطوط الكوفية كان العجم بخاصة يكتبون به) مجهولاً على الرغم من محاولات بعض الباحثين المحققين المعاصرين التحري عنه ومعالجته من النواحي اللغوية والآثارية والفنية.

ولكن تلك المحاولات لم تسفر إلاّ عن كون لفظة (القيرا موز - بالقاف) هذه ربما هي (فيراموز. بالفاء) معربة عن (بير أموز) الفارسية الأصل التي تعني السهل، وقد ظل هذا الخط غير معلوم الشكل يقيناً ولكن التخمين قد اتجه إلى عده نوعاً من أنواع الخط الكوفي يتسم بحروف مستغلظة الشكل موصولة بخطوط شعرية دقيقة،تبدو أشكاله النهائية وكأنها مكسرة بما يشبه أشكالاً خطية كتبت بها كتب إيرانية يعود تاريخها إلى القرن الرابع الهجري.وأطلق الباحثون المعاصرون على خطوطها تسميات من قبيل: الكوفي بقالب إيراني، أو الكوفي الشرقي، وهكذا.

(ينظر: حبيب الله فضائلي: أطلس الخط والخطوط، ترجمة الدكتور محمد التونجي، ط١، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٩٣، ص ١٢٥ – ١٢٩).

(١٤) Schroeder: op.cit,p.٢٣٩

(١٥) Ibid.,p.٢٤٢

[١٦] الــوزن فــي الخط: قياس عــرض القلم الذي يكتــب به الخط، فتنوعــت الخطوط على وفق اختــلاف قياس الأقلام التي تكتب بها، فأطلق مصطلح (القلم) بذلك على نوع الخط، كأن يقال: (قلم الثلث) أي (خط الثلث).وكان الوزن في قياس نوع الخط يعتمد على (شــعرة البرذون) التي هي أول وحدة استخدمت في قياس وزن الخط.

[١٧] Schimmel: Calligraphy & Islamic Culture, London ١٩٩٠, p ٧

[١٨] محمد الصادق عبد اللطيف: دخول المصحف الشريف لإفريقيا، بحث مقدم إلى مهرجان بغداد العالمي الثاني للخط العربي والزخرفة الإسلامية (١٩٩٣)، ص ٤.

[١٩] القلقشندي (أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م): صبح الأعشى في صناعة الإنشــا، تحقيق محمد حســين شــمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧، ٣/ ١١.

[٢٠] المصدر نفسه، ١٢/٣.

[٢١] أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، حققه حسام الدين القدسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ص ٢٤٠.

[٢٢] إدهــام محمــد حنــش: الخط العربــي في الموصــل - ماضيه وحاضــره، ط١، مركز دراســات الموصل بجامعــة الموصل، الموصل، ١٩٩٦، ص١١.

[٢٣] ينظر: حاجي خليفة: المصدر السابق، ١٧٧١ /١.

[٢٤] الأثري: المرجع السابق، ص ٥٠.

[٢٥] يوسف ذنون: (أ) الخط العربي، العربي (مجلة. الكويت)، ع/ ١٦١

- نيسان ١٩٧٢، ص ٢١. (ب) نظرات في مصور الخط العربي، مجلة المجمع العلمي العراقـــي - بغداد، مج / ٢٥ - ١٩٧٤، ص ٢٧٤. (ج) قـــديم وجديد في أصل الخط العربـــي وتطوره في عصوره المختلفة، ص ١٩.

[٢٦] ينظر: مجهول: رسالة في الكتابة المنسوبة، تحقيق الدكتور خليل محمود عســاكر، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١، ج١، مايس، مايـــو ١٩٥٥، ص١٢٥. أضاف محققو كتـــاب (النجوم الزواهر، ٣ / ٢٦٨) على وصف إبن مقلة بـ " صاحب الخط المنسوب " حرف الجر (الـــى) وضميره الغائب، فجعلوا الوصف: " صاحب الخط المنســـوب (اليه)".

[٢٧] ينظر: الراوندي (محمد بن علي بن سليمان، المتوفى بعد ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م: راحة الصدور وآية الســـرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية: الدكتور أمين ابراهيم الشواربي والدكتورعبد المنعم محمد حســـين والدكتورفؤاد عبد المعطي الصياد، دارالقلم، القاهرة ١٩٦٠، ص ٦٦١.

[٢٨] الأثري: المرجع السابق، ص ٤٩.

[٢٩] نفسه، بالرجوع الى القلقشندي: المصدر السابق، ٣ / ٥٢.

[٣٠] الأثري: المرجع السابق، ص ٦٧.

[٣١] النسبة: في الرياضيات. "أن يكون العدد جزءاً أو أجزاء من عدد آخر ".. وفي المنطق." مقولة أعم من الإضافة، وهي كل ما يتوســـط بـــين شـــيئين.. وفي اللغـــة أو النحو. صيغة نحويـــة بحروف معينة تحكم نهاية شـــكل إسم المنســـوب الى بلد أو جنس أو عشيرة أو غير ذلك. ينظر:الفارابي: تحصيل الســـعادة، تحقيق جعفر آل ياسين، دار

الأندلس، بيروت، ١٩٨١، ص ٥٥.

[٣٢] ينظر: جلال شـوقي (الدكتور): العلوم والمعارف الهندسية، ط ١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٩٩٥.

[٣٣] إخوان الصفا: المصدر السابق، ١ / ٢٢٥.

[٣٤] الفارابي: المصدر السابق، ص ٥٥.

[٣٥] المصدر نفسه.

[٣٦] الغزالـي (ابو حامـد): احياء علوم الديـن، دار المعرفة، بيروت، ٤/٢٤٧.

[٣٧] إخوان الصفا: المصدر السابق، ١ / ٢٢٥.

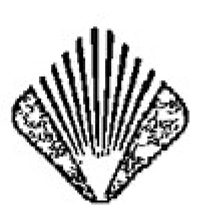
[٣٨] المصدر نفسه. ١ / ٢١٧.

[٣٩] المصدر نفسه، ١ / ٢٠٥، ٢٢٢، ٢٠٣.

[٤٠] الغزالي: المصدر السابق، ٣ / ١٥٨.

[٤١] إخوان الصفا: المصدر السابق، ١ / ٢١٩.

[٤٢] الآثاري: المصدر السابق، ص ٢٢٨.



الفصل الرابع

مدرسية الخط العربي وحدود المصطلح الفني

مدرسية الخط العربي
وحـدود المصطلح الفنـي

١- مقدمة:

انشـغل البحـث الحديـث والمعاصـر، المتعلق بالفن الإسـلامي، بالنزعة المدرسية إنشغالاً مقصوداً لتوكيد التنوع في وحدة هذا الفن العضوية المتماسـكة، بوصفها الخاصية الأولى والأهم بين خصائص الفن الإسـلامي ومبادئه وأسسـه، والموضوع الأهم في المعرفة الفنية العربية الإسلامية.

وقد أدى هذا الإنشـغال الى تفكيـك البنية المعرفية الواحدة للفن الإسـلامي الـى ما اصطلح عليـه، عند عددٍ متكاثر، نسـبياً، من مؤرخي هذا الفن ودارسيه، بـ (مدارس الفن الإسلامي) في مختلف مجالاته الإبداعية: العمارة، والتصوير، وغيرهما من الفنون والصنائع الإسلامية.

ولم تختلف هذه المقولة المدرسية للفن الإسلامي في مجال الخط العربـي عنها في مجـالات هذا الفن المختلفة، مـن حيث التوصيف والتصنيف والتباين في الأسـس التي تسـتند اليها هذه المقولة التي تغلب عليها العمومية الدلالية للمفهوم الذي يضيق ويتسع بشكل مفتوح وغير محدد في أغلب دراسات الفن الإسلامي القائلة بالمدرسية فيه، وبخاصة منها تلك الدراسات التأريخية لهذا الفن.

ومـن هنا، قد تصبح المراجعة النقديـة لهذه المقولة ومفهومها المفتوح على احتمالات دلالية مختلفة، ومتباينة أحياناً، حاجة معرفية لوضعها في سـياقها المناسـب من المعرفة الفنية الإسـلامية بعامة،

والمعرفـــة الخطية منها بوجه خـــاص، طالما أخذنا بوجود هذه المقولة وحقيقتها المعرفية كعامل من عوامل المنهج العلمي للبحث في قضايا الإبداع والأسلوبية في هذه المجالات الفنية الإسلامية المختلفة.

٢- المدرسة. المصطلح والمفهوم:

كان مصطلح (المدرســة) حادثاً في المعرفة العربية الإسلامية "بعد الأربعمائة من سني الهجرة"[١] / القرن العاشر الميلادي.

ويؤكد المختصون[٢] بأن نشــوء المدرســة العربية الإســلامية كان يرتبط أولا وأساســا بتدريس الفقه السني بمذاهبه الأربعة المعروفة، فضــلا عن علوم القــرآن الكريم والحديث النبوي الشــريف وبعض العلوم الأخرى.

وقد يمكننا أن ندخل من هنا إلى اســتيعاب المفهوم الذي نشأ به، وتطور عليه، مصطلح (المدرسة) في التداول العربي الإسلامي، إذ يبدو مفهومــا مزدوج الدلالة، كما يرتبط أيضا من حيث المعرفة والوظيفة بمفهوم (الاتجاه) الرؤيوي والفلســفي. ولا شك في أن المعجم العربي الأساسي[٣] قد استوعب هذا المفهوم مثلما استوعبته المعاجم اللغوية والدلالية الأخرى، بما يعكس ارتباط هذا المصطلح بالمعرفة الإنسانية الكلية ذات الاتجاهات الفلسفية المختلفة التي تمثلها كيانات مؤسسية عدة. وإذ يبدو مصطلح (المدرســة) هنا مشتركا لفظيا بين مضمونين هما: (المؤسسة) و(الاتجاه)، كلا على انفراد.. يبدو هذا المصطلح في ظل ذلك أيضا إشكالية مفهومية ربما تحتاج منا إلى حل يمكن تمثله في توحيد هذين المضمونين في ما يدل عليه اللفظ المركب (المؤسسة المعرفية) الجامع لمضمون الكيان المؤسسي لمصطلح (المدرسة) وكذلك لمضمون الاتجاه المعرفي الخاص لهذا المصطلح. بعبارة أخرى مباشرة، يمكن القول: إنَّ مصطلح (المدرسة) يعني (المؤسسة المعرفية)، ونعني

بها، على سـبيل الزيادة في التوضيح، البنـى والخصائص المعرفية والفنية والوظيفية والعلمية وغيرها.

٣ - المؤسسة والاتجاه في مدرسية الخط:

يعـد النقد أكثـر مجـالات المعرفة والإبـداع الإنسـانيين عناية بالإشكالية المدرسـية في توصيف وفي تصنيف اتجاهاتهما النظرية والتطبيقية، وفي سـياقه: حاول المشروع النقدي المتواضع لفن الخط العربـي [٤] وما يزال يتابع الظاهرة المدرسـية فـي هذا الفن العربي الإسلامي الأصيل، يحاول تحليلها وحل إشكالياتها المعرفية والنقدية بقصد الوصول العلمي الدقيق إلى طبيعتها الفلسفية الفنية التي ربما شـابها بعض الغموض بسـبب التباين الطردي بين التنظير الفلسفي لقواعـد فن الخط وأنواعه وأسـاليبه وبين التمثيـل التطبيقي لهذه القواعد والأنواع والأساليب في التراث المعرفي العربي الإسلامي، إذ كان هذا التنظير من التقعيد والتفسـير والشرح والتوضيح متواضعاً في مداه النظري مقارنة مع الأعمال والفعاليات الخطية المباشرة في المخطوطـات وفي العمارة وفي غيرهما من وثائق وأشـكال وأعمال الموروث القديم والنتاج الحديث والمعاصر لفن الخط العربي.

لقد أدى هذا التباين بين النظرية والتطبيق إلى أن تظل (المدرسية) غائبة عن البحث والتداول في أوسـاط أهـل فن الخط والمعنيين به على اختلاف مستوياتهم وعلى تنوع اهتماماتهم، حتى بَدْء الدراسات العلميـة والمنهجية الأكاديميـة، الحديثة والمعاصـرة، لهذا الفن في غضون القرن الرابع عشـر الهجري / العشرين الميلادي الذي بدأت منه وفيه الانتباهة العلمية والنقدية إلى ضرورة استكشـاف الظاهرة المدرسية الخطية، فأخذت أدبيات الخط العربي، التاريخية والفنية، تتوفر على مصطلح (المدرسة) في توصيف وتصنيف مسارات الإنجاز

والإبداع في مجال هذا الفن، بشكل واضح، بل إن هذا المصطلح قد أصبح متداولاً بشكل لافت للنظر في هذه الأدبيات من الكتب والمقالات والمحاضرات وغير ذلك.

إن متابعة ظهور هذا المصطلح ووجوده في أدبيات الخط العربي، التاريخية والفنية، متابعة متواضعة وحريصة تكشف، ابتداء، عن سياق تطور تاريخي ومعرفي لمفهومه الدلالي المزدوج من المؤسسة إلى الاتجاه، إذ يمكن القول: إن استخدام هذا المصطلح لأول مرة في أوساط أهل فن الخط والمعنيين به كان مع التأسيس العثماني لأول مؤسسة تعليمية متخصصة بهذا الفن، أطلق عليها اسم (مدرسة الخطاطين).

وربما كان من هنا، ومن تأثير مناهج البحث العلمي الحديثة والمعاصرة التي تطورت بها الدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية المتخصصة بالخط العربي.. أن حصل استخدام مصطلح (المدرسة) بدلالته الكلية على الاتجاه الفني المميز في الخط العربي، لأول مرة على يد الباحث المصري الدكتور إبراهيم جمعة (ت١٤٠٢هـ/١٩٨١م). في كتابيه الموسومين بـ (قصة الكتابة العربية)[٥] و(دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة)[٦].

*** المؤسسة في فن الخط:**

لا شك في أن تعليم (حسن الخط) على قواعده وأصوله المعرفية، يرجع إلى أقطاب الخط الأوائل ابتداء من ابن مقلة (ت٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) وابن البواب (ت٤١٣هـ /١٠٢٢م) وياقوت المستعصمي (ت٦٩٨هـ/١٢٩٨م) مروراً بتلامذتهم و(سلسلة الخطاطين) اللاحقين في مختلف الحواضر العربية والإسلامية، المشرقية والمغربية، عبر فعاليات التعليم والتأجيز التي حافظت على أصول فن الخط وقواعده

العلميـــة والتقنية والجماليـــة، وتطورها جميعا بمـــا أنضج تدريجيا ضرورة وجود المؤسسة، العلمية والفنية، التي ترعى هذا الفن، وتنمّيه إبداعيا واجتماعياً، حتى ولدت مثل هذه المؤسسة في المجتمع العربي الإســـلامي على نحو بدأ متواضعاً مـــع محاولة بعض خطاطي بغداد في القرنين الخامس والســـادس الهجريين / الحادي عشـــر والثاني عشر الميلاديين في إنشاء مؤسسات خاصة لتعليم حسن الخط، كان أول مـــا أطلق عليها مصطلح (مكتِّبات)[٧]، بعد أن كان حســـن الخط يدرس مع سائر العلوم في العديد من (المدارس) البغدادية التي كانت تمنح فيها الأجازات العلمية.

وتشـــير بعض مصادر فن الخط التأريخية[٨] الى أن أول مدرسة عليا لفن الخط العربي كانت قد تأسســـت علـــى يد الخطاط البغدادي عبد الله الصيرفي (ت ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م) أحد تلامذة ياقوت المستعصمي الذين رسخوا قواعد الخط في الأقلام الستة (ينظر: الشكل رقم - ٢٢).

وكانت هذه (المكتِّبات) قد انتشرت في مصر وغيرها، حتى أشارت بعض المصادر التاريخية إلى ما كان من وجود موظفين معلمين لحسن الخط بقوانـــين وتقاليد معروفـــة بينهم[٩] أطلق علـــى الواحد منهم مصطلح (المكتِّب) الذي كان أول من اشتهر به الشيخ محمد بن أحمد بن علي الزفتاوي (ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣م) المكتب بالفسطاط[١٠].

وتواصل إطلاق مصطلحي (المدرســـة) و (المكتب) على المؤسسات التعليمية، الشاملة والمتخصصة، جنبا إلى جنب، حتى في ظل التطور ا لحضاري العثماني لفن الخط بخاصة، والعلم والتعليم بعامة، إذ كان العثمانيون يفرقون نسبيا بين المصطلحين، فيطلقون (مدرسة) أساسا على المؤسســـات التعليمية الدينية الملحقة عادة بالمســـاجد بخاصة، بينما يطلقـــون (مَكتب) على المؤسســـات الحكومية المكرســـة عادة للتعليم غيـــر الديني: الحكومي أوالأهلـــي أو الأجنبي الخاص، حتى العام (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م) الذي استقر بعده لفظ (المدرسة) مصطلحا

عثمانيا واحدا جامعا للمؤسسات التعليمية العامة والخاصة.

وفيما يتعلق بالخط هنا: عني العثمانيون كثيرا بتعليم حسن الخط، فدرس الخطاطون العثمانيون المعلمون لهذا الفن تلامذتهم، الفرادى والجماعات، في البيوت والجوامع والتكايا والكتاتيب والمدارس والمكتبات وحتى في بعض المؤسسات الحكومية الرسمية الخاصة كباب الفتوى ومشيخة الإسلام والقصور السلطانية. وربما كان من نتائج ذلك كله، ومن تطور فكرة ما قام به بعض هؤلاء الخطاطين الأساتذة من اتخاذ أماكن خاصة ملحقة عادة بالمساجد والجوامع لتعليم حسن الخط، أطلقوا عليها اسم الـ (مشقخانة)[١٢]..

كان العثمانيون أول من أنشأ مثل هذه المؤسسة التعليمية الخطية المتخصصة على وجه الاستقلال من حيث المكان والمنهج والكادر، فتم افتتاح (مدرسة الخطاطين) في ٦ رجب ١٣٣٢هـ / ١٣ أيار ١٩١٢م..

وعلى الرغم مما يبدو عليه الغرض الرئيس من تأسيس هذه المدرسة غرضا مهنيا مماثلاً منصباً على تأسيس المدارس العثمانية المهنية الأخرى، سواء المعنية منها بإعداد الكتاب في الدولة كمدرسة الصنائع النفيسة ومدرسة الكتاب العسكريين وغيرهم، أو المعنية بإعداد الموظفين الآخرين كمدرسة العشائر ومدرسة الوعاظ والمرشدين وغيرهما.. فقد كان تعليم حسن الخط في (مدرسة الخطاطين) يختلف عنه في المدارس العثمانية الرسمية وغير الرسمية الأخرى بكل مستوياتها من حيث الغرض ومن حيث الطبيعة ومن حيث المنهج [١٣]، فهي مدرسة متخصصة بتعليم فن الخط والفنون الزخرفية المصاحبة له كالتذهيب والتجليد وصناعة الورق الفني الخاص كالابرو والآهار. وكان يُدَرِّس فيها كبار الخطاطين العثمانيين[١٤]، ولا يَدْرُس فيها إلا الخطاطون[١٥]. وتمنح هذه المدرسة لخريجيها شهادة علمية خاصة عنوانها (إجازة نامه)[١٦].

وكان لهذه المدرسة دور مهم ومؤثر في نهضة الخط الفنية العربية الحديثـة، والمعاصرة حتى، بفضل نقل تجربة (مدرسـة الخطاطين) هـذه إلى بعض البلـدان العربية، وبالذات مصر التي أنشـئت فيها (مدرسة تحسين الخطوط الملكية)[١٧] عام ١٣٤١هـ / ١٩٢٢م، وتوالي قيام المؤسسـات التعليمية الخطيـة المتخصصة من مدارس ومعاهد وكليات ومراكز وغيرها في أغلب البلدان العربية والإسـلامية حتى اليوم.

*** الاتجاه في فن الخط:**

تنامى اسـتخدام هذا المصطلح في أدبيات الخط العربي ونتاجاته المختلفـة مع تنامي المشـروع المعرفي والنقدي لهـذا الفن على مدى النصف الثاني من القرن الماضي لتوكيد الطبيعة الفنية الخالصة له، فقد تناول العديد من المؤلفات الحديثة والمعاصرة، إذا لم نقل أكثرها، على نحو أو آخر موضوع المدرسية في الخط العربي.

ولعل استقراء موضوع المدرسـية في أدبيات الخط العربي وتحليل معطاه، النظري والتطبيقي، المشـترك لأغلب الدراسـات التي تناولت (مـدارس) هذا الفن يظهران بوضوح إشـكاليات عـدة في ما يخص إطلاق مصطلح (المدرسة) واستخدامه في التعبير عن الإبداع الخطي ومنجـزه التاريخي الفـردي والجماعي. ولكن أبرز هذه الإشـكاليات وأهمها هي إشكالية المفهوم، إذ تباينت أدبيات فن الخط تباينا واضحا في فهم المحمول الدلالي المضمون الذي يتوفر عليه مصطلح (المدرسة) عند توصيف مسارات الإبداع والإنجاز في الخط العربي.

ولعلنا نسـتطيع هنا، بـكل تواضع، حصر هذه التباينات المسـببة لإشكالية مفهوم المدرسية في الخط العربي في المدلولين الآتيين:

الأول: اسـتخدم بعض أدبيات الخط مصطلح (المدرسـة) بمفهوم (الأسلوب)، فصارت (المدرسية) عند هذا البعض تعبيرا عن الأسلوبية

الفرديــة المتمثلة في المنجز الإبداعي الشــخصي لبعض الخطاطين الكبــار كابن مقلة وابن البواب وياقوت المســتعصمي الذين كانت لهم إبداعات أولى على مستوى الابتكار والتجويد والتطوير في البنية الفنية لهندسة الخط العربي وجماليته "فكان لكل منهم مدرسته الخاصة... وقــد أجادت مدارس هؤلاء كتابة جميع أنواع الخطوط المعروفة التي يذكرها لنا صاحب الفهرســت"[١٨]. كما تتمثل هذه الأسلوبية الناشئة عن الملكات الشــخصية والقدرات الإبداعية في الفروق الفردية بين أداء الخطاطين وآثارهم الفنية التي "لا يتورع [بعض] الكتاب في فن الخط العربــي عن عد هذه الاختلافات مدارس فنية مســتقلة، لذا صار مألوفا أن يقال: مدرســة الشــيخ حمد الله، ومدرسة الحافظ عثمان، ومدرســة راقم، ومدرسة شــوقي، ومدرسة سامي، ومدرسة شفيق..."[١٩] الذين كانوا أئمة الخطاطين العثمانيين في خطي الثلث والنسخ (ينظر: الشكل رقم ـ ٢٣).

وكانت الاختلافات الأســلوبية بينهم في هــذا الإطار طفيفة جدا ويصعــب تشــخيصها إلا على الخطــاط الباحث المتعمــق كمحمود بدرالدين يازر الذي صنف التعددية الأســلوبية في الخط إلى سبعة مســتويات، وضع في أولها مصطلــح (المدرســة)، ومفهومه: "عنده أن كل نوع من أنواع الخط يشــكل مدرســة، وأحيانــا تكون أكثر من مدرسة واحدة في نوع الخط الواحد، فيذكر الكوفي العربي (هكذا) والكوفي الاندلســي على أن كلا منهما مدرســة مستقلة، متخذا من وجود [خطاطين] أتباع لكل نوع، الســبب الرئيس لهذا التصنيف"[٢٠] الذي يسلســل المســتويات الأخرى في تبايــن الأداء والاثر تباعا إلى مصطلحات: الفرع والأسلوب والطراز والطريقة واللكنة والحالة[٢١].

وعلــى الرغم مــن إقرار بعــض باحثي الخــط ونقــاده للمفهوم الأســلوبي للمدرســية في هذا الفن، عارض هــذا البعض فكرة أن تكون الاختلافات الأســلوبية الفردية الطفيفــة في الأداء وفي الأثر مدارس متعددة، وذهب هذا البعض في ضوء علم الأســلوب إلى "أن

الأسلوبية النمطية التشكيلية في الخط العربي هي أسلوبية واحدة، فنيا وتاريخيا، وبالتالي، فإنه إذا ما واصلنا إطلاق مصطلح (مدرسة) خطية في هذا المجال، فإن الخط العربي يمثل مدرسة خطية واحدة، واتجاها واحدا"[٢٢] في الفن والجمال والإبداع.

"أما إذا بحثنا عن مدرسة ثانية في مجال الخط العربي، فإننا سنجدها في الأسلوب الحروفي الذي بدأت بوادره في بداية الخمسينات من القرن العشرين في الدول العربية وبالتحديد في العراق... فالمدرسة الحروفية تختلف عن مدرسة الخط العربي التقليدي في أن الاولى لا تبني العمل الفني على النص الكامل دائما، ولا تعنيها القواعد الموزونة للحروف، وانها تستخدم مختلف التقنيات التي هي تشكيلية بحتة، فالحروف عند الحروفيين لها قيمة تشكيلية بحد ذاتها دون أن تحمل بالضرورة معاني لغوية، ودون أن يكون الفنان ملزما برسم الحروف وفق نوع من أنواع الخط العربي"[٢٣].

ومن هنا يرى هذا البعض أن لا تعددية في مدارس الخط العربي، لأن "مصطلح مدرسة له مدلول محدد لا يطلق جزافا على كل اختلاف في الطريقة، إذ لابد أن يكون الاختلاف في المنهج، والرؤية، ثم يكون لهذه الطريقة أتباع يسيرون على نهجها"[٢٤].

الثاني: واستخدم بعض آخر من أدبيات الخط مصطلح (المدرسة) بمفهوم (المركز) الحضاري والتاريخي لهذا الفن، أي البيئة التي نشأ فيها، وتطور على مستويات التجويد والتنوع والوظيفة والتمثيل في الآثار وفي الأشخاص وغير ذلك، حتى صار للخط بعض خصائصه البيئية: الإقليمية أو المحلية، ولذلك تم وصف هذا المصطلح بأسماء أبرز المراكز الحضارية والتاريخية، الإقليمية وغيرها، كبغداد والشام ومصر والسلاجقة والاتابكة والعثمانيين وغير ذلك [٢٥].

ويمكن حصر (مراكز) أو (مدارس) تجويد الخط هذه في ضوء

تسميات هذه الأدبيات: المدرسة العراقية العباسية، المدرسة الشامية، المدرســة المصرية المملوكية، المدرســة المغربية، المدرســة البغدادية، المدرسة الشرقية أو الإيرانية أو الفارسية، وهكذا.

ويفهم من اســتقراء المضمون الموضوعي لعناوين هذه التســميات وتحليل محتواها أن المدرســة هنا تعني دراسة تاريخ الخط الفني من النشأة والتطور في التجويد والإضافة في الأنواع والأساليب والوظائف والعلاقات والتواصل في أعلام الخطاطين ونتاجاتهم الفنية المختلفة، وفي التآليف المكرسة لشؤون الخط من القواعد والأصول وغير ذلك، ممــا يتعلق بهذا الفن فــي بيئته الحضاريــة والثقافية المحددة عادة في أحد إطارين رئيســين: الإطار الجغرافي المتمثل بالمدن والأقاليم، والإطار السياسي المتمثل بالدول والأقوام.

٣- جدل المؤسسة والاتجاه في مدرسية الخط:

لاشــك في أن عوامل حضارية متباينة كانت قد أسهمت في تباين نشــأة فن الخط وتطــوره وتحولاته الوظيفية والأســلوبية في المدن والحواضر العربية الإســلامية، شــأنه في ذلك شأن العلوم والآداب والفنون الأخرى.

واعتمد الخط في هذه التحولات الحضارية على ما أســماه فقهاء الخط ومؤرخوه بـ(السند) العلمي والفني الذي اشتهر أكثر بـ(سلسلة الخطاطين) أو (شجرة الخطاطين) التي تفرعت، عن أصولها، في هذه الحواضر تفرعات متباينة، فصارت هذه السلسلة البغدادية - مثلاً- تختلــف في أعلامها وفي خطوطها وفي طرائقها وربما في وظائفها عن تلك السلســلة الشــامية المختلفة بدورها عن السلسلة المصرية، وهكذا[٢٦] اعتمادا على تقاليد تــداول هذا الفن في الأخذ والتأجيز اللذيــن يؤديان، بلا أدنى ريب، الى إنتاج أشــبه ما يكون بما أســماه

البعض بـ(مشيخة)[٢٧] الخط، او بما اسماه الخطاط الباحث الدكتور صلاح الدين شيرزاد بـ(المرجعيات المركزية)[٢٨] للأسلوبية الخطية في السياق التاريخي والفني والعلمي لهذه السلسة من تلك، لتنشأ بذلك مـا يمكن أن نعده، حقيقة، اتجاهـات فنية ووظيفية وتاريخية للخط العربي غلب عليها مصطلح (مدرسـة) في دراسـات الخط العربي، التاريخية والفنية، وتعددت بذلك (مدارس) هذا الفن بحسب التوزيع الجغرافي والسياسي على المدن والأقاليم والدول والأقوام.

ولكن هذا التوصيف (المدرسـي) الذي اعتمدته هذه الدراسـات لم يكن مسـتندا إلى اسـس علمية منهجية صلبة وواضحة في بناء الاتجاه المعرفـي النوعي الخاص والمميز لكل واحـدة من (مدارس) الخـط العربي التي حاول الباحثون والمؤرخـون والنقاد والخطاطون تحديدها، دون أن تتمكن أي من هذه الدراسات رسم المعالم الواضحة لها، والمسـتنتجة من خضوعها العلمي المتخصـص للبحث والتحليل والاستنتاج.

ولذلك، ليس أمامنا إلا محاولة إعادة توصيف مصطلح (مدرسـة) هنا، على أسـاس افتراض محدداته النوعية أو مقوماته، اسـتنباطا مـن المعطى الموضوعـي، النظري والتطبيقي، المشـترك لأغلب هذه الدراسات التي تناولت (مدارس) الخط العربي هذه.

ولعل ما يمكن أن نفترضه اسـتنباطا هنا هو إن المقومات البنائية والدلالية لمصطلح (المدرسة) في فن الخط العربي هـي:

(أولا) عدة أنواع الخط وأساليبه الخاصة المعروفة بها هذه المدرسة عـن تلك، وبالذات تلك الأنواع والأسـاليب التي يُنسـب ابتكارها أو تجويدها أو اسـتخدامها الأساس الى أحدها أكثر من الاخرى. وهو ما يجعل لها..

(ثانيا) الخصوصية الوظيفية والفنية الأسلوبية في أداء هذه الأنواع

والأساليب. وهي خصوصية تتواصل وتتطور في الغالب عبر..

(ثالثا) سلسلة الخطاطين المجيدين الممثلين لهذه المدارس في أجيال وأجيال من الخطاطين[٢٩].

وإذا ما واصلنا تحليل مضمون هذا المصطلح وشرح مفهومه في إطار فن الخط العربي، فنقصد بالمدرسة الخطية البُنى والخصائص المعرفية (من الرؤية والمنهج)، والفنية (من الأنواع والأساليب)، والوظيفية (من الأعمال والعلاقات)، والعلمية (من المعارف والتقاليد) فضلاً عن أبرز أعلامها الخطاطين وأهم آثارها الفنية.

ان مصطلح (المدرسة) هو أوسع بكثير من حيث المفهوم والدلالة من مصطلح (الأسلوب)، ولذلك لا تقتصر المدرسية في فن الخط العربي على الاسلوبية فحسب، بل تتجاوزها إلى منظومة مترابطة من حيث الاتجاه الفكري والمعرفي المستند الى الرؤية والمنهج والاسلوب، ومن حيث المؤسسة القائمة على العلاقات والمصطلحات والأشخاص والموضوعات والوظائف.

ولا شك في أن هذا الفهم او التحليل يعزز، أو ينطلق، من فرضية المقومات الفنية والتاريخية لمصطلح (المدرسة) في فن الخط العربي، بما يعبر تماما وخلاصة وعلى نحو جدلي بين عن كونه اتجاها مؤسسيا في المعرفة الفنية بشكل عام، وفي المعرفة الخطية العربية بشكل خاص.

فعلى صعيد المعرفة الفنية: يبدو الخط العربي، في ضوء ذلك، فنا خاصا ومستقلا ومتميزا بين الفنون التشكيلية، قائما على اتجاه معرفي - إبداعي خاص للتعامل مع الحرف[٣٠] العربي في إطار اللغة العربية، بما يمكن أن نطلق على هذا الاتجاه: نزعة فنية ــ مدرسية متميزة بين الاتجاهات والنزعات الفنية والإبداعية المتعاملة بالحرف العربي ومعه على أساس تشكيلي وفني وجمالي معين، فقد اختلف مثقفو الفن ونقاده في طبيعة الخط العربي وتباينت وجهات نظرهم

بشأن هذه الطبيعة تباينا واضحا قد يصل إلى حد التقاطع والتناقض أحيانا.

ويمكــن حصر وجهــات النظر هــذه، باختصار، فــي الاتجاهات المعرفية - النقدية الآتية:

١- إن الخــط العربي هــو أقرب ما يكون الــى الصنعة الوظيفية الخالصة المرتبطة بالإداء ألاتصالي ـــ اللغوي الصرف، منه إلى أي مجال معرفي آخر كالفن والجمال والابداع وغير ذلك.

٢ - ان الخط العربي هو مظهر شكلاني محض متوفر، كأي شكل، على إمكانيات تشــكيلية كبيرة يمكن اســتثمارها بشكل عام في بناء لوحة الفن التشــكيلي، ويتمثل ذلك في الاتجاه الحروفي في الأعمال الفنية التشكيلية الحديثة والمعاصرة.

٣ - إن الخــط العربي فن خاص ومســتقل ومتميز. وتقوم فنيته علــى العلاقة العضوية بين هندســة الخط script بوصفه صورة الحــرف المحــددة بأصول وقواعد ونســب وعلاقــات معينة، وبين موســيقاه البصرية المتحركة باتجــاه التأليف والتشــكيل والتكوين اللامحــدود.

أمــا على صعيد المعرفة الخطية العربية: فقد اتجه هذا الفن،منذ بواكير نشأته وعبر مسيرة تطوره، الى التنوع في الشكل، والتعدد في الوظيفة، والتوسع في الانتشــار، حتى تباينت الاتجاهات والاساليب والوظائف والمؤسســات الفكريــة والبيئية لهذا الفــن بفضل تباري الخطاطين المجيديــن المتعاقبين في أجيال وأجيــال في توليد أنواع الخط وتجويد أســاليبه في ضوء عوامل الدفع والتشجيع الحضارية والوظيفية والبيئية التى لم يجد دارســو الخط العربي والباحثون فيه بــدا من الركــون اليها في توصيف هذه الاتجاهــات الفنية المتباينة، فبرزت التعددية المدرسية في فن الخط العربي.

٤- مدارس الخط العربي الفنية:

قــد يصعب الأخذ بما ذهب إليه البعض من التعددية في ما يتعلق بتصنيف المــدارس الفنية للخط العربي وتوصيفها، لأســباب تتصل بغيــاب المعيار المنهجي الواضح لهذه العمليــة، مما أدى ذلك المبالغة الخارجة عن الحدود المنهجية للبحث في الموضوع، فجاءت أعداد هذه المدارس الخطية كثيرة كثرة تبدو مفتوحة قابلة للزيادة والتوســع[٢١]، كما أن هذه الأســباب تتصل بصعوبة تحديــد الحدود المعرفية لهذه المــدارس التي أخذت، كما تبدو عند هذا البعض، الحدود الجغرافية أو السياسية أساساً لتصنيف هذه المدارس وتوصيفها.

إن الحدود المنهجية والمعرفية للبحث في الموضوع هي حدود يمكن أن نصفهــا، تقريبــاً، بالحدود الحضارية - التأريخيــة التي تتداخل فيما بينها، بل قد تتماهى وتتلاشى في بعضها البعض نتيجة الوحدة المعرفية الكلية التي لا يمكن للموضوع الخطي أن يتنوع الى (مدارس) إلاّ داخــل هذه الوحــدة المعرفية وحدودها الحضاريــة والتأريخية الواحدة والواسعة والشــاملة لكل الخصوصيات الثقافية والمتغيرات السياسية للمجتمع العربي - الإسلامي.

ولكــن هذه الخصوصيــات والمتغيرات لا يمكن إغفالها في تشــكل المنظومــة الحضارية - التأريخية العامة للعرب والمســلمين، وبالتالي لا يمكن إغفالها في صيرورة (الخط العربي) الخاصة بوصفها جزءاً مهماً مــن هذه المنظومة الحضارية - التأريخية التي يمكن القول بأن العامل الخطي، الفني المتنوع الشــكل والوظيفة، كان ذا دور حيوي وطليعي في تشكل هذه المنظومة وصيرورتها، بل يمكن القول إنَّ هذا التنوع الشكلي والوظيفــي الحاصــل في (الخط العربــي) الواحد فــي أصله اللغوي والجمالــي، كان أحد هذه المتغيرات المتأثرة، بلا شــك، بالخصوصيات الثقافية الناشطة في هذا المجتمع العربي - الإسلامي الواسع المتنوع.

ولعل هذا يؤدي بنا الى إمكان تفسير نشوء مدرسية الخط العربي الفنية

في حدود حضارية ـ تأريخية عامة ومفتوحة على أغلب.. إذا لم نقل: كل الخصوصيات الثقافية والمتغيرات السياسية للبيئات العربية ـ الإسلامية الواحدة في هويتها المعرفية، والمتواصلة في توزعها الجغرافي.

ومن هنا، يمكن أن نؤشر، تأريخياً، لبدايات هذا النشوء وتطوره مع الانتشار الحضاري الأوسع للخط العربي من المركز الحضاري العربي - الإسلامي الأول لـه: بغداد.. إلى المراكز الحضارية الإسلامية الأخرى المتمثلة بكبريات المدن العربية والإسلامية الأخرى في العالم العربي – الإسلامي، وبروز الاتجاهات الأسلوبية الخاصة المتأثرة بالخصوصية الثقافية لهذه المدن وبيئاتها الاجتماعية، إذ تمثلت هذه المدرسية في انتقال الخط من الوحدة في الرؤية الجمالية والأسلوب الفنـي والأداء الوظيفي.. النابعة تحديداً من (المدرسة البغدادية أو العراقيـة)[٣٢] التي تعارف عليها مؤرخو الخط في نتاج أقطاب هذا الفن الأوائل: ابن مقلة (٢٧٢-٣٢٨هـ/٨٨٥-٩٣٩م) وابن البواب (ت ٤١٣هـ/١٠٢٢م) وياقوت المستعصمي (ت ٦٩٨هـ/١٢٩٨م) وغيرهم، إلى تعددية هذه الرؤية، وهذا الأسلوب وهذا الأداء، التي تعارف عليها هؤلاء المؤرخون في مدارس الخط الأخرى: الشامية، والشرقية[٣٣]، والمصرية، والمغربية، والعثمانية.

ولعل رسم الخريطة الحضارية لحقبة انتقال الخط ونشوء المدرسية فيه، يتطلب شروطاً مجتمعة هي: الفن، والتاريخ، والجغرافية، فالحدود الفنية الخطية لهذه الحقبة تبدأ بعد ياقوت النوري الموصلي[٣٤] (ت ٦١٨ هـ/١٢٢١م) في سلسلة الخط الشامية والمصرية[٣٥]، وبعد عبد الله الصيرفي[٣٦] في سلسلة الخط البغدادية[٣٧]، وتنتهي عند الشيخ حمد الله الأماسي (٨٤٠-٩٢٦هـ/١٤٣٦-١٥١٩م) .

ومن هذه الحدود الفنية تبرز الحدود التاريخية للحقبة محصورة فيما بين القرنين السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.. والتاسع الهجري/ الخمس عشر الميلادي، اللذين شهدا الانحسار التدريجي للسيادة السياسية العربية بخاصة، في أعقاب الغزو المغولي لبغداد

وآحتلالها عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، عن العالم الإسلامي، والنمو التدريجي للسيادة الأجنبية التي تعاقب على تمثيلها دويلات مغولية وتركمانية وفارسية ومملوكية وغيرها عديدة حتى استقرت الغلبة في خضم هذا التموج السياسي للعثمانيين الذين كادت أن تخلص لهم تماما فيما بعد سيادة العالم الإسلامي السياسية، ليس بسبب نجاحاتهم العسكرية المتتالية في آسيا وأوروبا، والتي توجت بالفتح العظيم للقسطنطية عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، فقط، بل وبسبب الالتفات العثماني إلى إكساب هذه السيادة السياسية / العسكرية الصفة الدينية الشرعية المقدسة بمحاولة السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٧هـ/١٥١٢-١٥٢٠م) نقل رموزالخلافة إلى القسطنطينية التي سماها العثمانيون: اسلامبول (أي مدينة الإسلام)، المدينة الجديدة التي لم تعد مركز قوة محدود التأثير في الأناضول وبعض أوروبا حسب بل صارت مركز قوة مؤثراً في العالم القديم كله. وهذا الأمر يمكن الأخذ به عاملاً تأريخيا مهماً في تفسير انتقال الخط ونشوء المدرسية وتطورها، على أنه قد يكون صفة عامة لهذه الحقبة، لكن الصفة الخاصة والنسبية لها تكمن في وصفها بأنها حقبة تمهيدية لنشوء وتنامي وبزوغ المدرسة العثمانية في الخط العربي التي كانت، بلا شك، أكبر مدارس الخط العربي الفنية، بسبب إجتذابها التحولات الحضارية الإسلامية باتجاه الأناضول بعامة، وعاصمة الدولة العثمانية بخاصة، ومنها خلاصات الإبداع الإسلامي وغير الإسلامي في الصناعة والعمارة والعلم والأدب والفن وغير ذلك.

وربما يجعلنا هذا نستخلص الحدود الجغرافية لحركة الخط في هذه الحقبة قبل العثمانية، ممثلةً ببيئة الأناضول بخاصة، مركزاً، وببيئات المشرق الإسلامي المحيطة بعامة (بغداد جنوباً، فارس شرقاً، الشام ومصرغرباً، باتجاه الأناضول شمالاً).

وإذا كان كل ذلك، على أهميته، محسوباً على الإطار الموضوعي العام لنشوء المدرسية الفنية في الخط العربي وتطورها، على هذا

المـــدى الذي يمكن أن نعـــرض له بتواضع، متصلاً اتصالاً مباشـــراً بالتحـــولات الحضارية: الدينية / الصوفية، والإدارية / السياســـية، والثقافيـــة / العلمية.. فإن البنية الذاتية لهذه المدرســـية الفنية لابد أن يكـــون لهـــا تحولاتها الخاصة فضلاً عن تلـــك التي جرت في ظل تلك التحولات الحضارية أو بدونها. ولذلك لابد أن يســـوقنا البحث فـــي الموضوع الى مقاربة التحولات الفقهية والفنية والعلمية الخاصة للخط العربي، ومظاهرتشكلها المدرسي القائم على العلاقة العضوية الوشـــيجة في ما بين الوحدة والتنوع في الفن الإسلامي بعامة، وفن الخط العربي بخاصة.

ولعـــل بالإمكان القول، باختصار.. وعلى ســـبيل المثال لا الحصر، إن أبرز هذه التحولات وأهمها تنطلق من نضج واكتمال[٣٨] المدرســـة البغداديـــة أو العراقية في هذه الحقبة تواصلاً لما كان مشـــهوراً من النتاج الكتابي – الفني – الوظيفي المعروف بـ (الخط العراقي)[٣٩] في أوساط العلماء ودكاكين الوراقين ودواوين الدولة، فضلاً عن الخطوط العربية الأولى وأشـــكالها التي كانت نتاجاً متوارثاً من خطاطي بغداد والمـــدن العراقية الأخرى لكون العراق – بمفهومه الجغرافي المعاصر – البيئة الأولى للحضارة العربية والإسلامية ومركزها السياسي،

ويمكـــن أن نســـتدل على هذا النضـــج والتكامل بأكثر من إشـــارة تاريخية - فنية إلى تميز الجهود الخطية البغدادية أو العراقية متمثلة في تطوير أحـــداث النقلة الفنية النوعية لأشـــكال الحروف العربية من اليبوســـة والبســـط والزوايا الحادة إلى الليونة والتقوير والزوايا المنفتحة، وذلك من خلال استخلاص النظرية الفنية العربية الإسلامية الأولى للخط القائمة على ميزان (النسبة الفاضلة) لاشكال الحروف في بعض أنواعه الأساســـية، وبخاصة الثلث، وتقديمها في رســـائل علمية خاصة وعديدة[٤٠] كان من أبرزها (رسالة في الخط والقلم)[٤١] المنسوبة إلى ابن مقلة الوزير الذي استخلص فيها من التراث الكتابي والخطي المتمثل بآراء وجهود ســـابقيه ومعاصريـــه المعنيين وبالذات

استاذه المحرر البربري[٤٢].. مبادئ نظريته الفنية في الخط.

من هنا تشكلت نـواة أو أسـاس الفقه الجمالي للخـط العربي وطليعته المبكرة في إرساء المرسوم الفني المنسوب[٤٣] للخط، والمتمثل لأول مـرة في خط الثلـث، وبقية الأقـلام السـتة التي جعلت نظرية الشـكل الفني للحرف العربي في الخط تنعطف، في جوهرها، من (الكتابـة الموزونة) و(الخطوط الموزونة) الى ما صار يعرف بـ (الكتابة المنسوبة) و(الخطوط المنسوبة) .

ولعله من هنا أيضاً ، إنفتحت آفاق تطوير طرق وسموت[٤٤] وأساليب فنية لكتابة هذه الخطوط وغيرها، منطلقة من قواعد كل خط، ومميزة بـالأداء المبتكر لأوائل الخطاطين ممـن تركوا بصماتهم أثراً واضحاً في هذا الفن، كابن البواب الذي عرف بـ (الأستاذ) وشاعت (طريقته) في أداء الأقلام السـتة وغيرها[٤٥]، وياقوت المسـتعصمي الذي نقل الأداء الخطي لهذه الأقلام السـتة بعد تعيينها وتحديد قواعدها إلى مستوى أكثر سرعة وأرشق شـكلاً وأوسع وظيفة، من خلال التأكيد على طريقة قطة قلم الكتابة الخطية على وفق ما ينـاسـب، هندسياً ووظيفياً، كل نوعٍ من أنواع الخط الجديدة.

وربما كانت هذه التحولات وغيرها في المعرفة الخطية العربية قد فتحت المجال لانتشار الأصول العلمية والفنية والوظيفية البغدادية أو العراقية للخط العربي، من أنواع وقواعد وطرق وأسـاليب وتقنيات، إلـى مختلف بقاع العالم الإسـلامي.. مثلما فتحـت المجال لحدوث تحـولات مماثلة في تطوير المعرفة الخطية العربية بالابداع والابتكار والتوليـد والاشـتقاق وغير ذلك، بما أدى تماماً الى نشـوء مدارس فنيـة جديدة للخط في المراكز الحضارية لهـذه البقاع: فعلى الرغم من أن أقـدم طرق الخط الفنية: طريقة ابن ملقة كانت أول ما حُمِلَ منها إلى الشـرق وتم نشـرها هناك بجهود الجوهري[٤٦] (إسماعيل بن حماد: ت ٤٠٠هـ/١٠١٠م) الذي درّس الخط في نيسـابور بعد أن

كان قد تعلمه في العراق إلى جانب العلوم اللغوية.. كانت طريقتا ابن البواب وياقوت المستعصمي اللتان تمثلتا في خطوطهما وفي خطوط تلامذتهما المباشـــرين أو غير المباشرين أوسع انتشاراً إلى إيران وما وراء النهر شـــرقاً، والشـــام ومصر والمغرب العربي غرباً، والأناضول شـــمالاً، وكانتا أكثر تأثيراً في تطور الخط إلى أساليب فنية متباينة ومتميزة أدت إلى نشـــوء مدارس فنية أساسية للخط منها على سبيل المثال لا الحصر:

- المدرســـة الشـــرقية: التي ركزت على خـــط التعليق وفروعه الأســـلوبية المتصلة به، شكلاً ووظيفة، كالنســـتعليق والشكسته، وبرز فيها خطاطون كبار أشهرهم: ميرعلي التبريزي (ت ٩١٩هـ/١٥١٣م) ومير عماد الحسني (ت ١٠٢٤هـ/١٦١٥م) (ينظر: الشكل رقم ـ ٢٤)، وغيرهما. وكان لها سندها الخاص أو سلسلة خطاطيها المعروفة..

- والمدرســـة المصرية: التي صارت بفضل تقـــدم القاهرة الى المركز الحضاري العربي الإســـلامي الهام الثاني بعد بغداد مباشـــرة فـــي فن الخط حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشـــر الميلادي، لاســـيما وإن طريقة ابن البواب كانت قد ســـارت فيها موازية لمدرسة بغـــداد، إذ اعتنق خطاطوها، مثل إبـــن الصائغ (ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م) الذي أخذ الخط عن الشـــيخ نور الدين الوسيمي البغدادي (ت ٨٢٨ هـــ / ١٤٢٤م)، فيما بعد النتائج التي توصل إليها ياقوت واســـتمروا بإخـــلاص وصدق يفوق مـــا كان في مراكز الفـــن الأخرى، يواصلون مســـيرتهم على مناهج الخط البغدادية القديمة (ينظر: الشكل رقم ـ ٢٥)..

- والمدرســـة الشـــامية: التي كانت في تواصـــل معرفي تام مع المدرســـتين البغدادية والمصرية يصعـــب التمييز بينها إلاّ على صعيد سلســـلتها الخطية التي كان قد تميز بها العديد من الخطاطين تميزا كبيراً (ينظر: الشكل رقم ـ ٢٦)..

• والمدرسة المغربية: التي مثلت في شمال إفريقيا ووسطها وغربها وفي الأندلس أسلوباً مميزاً تماماً، في اللغة والخط، عن أسلوب الكتابة المشرقية، وإن كان الخط المغربي في أول أمره مطبوعاً بطابع مشرقي محض أخذ يميل تدريجياً إلى الكوفي والثلث المتمغرب في القيروان منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، فصار الكوفي المقور أميزما يغلب على أنواع الخط في هذه المدرسة، وكان الكوفي القيرواني أشهر هذه الأنواع (ينظر: الشكل رقم - ٢٧)..

• ولكن، يظل نشوء المدرسة العثمانية في الخط العربي وتطورها المثال الأوضح والأكبر لبيان حدود المصطلح الفني لمدرسية هذا الخط، إذ كانت البدايات الأولى لنشوء المدرسة العثمانية في الخط العربي، قائمة على منطلقين رئيسين:

أولهما - التراث العلمي والفني لمدرسة بغداد في الأقلام الستة، الذي أخذته المدرسة العثمانية منذ بواكيرها الأولى، ثم أخذت التعليق في فترة متأخرة من المدرسة الشرقية. وقد انتقل هذا التراث نتيجة اتصال خطاطين من رعايا الدولة العثمانية (٦٩٩-١٣٤١هـ/١٢٩٩-١٩٢٢م) بخطاطين ينتمون - فنياً على الأقل - إلى هاتين المدرستين[٤٧]، وتلمذتهم لهم سواء بالمباشرة أو بالواسطة، ولعل أبرز من مثل هذا الاتصال الشيخ حمد الله الأماسي (ينظر: الشكل رقم - ٢٨) الذي هو رأس المدرسة الخطية العثمانية بالخطاط البغدادي عبد الله الصيرفي عن طريق الخطاط خيرالدين المرعشي[٤٨] (ت بعد ٨٧٦/١٤٧١م)..

وثانيهما - رعاية الدولة العثمانية المباشرة للخط، وحرصها المبكر على ادخال الخط، اعتبارياً ووظيفياً، فيها على سبيل توكيد الشخصية الإسلامية / العثمانية المتميزة به مظهراً من المظاهر الدينية والاجتماعية والإعلامية والرسمية والعلمية، وغيرها، بحيث

يمكــن القول بوجود اقتران او ترابط شــبه مصيري بين نخبة الخط الخاصة من جهة والمؤسسة العثمانية، السياسية والاجتماعية، العامة من جهة أخرى.

لقد شــكلت منظومة الخــط، المتمثلة في كل من الأقلام الســتة والكوفي والتعليق، جوهر الموروث الحضاري العربي الإســلامي لفن الخط، الذي استقبله العثمانيون بتأثير الآخرين: العرب والسلاجقة والفرس والمماليك، وتعاملوا معه برؤية جديدة على مســتوى الجمال والفن، وعلى مســتوى الوظيفة. ولا شك في أن هذه الرؤية هي التي كانــت وراء إمكانية تطويرهــذا الفن والإضافة عليــه والتميز فيه. ويمكن القول إنَّ هذه الرؤية اســتطاعت أن تشق طريق تميزها بسبر أغــوار هذا الفن واســتجلاء مكنوناته الجمالية علــى نحو متواصل ومتعاقب على أحسن – وأؤكد كلمة أحسن – ما يستطيع المرء تصور شكل الخط وأدائه، ولذلك شاع مصطلح (حُسُنُ الخط)، وهو العبارة العثمانية التي تكافئ عبارة (تحسين الخط) العربية.

ولم يقف الخطاطون العثمانيون عند ضبط أنواع الموروث الخطي هــذا، وتحســينه جمالياً وأدائيــاً، فقط، بل كان لهــم أيضاً فضل كبيــر في ابتكارأنواع جديدة، شــكلاً ووظيفةً، من الخط، إذا ابتكر العثمانيون الخطــوط الهمايونية: الديواني وجلي الديواني، وخطوط المعاملات: الرقعة والســياقة، وغيرهما من الأنواع والأســاليب التي منها، ومــن كل الجهود والأعمال العثمانية، إن على مســتوى تجويد الموروث الخطي وتحســينه أو على مســتوى الابتكار والتقعيد، يمكن القــول، ختاماً، بأن هذه المدرســة العثمانية وضعت المعرفة الخطية العربية الإسلامية كلها في صعيد معرفي واحد، تقريباً، تمثل حدوده المعرفية حدود المصطلح الفني للمدرســية فــي الخط العربي، على أساس العلاقة العضوية في ما بين الوحدة والتنوع في الفن الإسلامي بعامة، وفن الخط العربي بخاصة.

هوامش الفصل الرابع وإحالاته:

[1] المقريزي (تقي الدين احمد بن علي، ت ٨٢١ هـ /١٤١٨ م): كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، مكتبة المثنى، بغداد، د. ت، ٢٦٣/٢.

[2] ينظر: مادة (مدرسة) في: د. عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، جروس بيرس، بيروت، ١٩٨٨، ص ٣٥٨ فما فوق.

[3] ينظر: مادة (درس) في: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: المعجم العربي الاساسي، لاروس، تونس، ١٩٨٨، ص ٤٤٧.

[4] ينظر: ادهام محمد حنش: الخط العربي واشكالية النقد الفني، دار الامراء للنشر، بغداد، ١٩٩٠ وكذلك د. صلاح الدين شيرزاد :واقع الخط العربي في غياب النقد الفني،حروف عربية (مجلة الامارات العربية المتحدة. دبي)،العدد الثاني، كانون الثاني ٢٠٠١، ص ص١٤ .١٧

[5] دار المعارف للطباعة والنشر، مصر، ١٩٤٧.

[6] دار الفكر العربي، مصر، ١٩٦٧

[7] كتب يكتب تكتيبا . كتب الشخص: علمه الكتابة . وكتاب (ج: كتاتيب): مدرسة تقليدية صغيرة لتعليم القراة والكتابة وتحفيظ القران الكريم. ومكتب (ج: مكتبات او مكاتب): موضع او مكان التعليم، مدرسة، وما يزال اللفظ مستخدما في المغرب العربي، وبخاصة في تونس. ينظر: المعجم العربي الاساسي، ص ص ١٢٠٧ ـ ١٠٢٨.

[8] مناقب هنروران، ص ٢١ ... نصار محمد منصور: الاجازة في فن الخط العربي، مجدلاوي للنشر، عمان، ٢٠٠٠، ص ٦٧.

(٩) ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ /١٤٠٥ م): المقدمة، تحقيق: د. على عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٠، ٢/ ٩٦٢.

(١٠) السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧م): الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ٣/ ١٨.

(١١) بتخفيف التاء.

(١٢) مصطفى اوغر درمان: فن الخط، ترجمة صالح سعداوي صالح، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ١٩٩٠، ص ٢٠٦.

(١٣) إدهام محمد حنش: الخط العربي في الوثائق العثمانية، دار المناهج، عمان، ١٩٩٧، ص ١١٦.

(١٤) منهم على سبيل المثال الخطاطون: حسن رضا (ت١٣٣٨ هـ/ ١٩٢٠ م)، ومحمد خلوصي (ت ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م)، والحاج احمد كامل اقديك (ت ١٣٦٠ هـ /١٩٤١م)، وحقي طغراكش (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦ م)، ونجم الدين اوقياي (ت١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦ م).

(١٥) منهم على سبيل المثال الخطاطون: ماجد الزهدي (ت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م)، ومصطفى حليم (ت١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م)، وحامد الامدي (ت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م).

(١٦) M. Uger derman: Turk Yazi San,atinda icazetnamelar ve (teklid yazilar (Ankare, ١٩٧٠

(١٧) للاطلاع على نظام هذه المدرسة واهدافها ينظر: مجلة مدرسة تحسين الخطوط الملكية، العدد الأول، ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م، مطبعة ابن عبد الله، القاهرة.

[١٨] د. ابراهيم جمعة: دراسة في الكتابات الكوفية على الأحجار (سابق)، ص ١٩. ويشير مؤلف فن الخط (سابق ـــ ص٢٤) إلى أنه "ظهرت حول ياقوت وفي حياته: مدرسة ياقوتية". وكتب الباحث الدكتور عبد العزيز عبد الله محمد كتابا شاملا من ٤٢٤ صفحة في سيرة الخطاط العراقي الكبير يوسف ذنون عنوانه: (يوسف ذنون مدرسة الابداع في الخط العربي)، الموصل ١٩٨٦.

[١٩] د. صلاح الدين شيرزاد: الأسلولية في الخط العربي، حروف عربية، العدد السابع، نيسان ٢٠٠٢، ص ٩.

[٢٠] Mahmud Bedreddin yazir: Kalem Guzeli, Z. Baski, Ankara ١٩٩١, S.lll

[٢١] المرجع نفسه.

[٢٢] حنش: الخط العربي وإشكالية النقد الفني، ص٦٥.

[٢٣] شيرزاد: الاسلوبية في الخط العربي، ص١١.

[٢٤] المرجع نفسه.

[٢٥] ينظر على سبيل المثال: د. عبد العزيز الدالي: الخطاطة- الكتابة العربية، مكتبة الخانجي، مصر ١٩٨٠،ص ص ٦٨ ٦٩؛ وباسم ذنون: من افاق الخط العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠، ص ص ٣٧-٦٤؛ وادهام محمد حنش: الخط العربي في الوثائق العثمانية (سابق)، ص ص ٤٤-٤٥؛ ومحمد بن سعيد شريفي: اللوحات الخطية في الفن الاسلامي، دار ابن كثير - دار القادري، دمشق- بيروت، ١٩٩٨، ص ص ١٢١-٣١٥؛ ومحمود شكر الجبوري: المدرسة البغدادية في الخط العربي، (جزءان)، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١.

[٢٦] ينظر: ادهام محمد حنش: المرجع السابق، ص٤٧.

[٢٧] المرجع نفسه، ص٣٥.

[٢٨] صلاح الدين شيرزاد: المرجع السابق ص٦.

[٢٩] ادهام محمد حنش: الأنامل والاثر، سيرة فنية للخطاط هاشم محمد البغدادي، منشورات جمعية الخطاطين العراقية، بغداد، ١٩٩٧، ص٨.

[٣٠] هناك تعاملات اخرى: لغوية ووظيفية واخرى. ينظر: د.ادهام محمد حنش: الخط العربي وإشكالية المصطلح الفني، مطبعة الزهراء، الموصل ٢٠٠٣.

[٣١] ينظر على سبيل المثال لا الحصر: يوسف محمود غلام (الدكتور): الفن في الخط العربي، (الرياض، ١٩٨٢): مدرسة الخط الهندس (ص ٤٧)، المدرسة المملوكية في مصر، مدرسة قرة تاي السلجوقية في قونيا / تركيا، المدرسية الدمشقية، المدرسية الأندلسية، المدرسة الأصفهانية، المدرسة البايزيدية، المدرسة القزوينية، المدرسة الدامغانية، المدرسة الخاركردية، المدرسة اليزدية، المدرسة النيسابورية، المدرسة السلجوقية للخطوط الرمزية، المدرسة الموصلية للخطوط الرمزية، المدرسة الموصلية (ص ص ١٦٠ . ٣٥٠).

[٣٢] ينظر: وليد الأعظمي: المدرسة البغدادية ودورها في تطوير الخط العربي، دراسات عربية وإسلامية، س١، ع١/١٩٨٢، ص ١٧٣-٢٠٢ . وينظر كذلك: نوري حمودي القيسي: مدرسة الخط العراقية من ابن مقلة إلى هاشم البغدادي، المورد، مج ١٥، ع٤/١٩٨٦، ص ص ٦٩-٨٢.

[٣٣] استخدمنا هنا صفة (الشرقية) للتعبير عن (شرق العالم الإسلامي) الذي يتجاوز جغرافيا وثقافياً بلاد فارس ومنها إيرن الحالية إلى بلاد ما وراء النهر حتى الهند. ولم نحبذ أن ننساق وراء

تسمية (المدرسة الفارسية – ينظر: جمعة: الكتابة العربية، ص ٧١) لعدم دقته العلمية، ولا وراء تسمية (المدرسة الإيرانية – ينظر: حبيب الله فضائلي: أطلس الخط والخطوط، ترجمة محمد التونجي، دار طلاس، دمشق ١٩٩٣، ص ٣٧٣) لمحدوديته الضيقة ولحداثة ظهور مصطلح إيران.

(٣٤) هو أبو الدر امين الدين ياقوت بن عبد الله الكاتب النوري المعروف بالملكي نسبة إلى الملك نور الدين أرسلان شاه الأول اتابك الموصل (٥٨٩ ٦٠٧-هـ/١١٩٣-١٢١٠م) المعاصر له، كتب على طريقة ابن البواب على نحو متفرد ومتميز: عنده انعطفت سلسلة الخط الى الشام ومصر، جمع بين حسن الأداء وعمق الثقافة وأعمال الرأي في الخط.

(٣٥) ينظر: حسين بن ياسين بن محمد الكاتب (من علماء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي): لمحة المختطف في صناعة الخط الصلف، تحقيق: هيا محمد الدوسري، ط١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، (الكويت ١٩٩٢).

(٣٦) خطاط بغدادي الأصل والمولد، عاش في تبريز حيث كان والده صيرفياً فيها، وربما لذلك عده البعض تبريزياً وليس من بغداد أو شيراز، وهو في الخط: أحد تلامذة ياقوت المستعصمي الستة المشهورين، وربما تلمذ للسيد حيدر جلي نويس. (ينظر: فضائلي: المرجع السابق، ص ٣١٩).

والصيرفي من أشهر خطاطي الأدراج أو القطع بالمصطلح العثماني. وله باع طويلة في الجلي. ظهرت كتاباته على بعض العمائر في تبريز ودمشق، كتب ستة وثلاثين مصحفاً، تأثر به كثيراً خطاطو خراسان وترك أثراً كبيراً على الخطاطين العثمانيين، وبالأخص منهم الشيخ حمد الله الأماسي، ينظر:

- سعد الدين سليمان مستقيم زاده: تحفة خطاطين، مطبعة الدولة، (استانبول ١٩٢٨)، ص ٢٨٧.
- Al Alparslan: Abdullah Al-Seyrefi, Islam Ansiklopedisi, c. 1 s. ١٣٢
- وليد الأعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين، دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد ١٩٨٩)، ٢/٥٢٤.
- فضائلي: المرجع السابق، ص ص ٣١٦-٣١٧.
- ناجي زين الدين: مصور الخط العربي، مكتبة النهضة (بغداد ١٩٧٦)، ص ٦٤.

(٢٧) ينظر: سعد الدين سليمان بن محمد مستقيم زاده: رسالة سلسلة الخطاطين، نسخة مصورة من مكتبة طوب قابي سراي برقم ٧٢٥ y.y، في مكتبة يوسف ذنون، ص ٢٩٦.

(٣٨) عباس العزاوي: الخط ومشاهير الخطاطين في الوطن العربي، سومر، ج١ و ٢، مج ٣٨/١٩٨٢، ص ٢٨٦.

(٣٩) ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، (بيروت، د، ت). ص ١٢.

(٤٠) مثل:

- رسالة في الخط والقلم لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ/٨٨٩م).
- الرسالة العذراء المنسوبة خطأً لإبراهيم بن المدبر (ت٢٧٩هـ/٨٩٣م) وهي في الأصل لإبراهيم بن محمد الشيباني (ت ٢٩٨هـ/٩١٠م) ينظر: يوسف ذنون: قديم وجديد في أصل الخط

العربي، المورد مج ١٥/ع/١٩٨٦ان ص ١٣ هامش، ٤٤.

- رسـالة في الكتابة والخط، لابن ثوابة (ت ٢٧٧هـ/ ٨٩٠م).. وغيرها.

(٤١) ينظر نصها الكامل منشوراً في هـلال ناجي: ابن مقلة خطاطاً وانساناً واديباً، دار الشـؤون الثقافة العامة، (بغداد ١٩٩١)، ص ص ١١٤-١٢٦.

(٤٢) (أبو الحسين اسحق بن ابراهيم، ت ق ٣هـ/ق ٩م) صاحب (تحفة الوامق). ينظر: ابن النديم: المصدر السابق، ص ص ١٣-١٤.

(٤٣) ينظر: رسالة في الكتابة المنسوبة، نشرها خليل محمود عساكر في مجلة معهد المخطوطات العربية، مج١/ج١/١٩٥٥، ص ص ١٢١-١٢٧.

(٤٤) ينظر: محمد مرتضى الحسـيني الزبيدي: حكمة الإشـراق إلى كتاب الأفاق، تحقيق عبد السـلام هارون: نـوادر المخطوطات، (٨) المجموعة الخامسة، القاهرة ١٩٥٤، ص ٨٨.

(٤٥) ينظر: الطيبي: المصدر السابق.

(٤٦) درمان: المرجع السابق، ص ٢٢.

(٤٧) تـرى بعض مصادر الخط المصرية أن الخط انتقل إلى العثمانيين مـن مصر وذلك عـن طريق سلسـلة: عبد الرحمـن الصائغ (رأس المدرسـة المصرية) ← حمد الله الأماسـي (رأس المدرسة العثمانية) ينظر: حفنـي ناصف: المرجـع السـابق، ص ١٠٤، وكذلك عفيفي: المرجع السابق، ص ٤٥٣.

(٤٨) تـكاد تنحصر معلومات مصادر الخط عن المرعشـي في أنه في أوائل شـيوخ حمد الله الأماسـي في الخط، في أول مرة أخذ الخط

على الأمشــق وبخاصة اشــق عبد الله الصيرفي وبقية الأســاتذة الذين كانوا في وقته وعلى آثار الأقدمين. آخر ما شوهد له من خط مؤرخ بسنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م. (بنظر: مســتقيم زاده: المصدر السابق، ص ١٩٩-٢٠٠. حبيــب: المصــدر الســابق، ص ١١١ - زيــن الدين: المصور، ص ٣٣١).

لائحة المصادر والمراجع

- ابراهيم جمعة (الدكتور): دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، (القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٦٩) ط ١.

......................: قصة الكتابة العربية، (مصر، دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٤٧).

- أحمد الإسكندري و مصطفى عناني: الوسيط في الأدب العربي وتاريخه، (مصر، دار المعارف ١٩١٦).

- أحمد أحمد يوسف: الخط العربي وأساليبه في خدمة الحياة العامة، حلقة بحث الخط العربي، (مصر، المجلس الأعلى لرعاية الفنون الآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦٨).

- أحمد رضا (الشيخ): معجم متن اللغة، (بيروت، دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٥٩).

- أحمد مصطفى علي القضاة: الشريعة الاسلامية والفنون، (بيروت، دار الجيل، د. ت).

- أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ط١، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٣.

- اخوان الصفا: رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا، (بيروت، دار صادر، ١٩٥٧).

- إدهام محمد حنش (الدكتور): الخط العربي واشكالية المصطلح الفني، (الموصل، مطبعة الزهراء الحديثة، ٢٠٠٣)، ط١.

-.......................: الخــط العربي في الوثائق العثمانية، (عمان، دار المناهج، ١٩٩٨)، ط ١.

-.......................: الخط العربي واشكالية النقد الفني، (بغداد، دار الامراء للنشروالتوزيع، بغداد ١٩٩٠) ط ١.

-.......................: الخــط العربي في الموصل - ماضيه وحاضــره، ط١، مركز دراســات الموصل بجامعــة الموصل، الموصل، ١٩٩٦، ص١١.

-.......................: الأنامــل والاثر، ســيرة فنية للخطاط هاشــم محمد البغدادي، منشــورات جمعية الخطاطــين العراقية، بغداد، ١٩٩٧، ص٨.

- إسماعيل باشا البغدادي: هدية العارفين، ط ٣، المكتبة الإسلامية، طهــران ١٩٦٧، (مصورة عن ط)، وكالة المعارف الجليلة، اســتانبول ١٩٥١، ص ٣١.

- الاميرأمين آل ناصر الدين: الرافد - معجم لغوي، (بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧١) ط ١.

الياس البيطار (الدكتور): الأبجدية الفينيقية والخط العربي، (دمشق، ١٩٩٧).

- ابن باديس (المعز، ت ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م): عمدة الكتاب وعدة ذوي الألبــاب، ت: عبد الســتار الحلوجي وعلي عبد المحســن زكي، مجلة معهد المخطوطات العربية، (مجلة. القاهرة)، ١٩٧١، مج ١٧ ٧٥.

- باســم ذنون: من آفاق الخط العربي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٩٠،

- بدري محمد فهد (الدكتور): صناعة الكتاب بين المؤلف والوراق، (عمان، دار المناهج، ٢٠٠٣).

- ابن البصيص (محمد بن موسى عن علي الشافعي، ق ٨ هـ): شرح قصيدة ابن البواب في علم صناعة الكتاب، تحقيق يوسف ذنون، المورد (مجلة تراثية فصيلة محكمة. بغداد)،٢٠٠١م، مج / ٢٩، ع / ١.

- البطليوسي (ابن السيد، ت ٥٢١هـ/ ١١٢٧م): الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وحامد عبد المجيد، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠).

- البغدادي(ابو القاسم عبد الله بن عبد العزيز، ق ٣هـ / ق ٩م): كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها، تحقيق هلال ناجي، المورد (مجلة. بغداد)، ع ٢، مج ٢.

- ابوالبقاء الكفوي (ايوب بن موسى، ت ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٣ م): الكليات، ت: الدكتورعدنان درويش ومحمد المصري، ط١، (دمشق، ١٩٧٤)، ط ١.

- بياترس جرندلر: تاريخ الخطوط والكتاباة العربية من الأنباط الى بدايات الإسلام، ترجمة سلطان المعاني(الدكتور) وفردوس العجلوني (الدكتورة)، (عمان، بيت الأنباط للتأليف والنشر، ٢٠٠٤) .

- تركي عطية الجبوري: فن الخط العربي الاسلامي، (بيروت، دار التراث الاسلامي، ١٩٧٥).

- التهانوي (محمد علي الفاروقي، ت بعد ١١٥٨ هـ / ١٧٤٥ م): موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون، (بيروت، شركة الخياط للكتب والنشر، د. ت).

- التوحيدي (ابوحيان، ت ٤١٤ هـ /١٠٢٣م): رسالة في علم الكتابة،

تحقيق د. إبراهيم الكيلاني، (دمشق، المعهد الفرنسي، ١٩٥١).

- الجرجاني (ابو الحسن علي بن محمد، ت٨١٦ هـ / ١٤١٣م): التعريفات، ت: الدكتور احمد مطلوب، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٣).

- جلال شوقي (الدكتور): العلوم والمعارف الهندسية، ط ١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٩٩٥

- جمعة محمود كريم: نقش كوفي من وادي موسى / البتراء يعود للعصر العباسي الأول، دراسات (مجلة. الجامعة الأردنية)، مج ٢٦، العلوم الإنسانية والإجتماعية، ملحق، كانون الأول ١٩٩٩.

- جمعة محمود كريم و سلطان عبد الله المعاني: نتائج المسح الأثري لنقوش منطقة (سمرة ابو طريفات) في البادية الجنوبية الشرقية / قضاء الجفر، دراسات (مجلة علمية محكمة تصدر عن عمادة البحث العلمي / الجامعة الأردنية) مج ٢٨، العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد ٢، آب ٢٠٠١.

- إبن جني (أبو الفتح عثمان بن جني، ت ٣٩٢هـ / ١٠٠١م)، سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا ورفاقه، (مصر، مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م).

- الجهشياري (محمد بن عبدوس): الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة.

- جواد علي: تاريخ العرب قبل الاسلام، (بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٧).

- جورج مارسيه: الفن الإسلامي، ترجمة عفيف بهنسي، ط١، دمشق ١٩٦٨،

- حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله، ت ١٠٦٧هـ / ١١٦٦م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بغداد، مكتبة المثنى، د. ت) ط (مصورة بالاوفسيت).

- حبيب: خط وخطاطان (بالتركية)، مطبعة أبو الضيا، القسطنطينية ١٣٠٦هـ.

- حبيب الله فضائلي: اطلس الخط والخطوط، ترجمة: الدكتور محمد التونجي، (دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٩٣) ط١.

- حسن الباشا (الدكتور): الفنون الاسلامية والوظائف على الاثار الاسلامية، (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٥)، ج١.

- حسين بن ياسين بن محمد الكاتب (من علماء القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي): لمحة المختطف في صناعة الخط الصلف، تحقيق: هيا محمد الدوسري، ط١، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، (الكويت ١٩٩٢).

- حفني ناصف: تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة ١٩٥٨، ص ١٠٦.

- ابن الحفيد (سيف الدين بن يحيى التفتازاني، ت ٩١٦هـ / ١٥١٠م): الدر النضيد، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٠).

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد، ت ٨٠٨هـ /١٤٠٥م): المقدمة، تحقيق: د. على عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٦٠.

- ابن خلف الكاتب (علي، ت بعد ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م): مواد البيان، تـ: الدكتور حاتم صالح الضامن، المورد (مجلة تراثية فصلية محكمة. بغداد)، ١٩٩٠، مج ١٩، ع ١ .

- الخوارزمي (محمد بن احمد الكاتب، ت ٣٨٧هـ / ٩٩٧م): مفاتيح العلوم، نشر: لويس شيخو اليسوعي، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٧) ط ١.

- ابن درستويه (عبد الله بن جعفر، ت ٣٤٧هـ / ٩٥٨م): كتاب الكتاب، نشر لويس شيخو اليسوعي، (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٧)، ط ١.

- إبن دريد (محمد بن الحسن، ت ٣٢١ هـ/ ٩٣٠ م): جمهرة اللغة، (حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٥ هـ).

- ديماند: الفنون الاسلامية، ترجمة احمد محمد عيسى، (القاهرة، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٨)، ط ٢.

- الرازي (احمد بن محمد بن المختار،ت ٦٦٦ هـ/١٢٦٧م): رسالة في حروف العربية، ت: رشيد عبد الرحمن العبيدي (الدكتور)، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٧٤، مج ٢٠، ج ١ .

- الرازي (محمد بن ابي بكر بن عبد القادر، ت ٦٦١ هـ / ١٢٦٢م): مختار الصحاح، (بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت)، ط ١.

- الراوندي (محمد بن علي بن سليمان، ت + ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م): راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله الى العربية: الدكتور ابراهيم امين الشواربي و الدكتورعبد النعيم محمد حسين والدكتور فؤاد عبد المعطي الصياد، (القاهرة، دار القلم، القاهرة ١٩٦٠).

- رمزي البعلبكي: الكتابة العربية والسامية، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١).

- الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني، ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩٠ م): حكمة

الاشـــراق الى كتـاب الافاق، تـ: عبد الســـلام هـــارون، ضمن: نوادر المخطوطـات، المجموعة الخامســـة، (القاهـــرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٤) ط ١.

- الزركشـــي (محمـــد بن عبـــد الله، ت ٧٩٤ هــــ / ١٣٨٣م): اعلام الساجد باحكام المساجد، تحقيق: الشيخ ابو الوفا مصطفى المراغي، (القاهرة ١٣٨٥ هـ).

- الزفتـــاوي (محمد بن احمد، ت ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م): منهاج الاصابة في معرفة الخطوط وآلات الكتابة، تـ: هلال ناجي، المورد، ١٩٨٠، مج ١٥، ع ٤.

- زكي محمد حسن (الدكتور): الفنون الزخرفية الاسلامية، (بيروت، دارالرائد العربي، د. ت)، ط ١.

..............................: فنون الاســـلام، (بيروت، دار الرائد العربي، د. ت).

- الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر، بيروت ١٩٧٩.

- ابن ساعد السنجاري (شمس الدين محمد بن ابراهيم، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م): ارشـــاد القاصد الى اســـنى المقاصد، تـ: طاهر بن صالح الجزائري، (بيروت، ١٣٢٢هـ) ط ١.

- الســـباعي: رسالة اليقين، مخطوط، نسخة مصورة، موجودة في مكتبتي.

- السجستاني (ابو بكر عبد الله بن سليمان بن الاشعث، ت ٣١٦هـ / ٩٢٨م): كتاب المصاحف، تحقيق: الدكتور محب الدين عبد السبحان، (قطر، وزارة الاوقاف، قطر ١٩٩٥)، ط ١.

- سهيل انور: الخطاط البغدادي على بن هلال المشهور بأبن البواب، ترجمة محمد بهجة الاثري وعزيز سـامي، (بغـداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٨).

- السـخاوي (شـمس الدين محمد بن عبد الرحمـن، ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧م): الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت، ٣/ ١٨.

- سـعد الدين سـليمان بن محمد مسـتقيم زاده: رسـالة سلسـلة الخطاطين، نسـخة مصورة من مكتبة طوب قابي سـراي برقم ٧٢٥ y.y، في مكتبة يوسف ذنون، ص ٢٩٦.

- سـهيلة ياسـين الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، (بغداد، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٧).

- سيد ابراهيم: فن الخط العربي، (القاهرة، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ١٩٦٣)، ط ٢.

- ....: الخـط العربـي، أصله وتطـوره. حلقة بحث الخط العربـي، (مصـر، المجلـس الأعلى لرعايـة الفنـون الآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦٨).

- سـيد حسـين نصر: مباديء فن العمارة الاسـلامية والمشـكلات الحضرية المعاصـرة، في: مقالات في الفنون الاسـلامية، (الاردن، معهد الفنون الاسلامية ومؤسسة آل البيت للفكرالاسلامي، د. ت).

- ابن السيد البطليوسي - الاقتضاب في شـرح أدب الكتاب، تحقيق مصطفـى السـقا والدكتور حامـد عبدالحميد، ط٢، دار الشـؤون الثقافية العامة، بغداد

- السـيوطي (جلال الدين، ت): تـاريخ الخلفاء، تحقيق محمد

محي الدين عبدالحميد، ط٣، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٩٦٤.

- شاكر حسن آل سعيد: الأصول الحضارية والجمالية للخط العربي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨).

- شعبان بن محمد الآثاري: العناية الربانية في الطريقة الشعبانية، تحقيق هلال ناجي، المورد (مجلة. بغداد) مج / ٨، ع / ٢، صيف ١٩٧٩، ص ٢٧٦.

- ابن شيت القرشي (عبد الرحيم بن علي، ت ٦٢٥ هـ /١٢٢٧): معالم الكتابة ومغانم الاصابة، تـ: محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨) ط ١.

- صفوان التل (الدكتور): تطور الحروف العربية على آثار القرن الهجري الأول الإسلامية، (عمان، ١٩٨٠).

- صلاح الدين المنجد (الدكتور): دراسات في تاريخ الخط العربي.. منذ بدايته الى نهاية العصر الأموي، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٩).

- صلاح الدين شيرزاد (الدكتور): واقع الخط العربي في غياب النقد الفني،حروف عربية (مجلة الامارات العربية المتحدة. دبي)،العدد الثاني، كانون الثاني ٢٠٠١.

-........................: الاسلوبية في الخط العربي، حروف عربية، العدد السابع، نيسان ٢٠٠٢.

- الصولي (ابو بكر محمد بن يحيى، ت ٣٣٦ / ٧٤٧م): ادب الكتاب، تـ: محمد بهجة الاثري، (بغداد، المكتبة العربية، د . ت) ط (مصورة، القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٤١هـ) .

- طـاش كوبـري زادة (احمد بن مصطفـى، ت ٩٦٨ هـ/١٥٦٠ م): مفتاح السـعادة ومصباح السيادة، تـ: كامل كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، د. ت).

- الطيبي (محمد بن حسـن، ت ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م): جامع محاسـن كتابـة الكتاب، تـ: الدكتور صلاح الديـن المنجد، (بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٢).

- عاصم محمد رزق (الدكتـور): معجم مصطلحات العمارة والفنون الاسلامية، (القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠)، ط ١ .

- عباس العزاوي: الخط ومشـاهير الخطاطـين في الوطن العربي، سومر، ج١ و ٢، مج ١٩٨٢/٣٨.

- عباس العزاوي: الخط العربي في إيران، سومر (مجلة علمية تبحث في آثار العراق وتاريخه، وزارة الإعلام، بغداد)، الجزء الأول والثاني، المجلد الخامس والعشرون، ١٩٦٩.

- عبد الرحمن الصائغ (عبد الرحمن بن يوسف، ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م): تحفـة اولي الالباب في صناعة الخط والكتاب، تـ: هلال ناجي، (تونس، دار ابو سلامة، ١٩٨٤) ط ٤.

- عبد الرحيم غالب: موسـوعة العمارة الإسـلامية، جروس بيرس، بيروت، ١٩٨٨.

- عبد السلام المسدي (الدكتور): قاموس اللسانيات، (بيروت، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤) .

- عبد العزيز الدالي (الدكتور): الخطاطة، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٨٠).

- عبد العزيز عبد الله محمد (الدكتور): (يوسف ذنون مدرسة الابداع في الخط العربي)، الموصل ١٩٨٦.

- عبد الله البســتاني. الوافي معجم وســيط اللغــة العربية، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٠.

- عبدالواحــد ذنون طه: مجتمع بغداد من خلال حكاية ابو القاســم البغدادي، المورد، ١٩٧٤، مج ٣، ع ٤.

- إبن عبد ربه (أحمد بن محمد، ت ٣٤٩ هـ / ٩٦٠م): العقد الفريد، تحقيــق: احمد امين واحمد الزين وابراهيــم الابياري، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٢).

- عثمــان الكعــاك: الخطاطــة التونســية، المكتبة العربيــة (مجلة. القاهرة)، ١٩٦٥، مج ١، ع ٣.

- عفيف البهنسي (الدكتور): معجم مصطلحات الفنون، (بيروت، دار الرائد العربي، ١٩٨١)، ط ٢.

- علي القاســمي (الدكتور): مقدمة في علــم المصطلح، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٥) ط ١.

- غانم قدوري الحمد: رسم المصحف، (بيروت، مؤسسة المطبوعات العربية، ١٩٨٢)، ط ١.

- الفارابي (ابو نصر محمد بن محمد، ت ٣٣٩هـ / ١٠٠٤م): احصاء العلــوم، تـ: الدكتورعثمــان امين، (القاهرة، مكتبــة الانكلو المصرية، ١٩٦٨)، ط ٣.

- ابن الفوطي: مجمع الآداب في في معجم الالقاب، تحقيق مصطفى جواد، دمشق ١٩٦٧، ترجمة

- القاموس الجديد، (تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩) ط١.

- ابن قتيبة الدينوري (عبد الله بن مسلم، ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م): ادب الكتاب، تـ: محمد محيى الدين عبد الحميد، (مصر، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٣)، ط ٤ .

- القرطاجني (ابو الحسن حازم، ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م): منهاج البلغاء وسـراج الادباء، تـ: محمد الحبيب بن الخوجـة، (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨١)، ط ٢.

- القلقشـندي (احمد بن علي، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م): صبح الاعشى في صناعة الانشا، تـ: محمد حسين شمس الدين (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٥) ط١ .

- إبن كثير (عماد الدين إسـماعيل بن عمر الدمشقي، ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م): فضـائل القـرآن، (المنار ١٣٤٨ هـ).

- مأمـون لطفي الصقال: مبادىء الخط الكوفـي التربيعي، حروف عربية (مجلة فصلية تعنى بشـؤون الخط العربـي. دبي)، ٢٠٠٤، ع ١٣، س ٤.

- المؤدب الضرير البغدادي: كتاب الكتاب وصفة الدواة وتصريفها، تـ: هلال ناجي، المورد، ١٩٧٣، مج ٢، ع ٢ .

- الماوردي (ابو الحسـن علي بن حبيب الماوردي البصري، ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م): ادب الدنيا والدين، تـ: مصطفى السـقا، (بغداد، مطبعة اوفسيت الميناء،، د. ت) .

- مجهول: رسـالة في الكتابة المنسـوبة، تـ: الدكتـور خليل محمود عساكر، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٥، مج ٧، ج ١.

- محمد ابراهيم مؤنس: الميزان المألوف في وضع الكلمات والحروف، (مصر، مطبعة المدارس الميرية، ١٣٥٨).

- محمد بن سعيد شريفي: اللوحات الخطية في الفن الاسلامي، (دمشق – بيروت، دار ابن كثير / دار القادري، دمشق / بيروت ١٩٨٨) ط ١.

- محمد بهجة الأثري: تحقيقات وتعليقات على كتاب الخطاط البغدادي علي بن هلال، مطبعة المجمع العلمي الملكي، بغداد ١٩٥٨، ص٦٦-٦٧.

- محمد عبد العزيز مرزوق (الدكتور): المصحف الشريف، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥) ط ١.

- محمد عبد القادر عبد الله: من الخطوط العربية، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠).. محمد الصادق عبد اللطيف: دخول المصحف الشريف لإفريقيا، بحث مقدم إلى مهرجان بغداد العالمي الثاني للخط العربي والزخرفة الإسلامية (١٩٩٣)، ص ٤.

- محمد طاهر الكردي: تاريخ الخط العربي وآدابه، ط١، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون، الرياض ١٩٨٢، ص١٠٤.

- ابن محمد الكاتب (حسين بن ياسين،من علماء القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي): لمحة المختطف في صناعة الخط الصلف، تـ: هيا محمد الدوسري، (الكويت، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ١٩٩٢)، ط ١.

- محمد المنوني: العلوم والاداب والفنون على عهد الموحدين، (الرباط، دار المغرب،١٩٧٧).

٤٢ . محمد باقر الحسيني: الخط على العملة الاتابكية، الاقلام

(مجلة فكرية. بغداد)، ١٩٦٦، ج ٨، س ٢.

- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي: حكمة الإشراق إلى كتاب الأفاق، تحقيق عبد السلام هارون نوادر المخطوطات، (٨) المجموعة الخامسة، القاهرة ١٩٥٤، ص ٨٨.

- محمد مؤنس: الميزان المألوف في وضع الكلمات والحروف، مطبعة المدارس الميرية، مصر ١٢٥٨هـ.

- محمود شكر الجبوري: المدرسة البغدادية في الخط العربي، (جزءان)، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١.

- محيي الدين سيرين: صنعتنا الخطية، (دمشق، دار التقدم، ١٩٩٣)، ط ١.

- إبن المدبر (إبراهيم، ت ٢٧٩هـ / ٨٩٣م): الرسالة العذراء، تـ: الدكتور زكي مبارك، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣١).

- مصطفى اوغور درمان: فن الخط، ترجمة: صالح سعداوي صالح، (استانبول، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، ١٩٩٠) ط ١.

- مصطفى جواد (الدكتور): المباحث اللغوية في العراق ومشكلة العربية المعاصرة، (بغداد، مطبعة العاني، ١٩٦٥) ط ٢.

- المعجم العربي الاساسي، (تونس، لاروس، ١٩٨٩).

- معجم علم اللغة، اللسان العربي (مجلة. مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي. الرباط)، ١٩٧٥،، مج ١٥، ج ٢، (عدد خاص بالمعاجم).

- معمر اولكر: فن الخط التركي، (استانبول ١٩٧٦).

- المقريــزي (تقي الدين احمد بن علــى، ت ٨٢١هـ /١٤١٨م): كتاب المواعــظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، مكتبة المثنى، بغداد، د . ت، ٢٦٣/٢ .

- ابن منظور (ابوالفضل محمد بن مكرم، ت ٧١١هـ / ١٣١١م): لسان العرب، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٥).

- الموسوعة الاسلامية (بالتركية)، (استنبول ١٩٨٩).

- ميشــال زكريا (الدكتور): الالسنية – علم اللغة الحديث، (بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٣)، ط ١ .

- ناجــي زين الديــن المصرف: بدائع الخط العربــي، (بغداد، وزارة الاعلام، بغداد ١٩٧٢)، ط ١ .

- ....: مصــور الخــط العربي،(بغداد، مكتبة النهضة، ١٩٧٤)، ط ٢ .

- ناصــر الدين أســد (الدكتور): مصادر الشــعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، (مصر، دار المعارف، ١٩٨٢)، ط ٦ .

- ابن النديم (محمد بن اســحق، ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م): الفهرســت، تـ رضا – تجـدد، (طهران ١٩٧١)

- نصــار محمــد منصور: الإجازة في فن الخــط العربي، مجدلاوي للنشر، عمان، ٢٠٠٠ .

- نوري حمودي القيســي: مدرســة الخط العراقية من ابن مقلة إلى هاشم البغدادي، المورد، مج ١٥، ع١٩٨٦/٤ .

- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ن ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون العرب، تحقيق أحمد الزين، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، دت)، ٧ / ٣.

- الهروي (مير علي، ت٩٥١هـ/١٥٤٤م): مداد الخطوط (مخطوط). عرض الدكتور حسين علي محفوظ: الخط العربي في المكتبة الشرقية، المورد، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، مج٢٩، ع١.

- ابوهلال العسكري (ت ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م): ديوان المعاني، ت: الدكتوركرنكو، (بغداد، مكتبة النهضة، د ز ت) ط (مصورة عن نشرة مكتبة القدسي - القاهرة ١٣٥٢هـ).

-...: الاوائل، (بيروت، دارالكتب العلمية، ١٩٨٧) ط١.

-.....................: الفروق اللغوية، حققه حسام الدين القدسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت، ص ٢٤٠.

- هلال ناجي: ابن مقلة خطاطاً واديباً وانساناً، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١)، ط ١ .

- هوداس: محاولة في الخط المغربي، ترجمة: عبد المجيد التركي، حوليات الجامعة التونسية (مجلة)، ١٩٦٣، ع ٣، ١٩٦٣.

- الهيتي (عبد بن علي، ت ٨٩١ هـ / ١٤٨٦ م): العمدة، ت: هلال ناجي، (بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٧٠)، ط ١.

- ابن وهب الكاتب (ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم، ت ٣٣٥ هـ / ٩٤٦ م): البرهان في وجوه البيان، ت: الدكتوراحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي، (بغداد، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٧) ط١.

- وليد الاعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين، (بغداد، دارالشؤون الثقافية، ١٩٨٩) ط ١،ج١.

-..............: المدرسة البغدادية ودورها في تطوير الخط العربي، دراسات عربية وإسلامية، س١، ع١/١٩٨٢.

- يحيى عبابنة (الدكتور): التطور السيميائي لصور الحروف العربية، (عمان، جامعة مؤتة / عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، ٢٠٠٠).

- يوسف احمد: الخط الكوفي، (القاهرة ١٩٣٣).

- يوسف ذنون: قديم وجديد في اصل الخط العربي وتطوره في عصوره المختلفة، المورد، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع.

-..............: كتابات المساجد عبر العصور، من اوراق ندوة الاسبوع المعماري الثامن لنقابة المهندسين الاردنيين / المسجد، (عمان، ١٩٩٥).

-..............: فلسطين موطن ولادة فن الخط العربي، المجلة العربية للثقافة (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تونس)، ع ١، آذار ١٩٨٢.

-..............: منظور نشأة وتطور الخط العربي، حروف عربية (مجلة فصلية تعنى بشؤون الخط العربي. دبي)،٢٠٠١، ع ٣، س ١.

-..............: قراءة جديدة في أصل الكتابة العربية.. المسند والكتابة العربية المبكرة، آفاق عربية (مجلة فكرية محكمة. بغداد)، ع ١١ ١٢+، س ٢٤ / ١٩٩٨،

-..................: الخط العربي، العربي (مجلة. الكويت)، ع /

١٦١ - نيسان ١٩٧٢.

-..................: نظــرات في مصور الخط العربي، مجلة المجمع العلمي العراقي - بغداد، مج / ٢٥ - ١٩٧٤، ص ٢٧٤.

-..................: خلاصة تجريــة وملتقى ذكريات، حروف عربية (مجلــة تعنى بشــؤون الخط العربــي. دبي)، العدد الثالث، الســنة الأولى، نيسان ٢٠٠١، ص٢٩.

- يوسف محمود غلام (الدكتور): الفن في الخط العربي، (الرياض، ١٩٨٢).

- Ibnulemin Mahmud Kemal: Son Hattatlar, Istanbul ١٩٥٥

D. S. Rice: The Unque Ibn Al – Bawwab Manuscript in the Chester Beatty

Dublin ١٩٥٥,p ٢٤

Eric Schroeder: What was the Badi script ? ARS ISLAMICA, .Uni. Of Michigan, New York, ١٩٦٨, Vol.٤, pp. ٢٣٢ – ٢٤٨

M. Uger derman: Turk Yazi San,atinda icazetnamelar ve teklid .(yazilar (Ankara, ١٩٧٠

Mahmud Bedreddin yazir: Kalem Guzeli, Z. Baski, Ankara ١٩٩١

.Sevket Rado: TURK HATTATLARI, Istanbul ١٩٨٤

Schimmel (Anne Marie): Calligraphy & Islamic Culture, (London ١٩٠٠)

الأشكال

شكل رقم (١): أ . أوصاف الخطوط الهندسية lines المكونة لأشكال الحروف الخطية العربية.

ب . محاكاة أشكال الحروف لأوضاع الإنسان في السكون والحركة.

شكل رقم (٢): أسماء وأوصاف أشكال الحروف الخطية وصورها المتنوعة.

شكل رقم (٣): صفحتان من مرقعة (الأقلام الستة).

شكل رقم (٤): لوحة جامعة لخمسة عشر من أنواع الخط العربي.

شكل رقم (٥): القطعة: إحدى أنواع العمل الفني في الخط العربي (النص الخطي).

شكل رقم (٦ أ - ب): بعض من أدوات الخط وآلات الخطاطين.

شكل رقم (٧): أنموذج للخط الكوفي، كتبه محمد عبد القادر.

شكل رقم (٨): الخط العربي (الكوفي + المغربي) حسب إبن وحشية.

شكل رقم (٩): صورة لإحدى نسخ (المصحف الإمام).

شكل رقم (١٠): خط الطومار.

شكل رقم (١١): صفحتان من مصحف بخط ياقوت المستعصمي.

شكل رقم (١٢): يعـد (المـعقـلي / الكتـابـة بالطـوب على العـمـائر) بـداية المصـطلح الـفنـي فـي الخط الكوفي.

شكل رقم (١٣): الكوفي البسيط / مشق المصاحف الأولى.

شكل رقم (١٤): الكوفـي المزخرف (المفرغ من المهاد الزخـرفي + المهاد الزخـرفي).

شكل رقم (١٥): الضفر في الخط الكوفي / المضفور.

شكل رقم (١٦): الكوفي المربع.

شكل رقم (١٧): (البديع) إسم أطلقه البعض على الكوفي المشرقي.

شكل رقم (١٨): الكوفي القيرواني.

شكل رقم (١٩): صفحتان من مصحف (الحاضنـة).

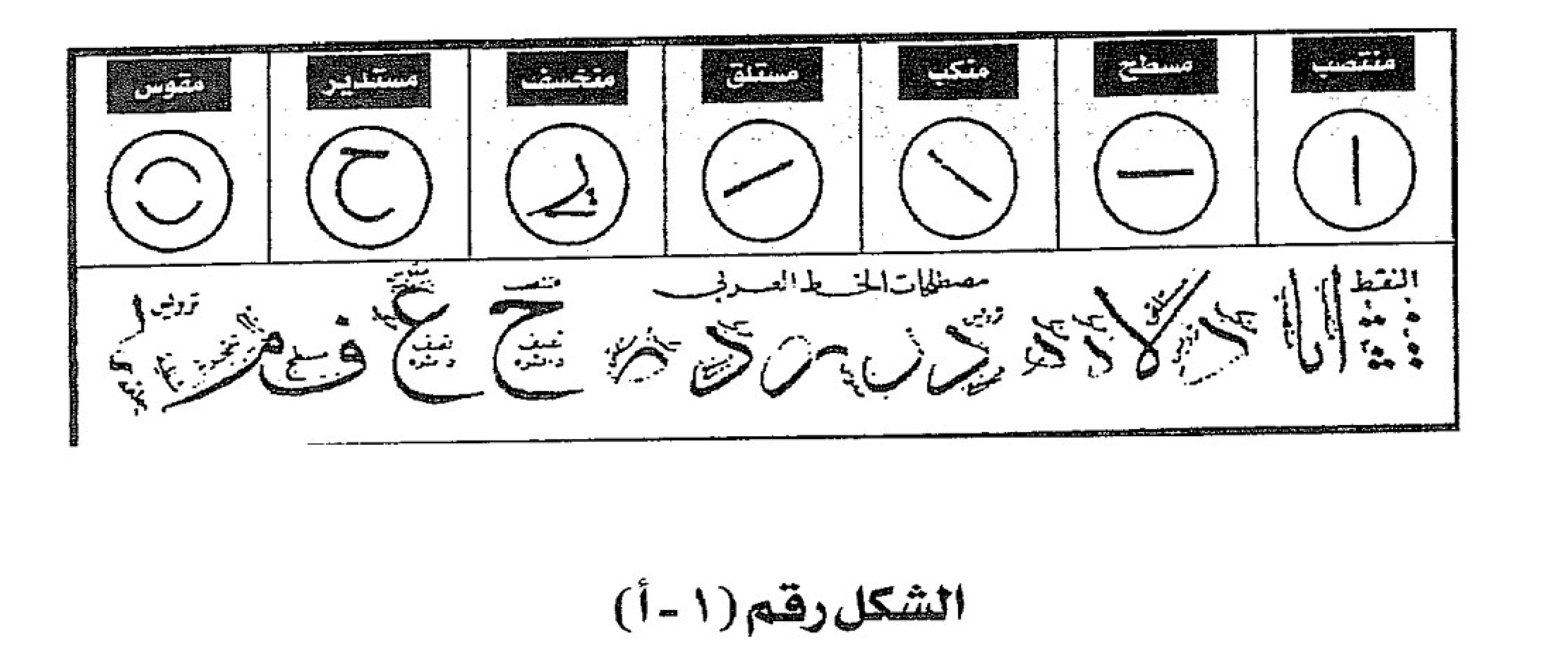
شكل رقم (٢٠): خط النسـخ.

شكل رقم (٢١): دائرة الألف أساس التناسب في فن الخط العربي.

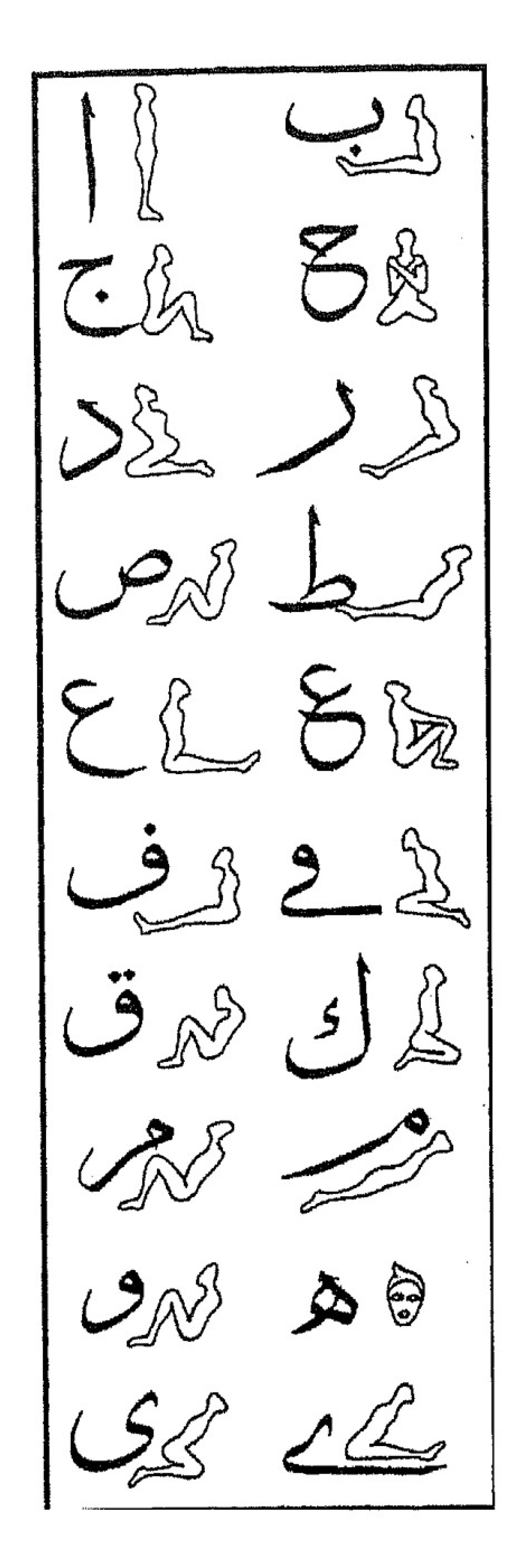
شكل رقم (٢٢): خـط عبـدالله الصيـرفـي أحـد تلامـذة ياقوت المستعصمي.

شكل رقم (٢٣): التوقيع (الإمضـاء الفني) علامة الأهلية (الإجازة) عند الخطاطين.

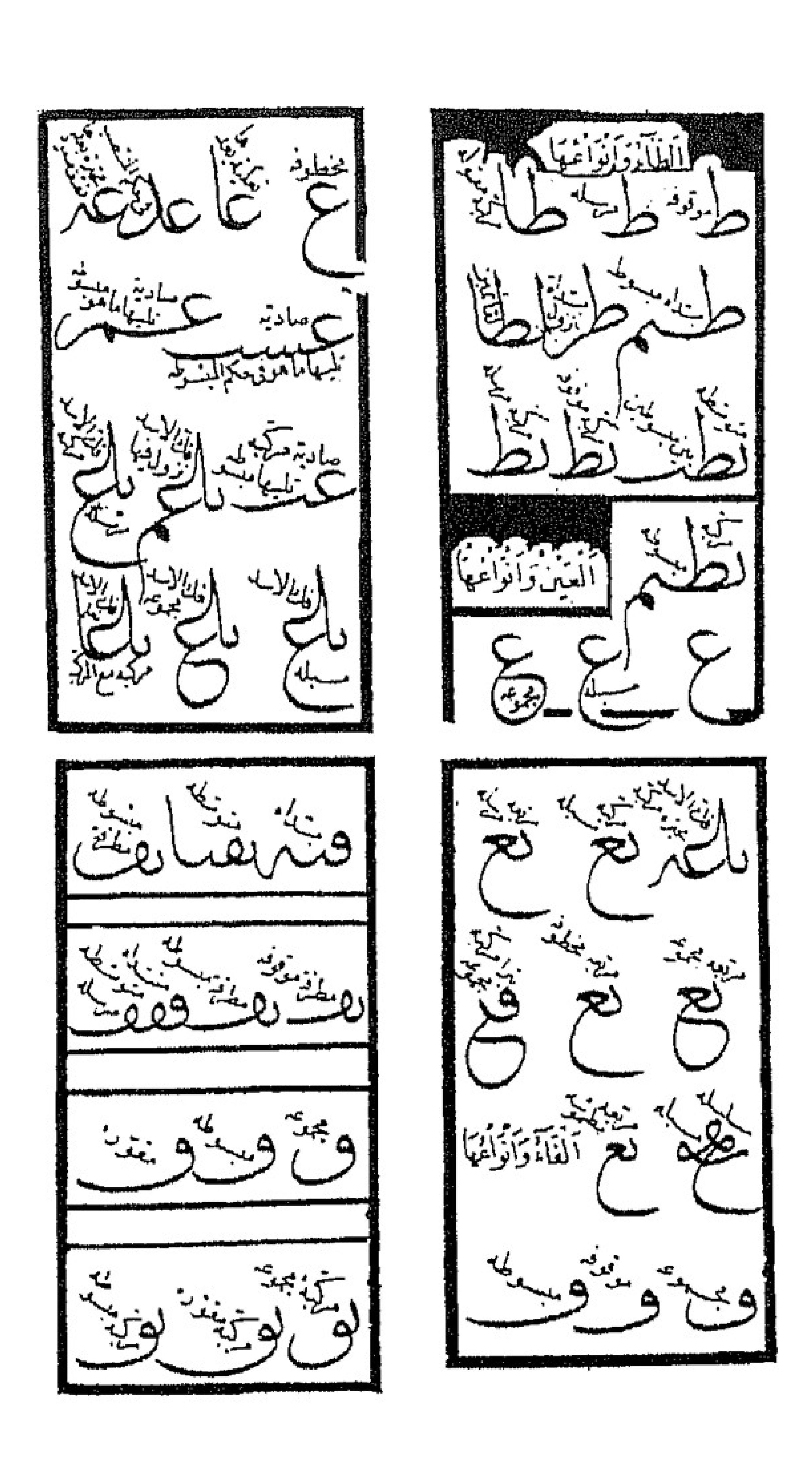
شكل رقم (٢٤): يعـد خـط التـعـليـق الـعـلامـة


منتصب
مسطح
متكب
مستلق
منخسف
مستدير
مقوس
مصطلحات الخط العربي

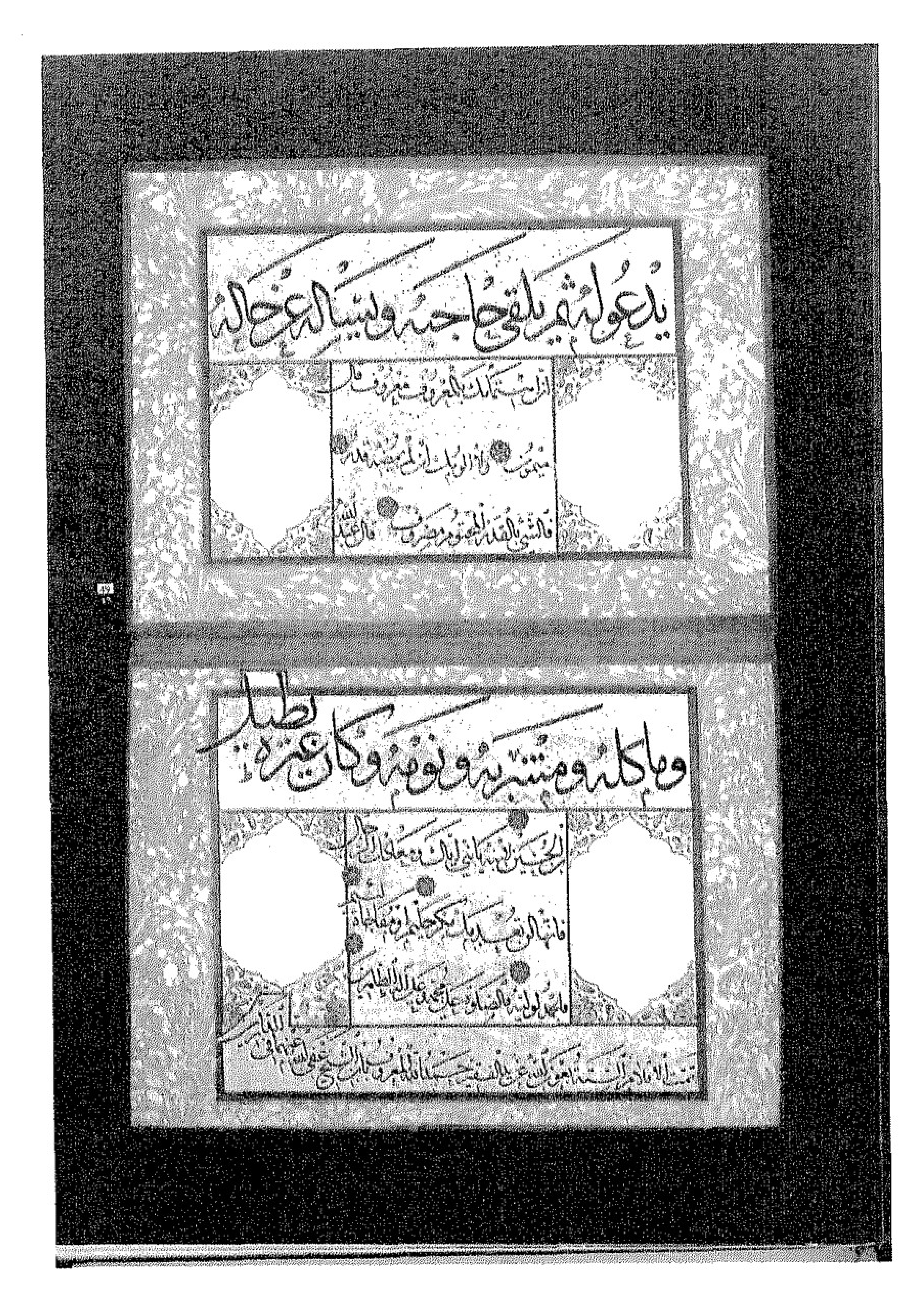
الشكل رقم (١ - أ)



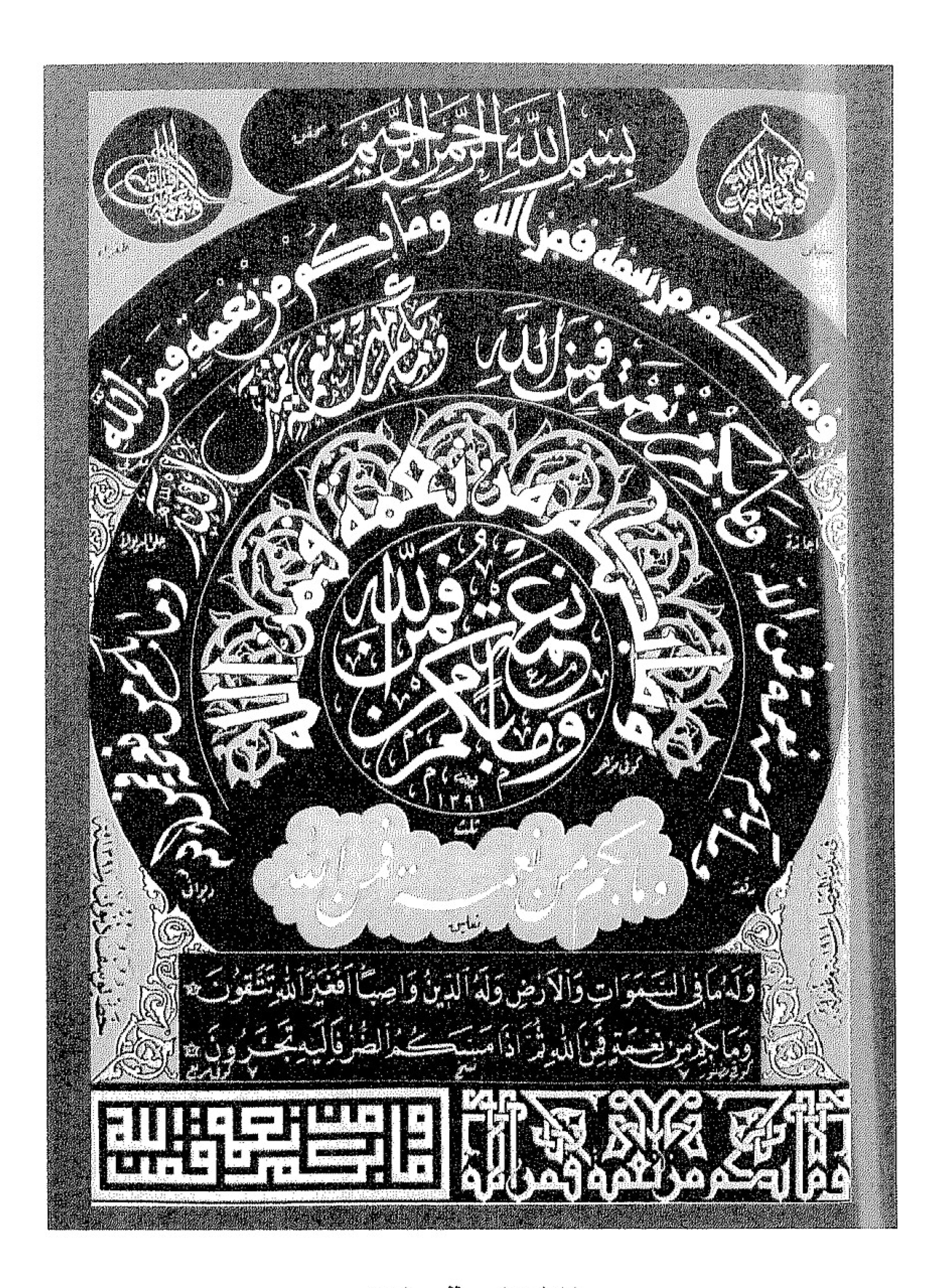
الشكل رقم (١ - ب)



الشكل رقم (٢)



الشكل رقم (٣)

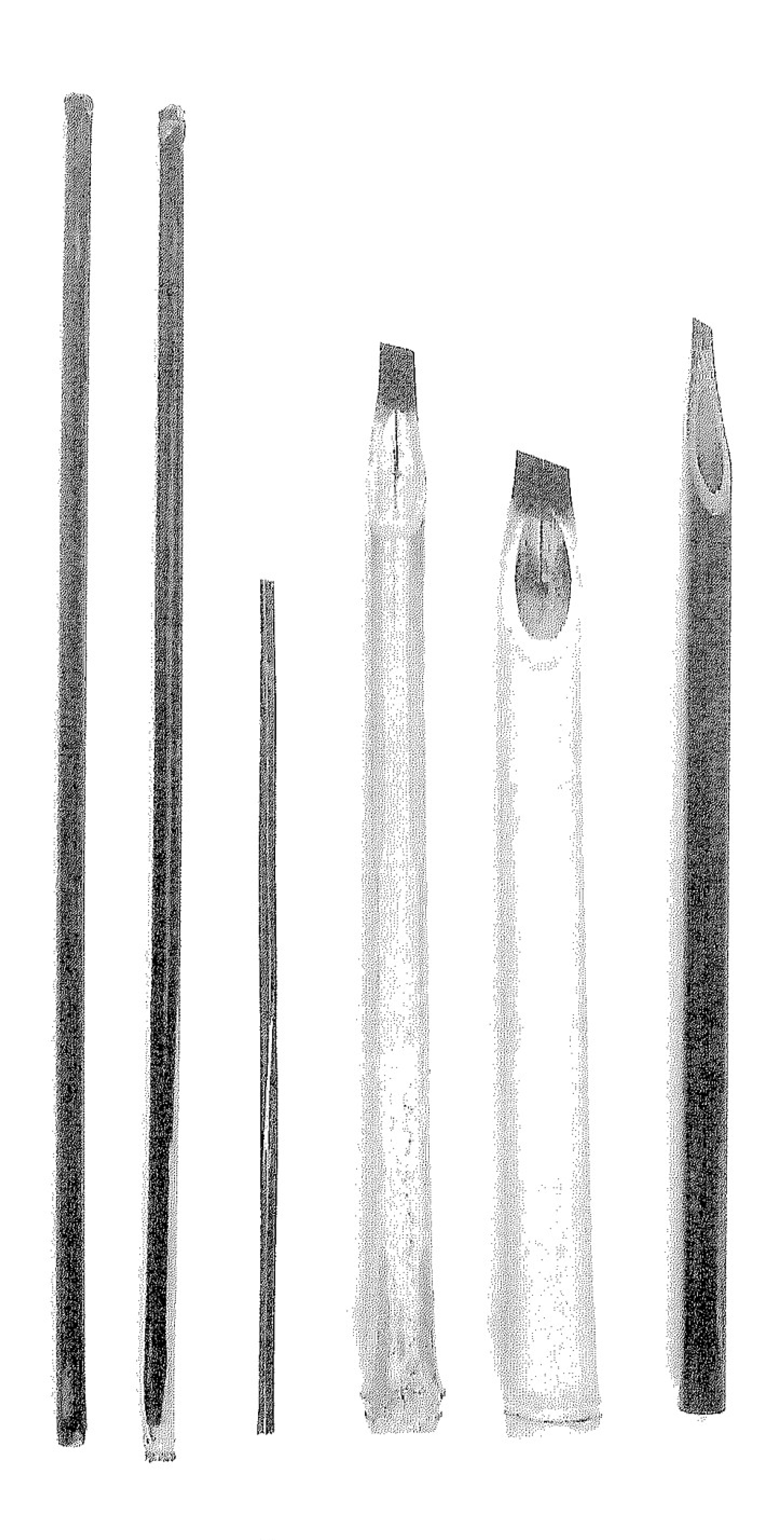


بسم الله الرحمن الرحيم
وله ما في السموات والأرض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون
وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون

الشكل رقم (٤)

الشكل رقم (٥)

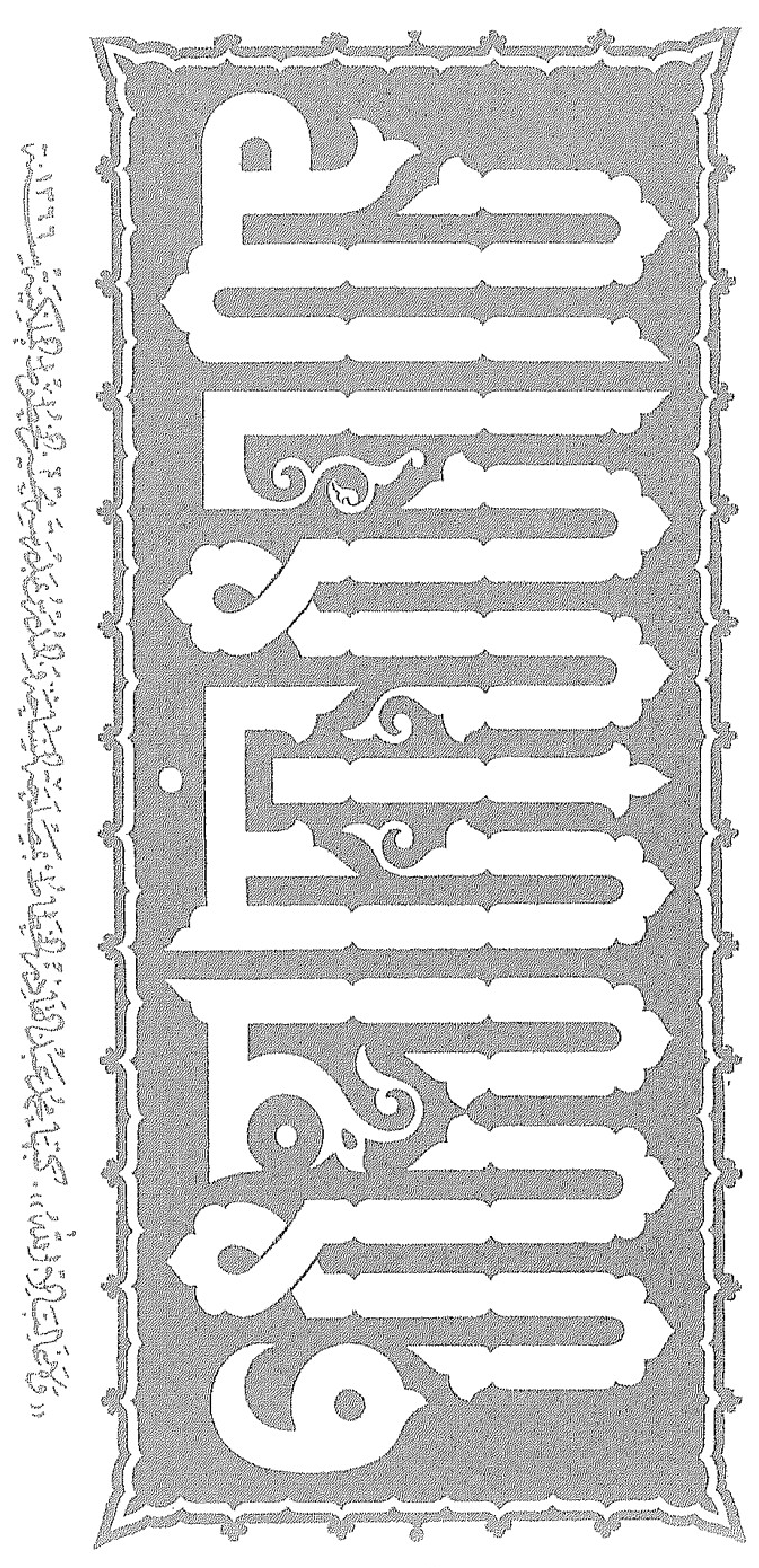




الشكل رقم (٦-أ)

الشكل رقم (٦ - ب)





الشكل رقم (٧)

الباب الاول في معرفة الاقلام الثلثة اي الكوفي
والمغربي والهندي الفصل الاول من الباب الاول في
معرفة القلم الكوفي الكوفي الذي وضعه سيدنا اسمعيل
وهو اول من تكلم بالعربية وكتب وقد تنوع وصار تسعة
انواع والاصل فيها المسمى بالتوري وهذه صورة القلم
الكوفي المسمى بالتوري كما تراه

ا ب ج د ه و ز ح ط ي

ك ل م ن س ع ف

ص ق ر ش ت ث

الفصل الثاني

خ ذ ض ظ غ

من الباب الاول في معرفة القلم المغربي وهو الاندلسي
كما ترى صورته هكذا ا . ب . ت . ث . ج .

ا ب ت ث ج

ح خ د ذ ر ز ط ظ

الشكل رقم (٨)

الشكل رقم (٩)



قال النبي صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه

ببسم الله فهو أبتر أي مقطوع

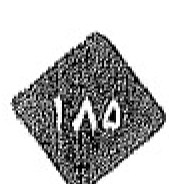
بسم الله

الشكل رقم (١٠)

الشكل رقم (١١)



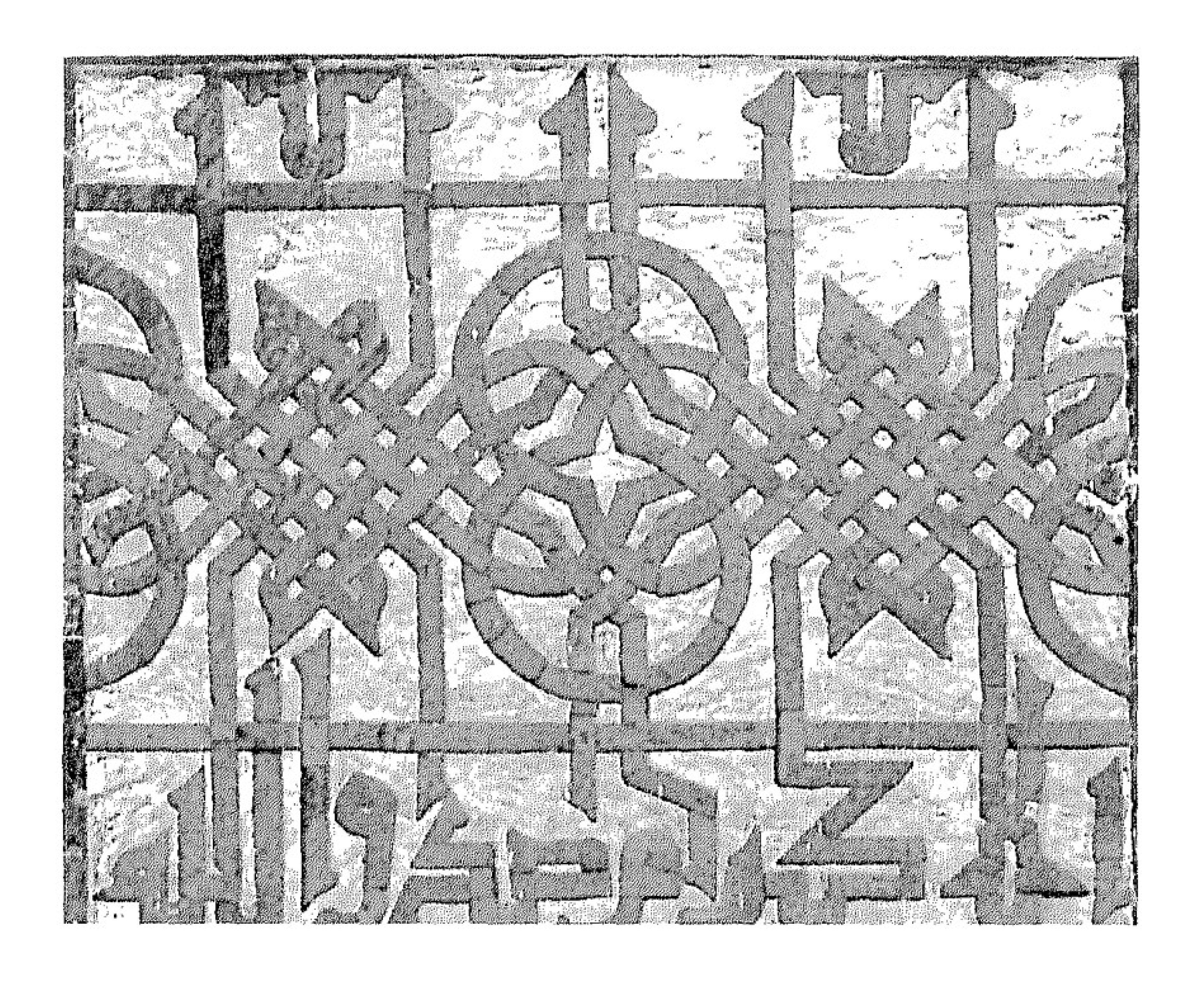
الشكل رقم (١٢)



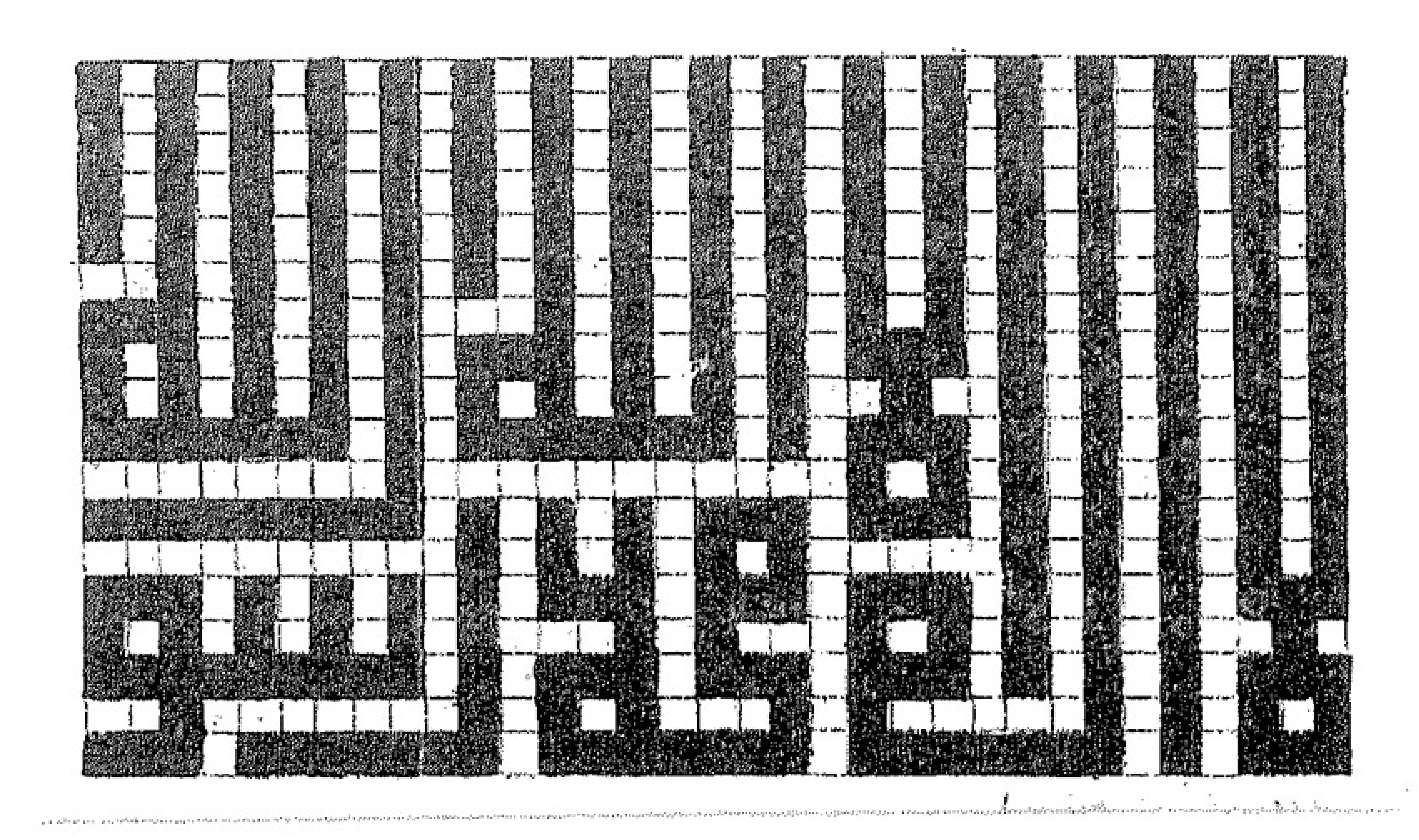
الشكل رقم (١٣)

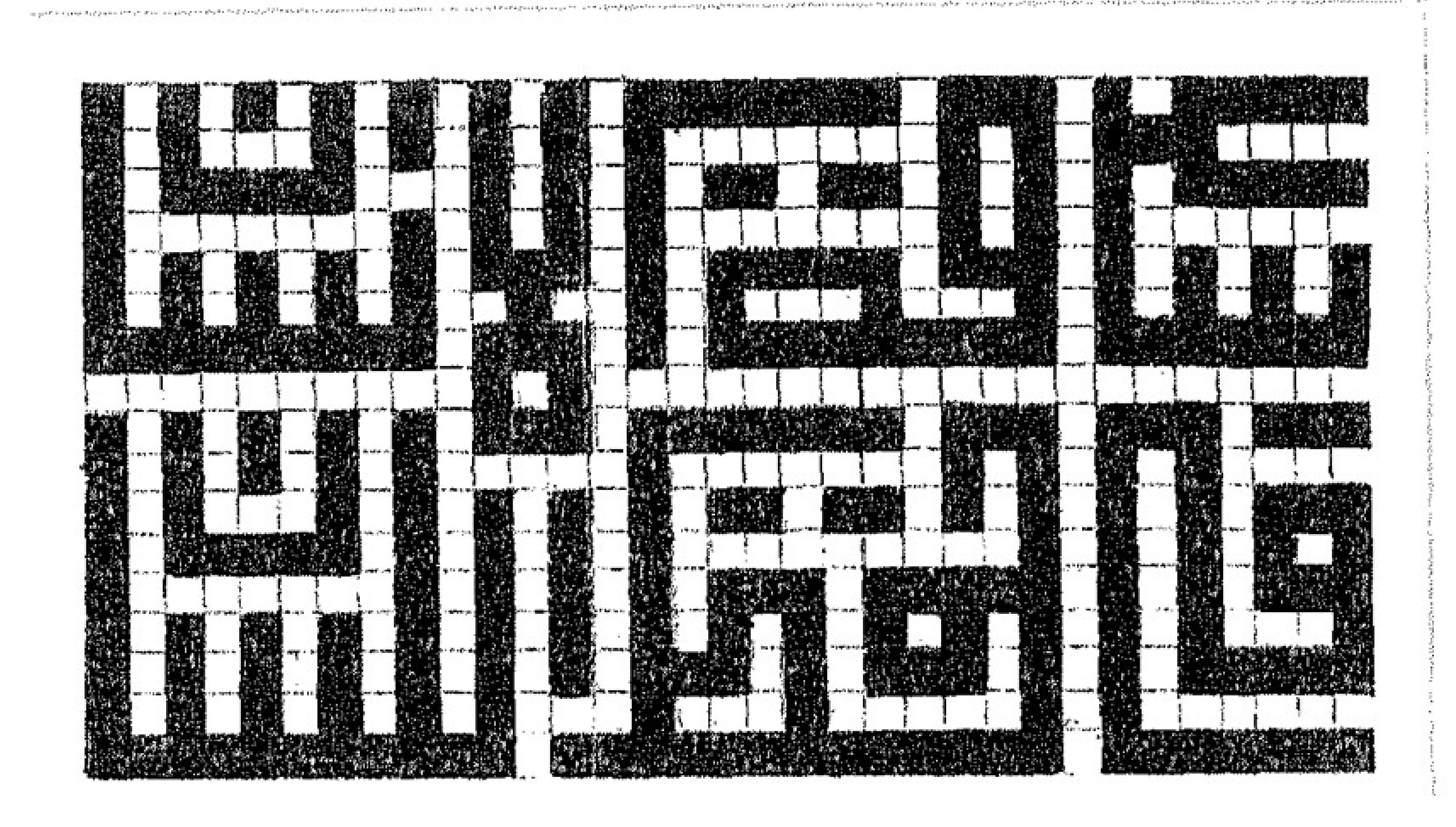
الشكل رقم (١٤)





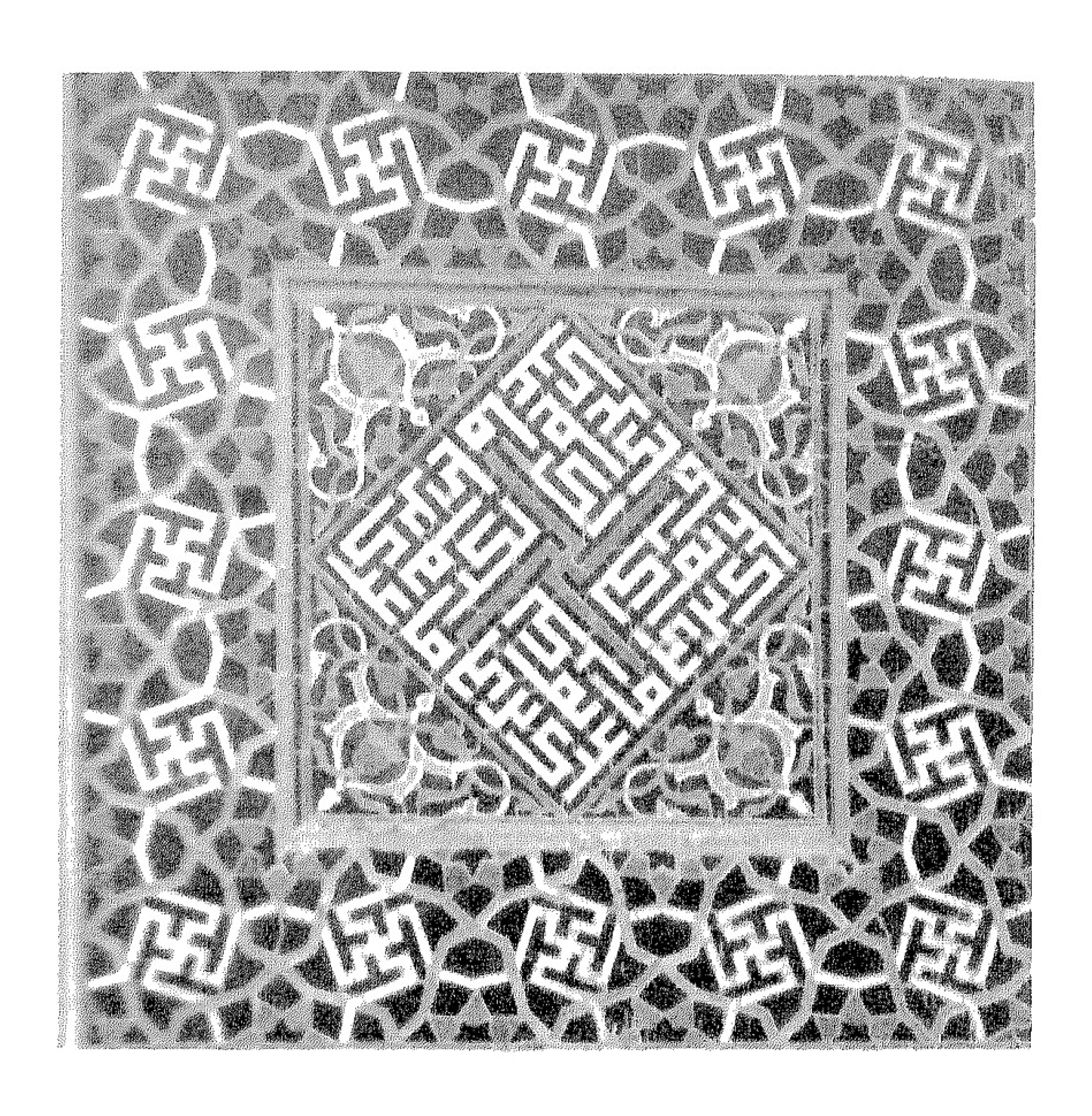
الشكل رقم (١٥)





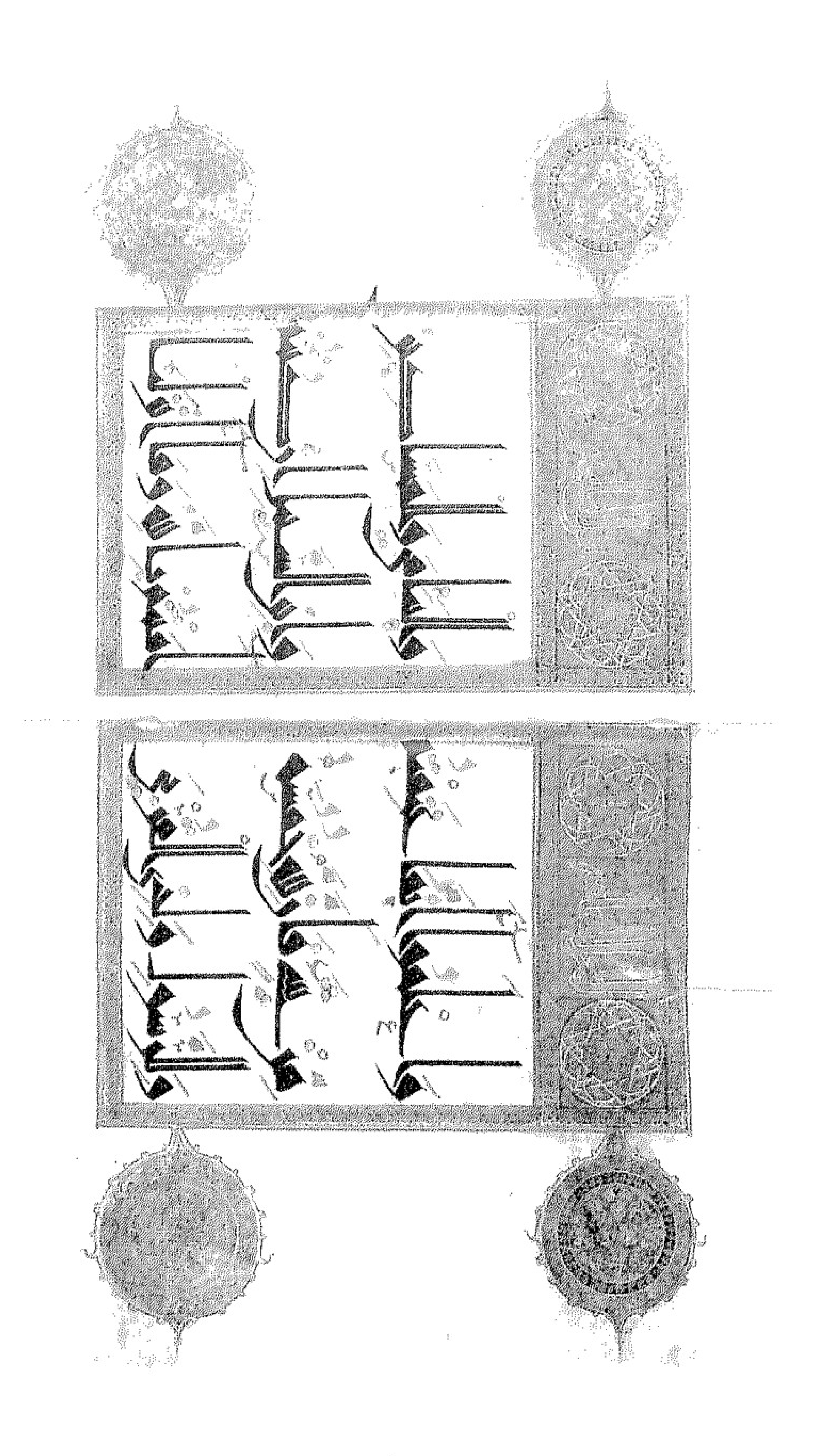
الشكل رقم (١٦ - أ)



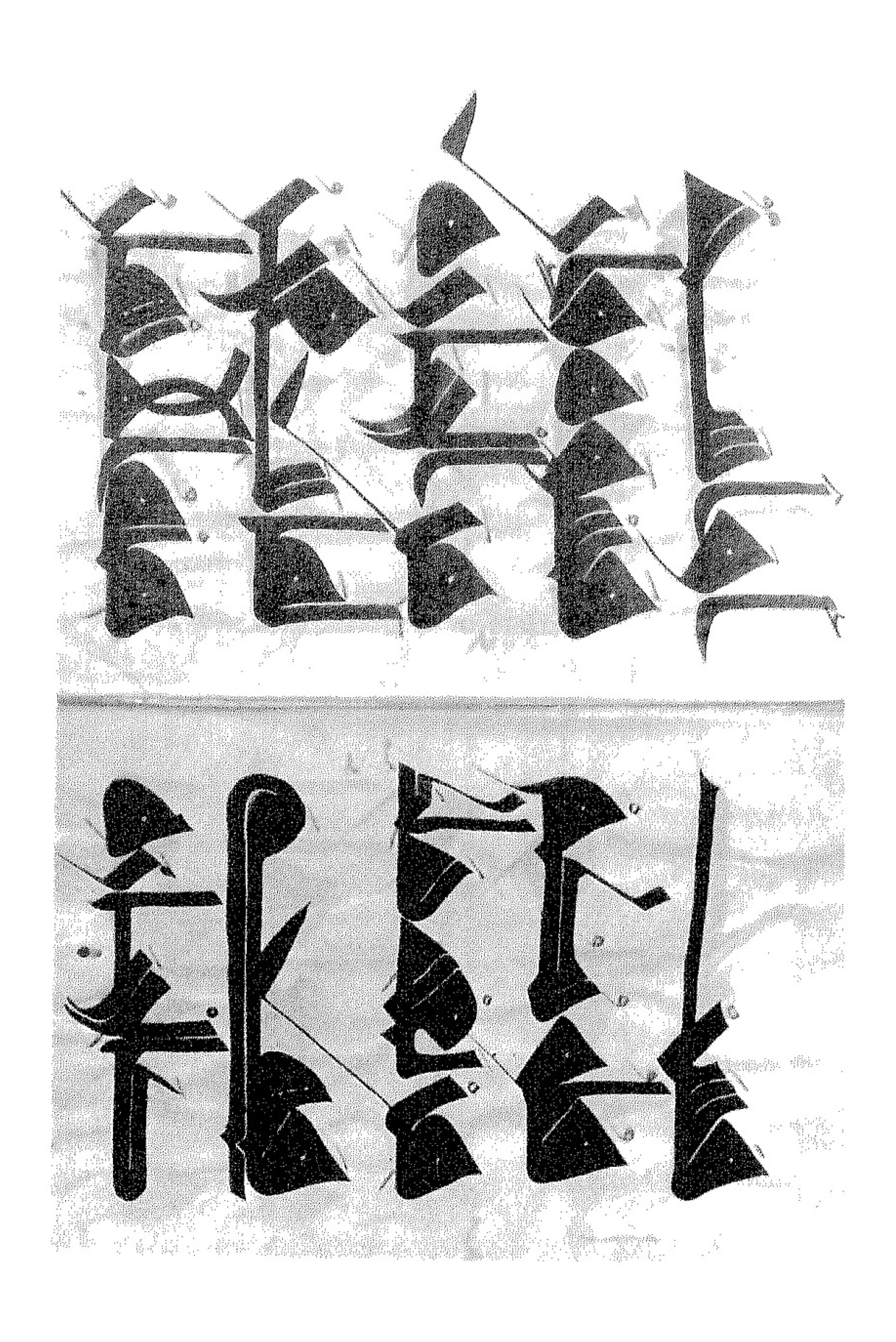


الشكل رقم (١٦ - ب)

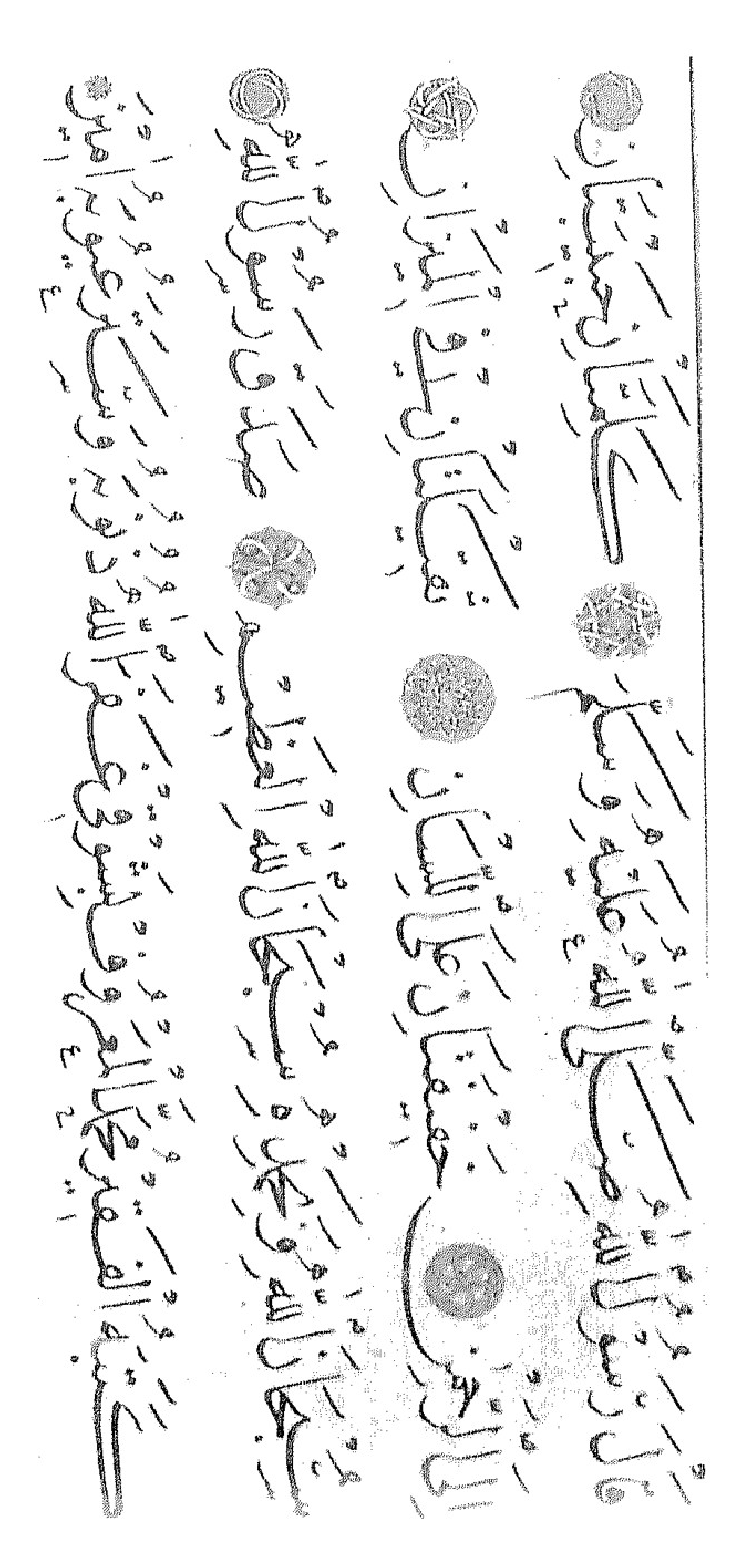
الشكل رقم (١٧)



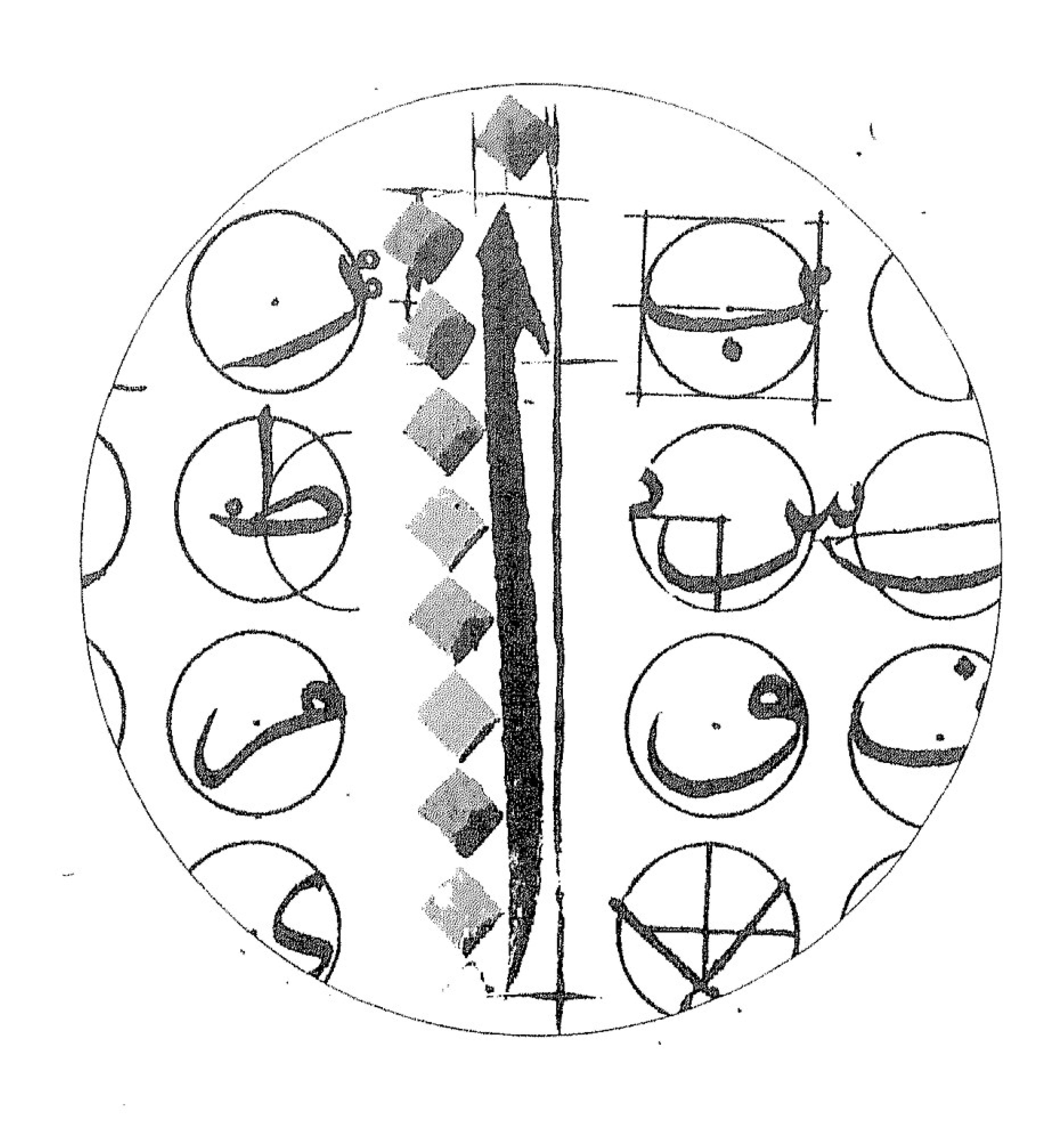
الشكل رقم (١٨)



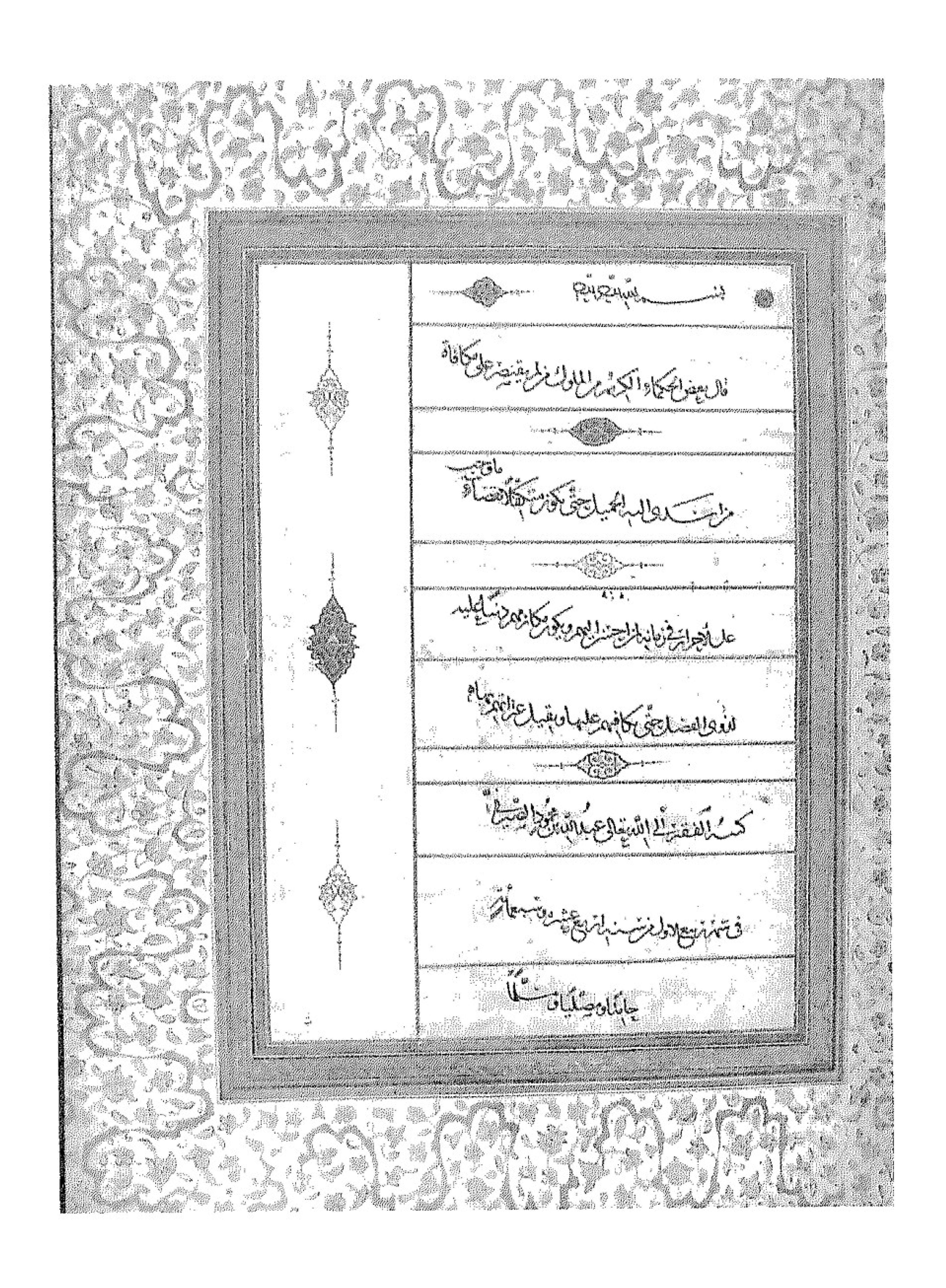
الشكل رقم (١٩)



الشكل رقم (٢٠)



الشكل رقم (٢١)



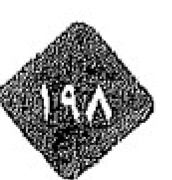
الشكل رقم (٢٢)

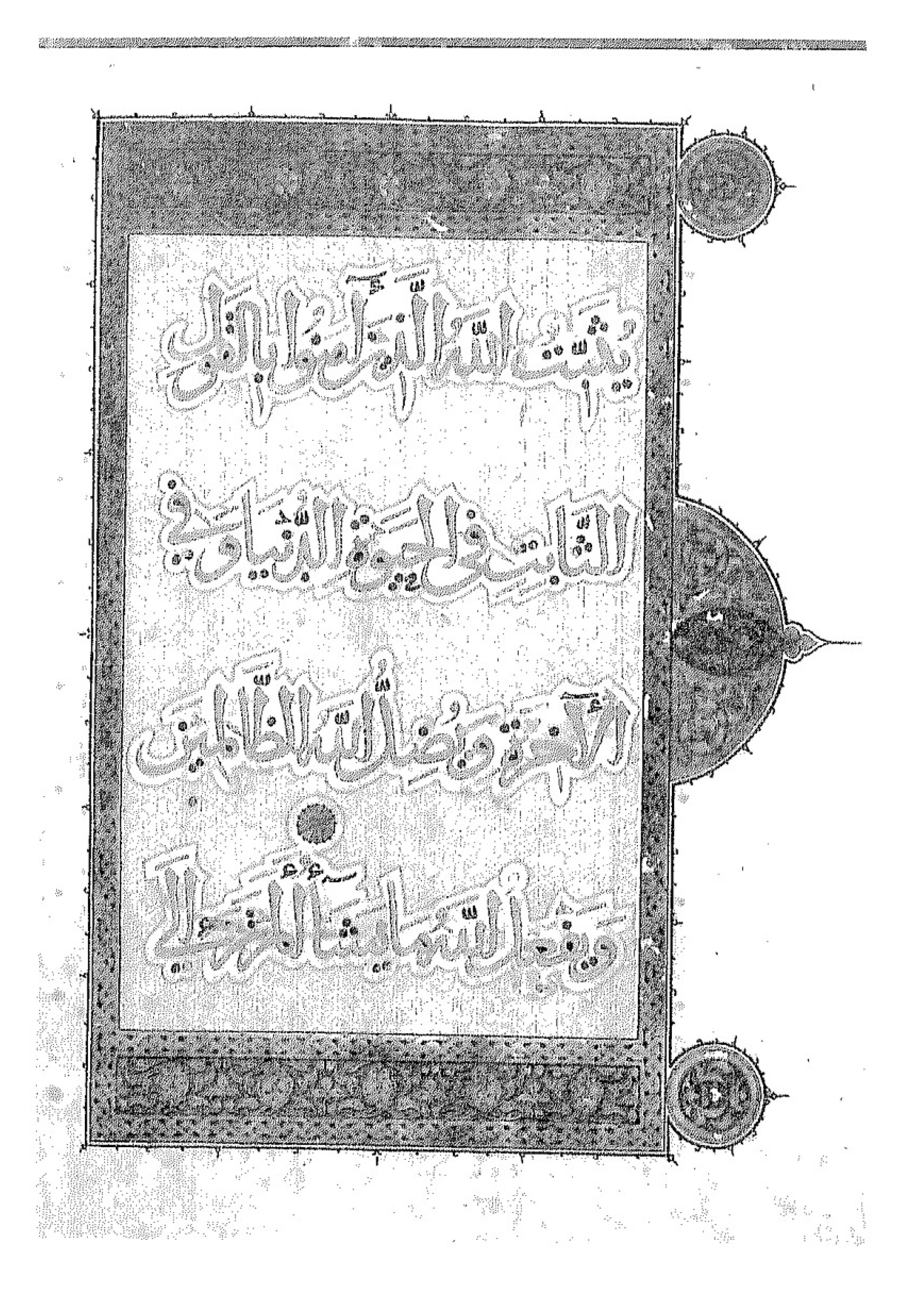
الشكل رقم (٢٣)



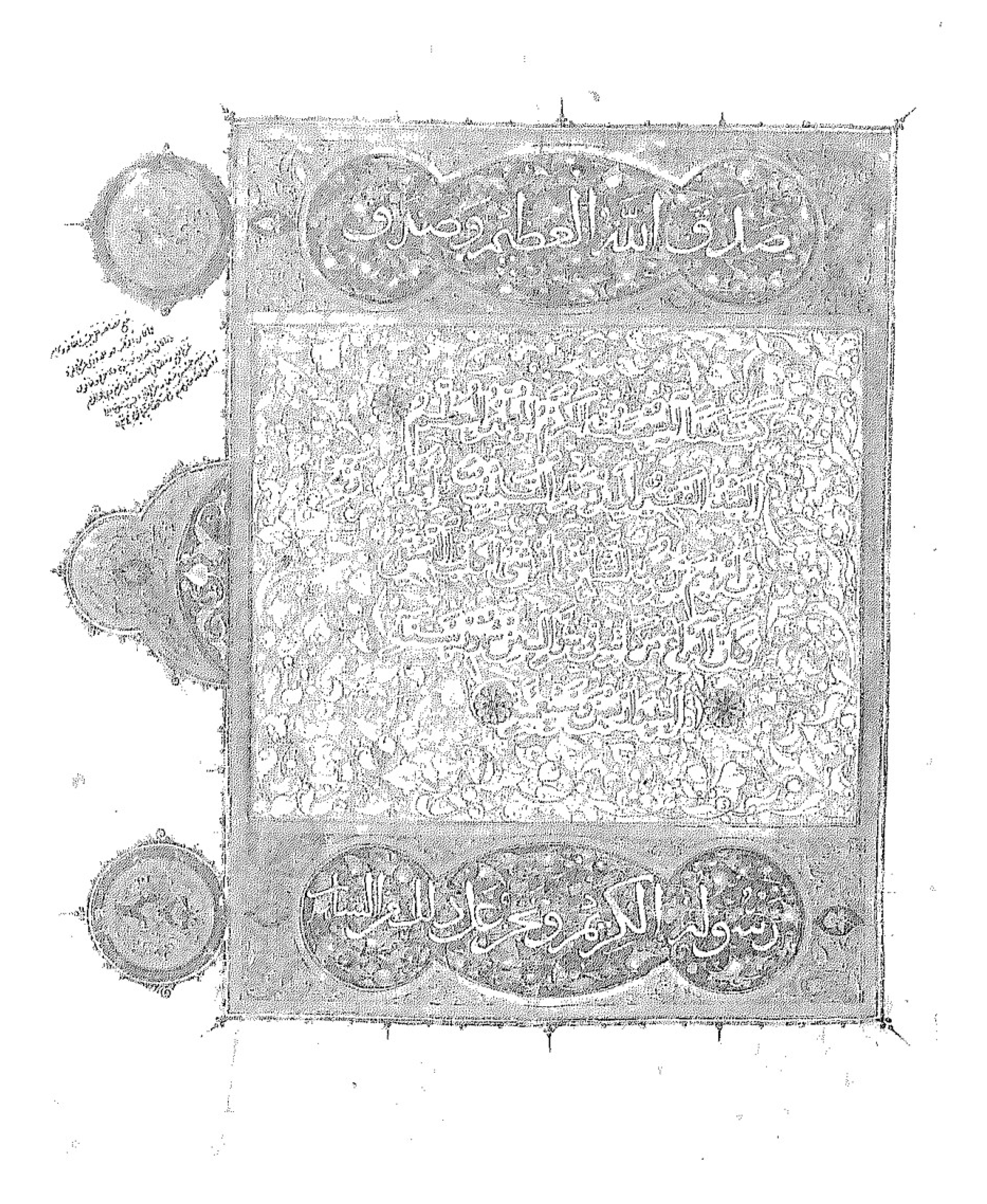
بلغ العلى بكماله
كشف الدجى بجماله
حسنت جميع خصاله
صلوا عليه وآله

الشكل رقم (٢٤)




يثبت الله الذين آمنوا بالقول
الثابت في الحيوة الدنيا وفي
الآخرة ويضل الله الظالمين
ويفعل الله ما يشاء

الشكل رقم (٢٥)



الشكل رقم (٢٦)


وأورثنها بني إسرائيل فأتبعوهم
مشرقين فلما تراء الجمعان قال
أصحب موسى إنا لمدركون
قال كلا إن معي ربي سيهدين
فأوحينا إلى موسى أن اضرب
بعصاك البحر فانفلق فكان
كل فرق كالطود العظيم

الشكل رقم (٢٧)

اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم

الشكل رقم (٢٨)

نهر متعدد.. متجدد

هذا الكتاب

وإذا كانت هذه العلوم الخطية العربية قد تمثلت، بحسب بعض هؤلاء المصنفين، في علم أدوات كتابة الخط، و علم قوانين كتابة الخط، وعلم تحسين أشكال الحروف ، وعلم كيفية توليد الخطوط عن أصولها ، وعلم تركيب إملاء الخط العربي، وعلم خط المصحف، وعلم خط العروض، وعلم آداب كتابة خط المصحف، وعلم رسم خط المصحف، وعلم معرفة مرسوم الخط، وعلم تركيب مداد الخط، وغيرها.. فإن ما تجب الإشارة إليه هنا، وبالضرورة العلمية والمنهجية، هو أن المعرفة العربية الإسلامية قد عنيت أيضا، وبشكل خاص ومميز، بدراسة (الخط العربي) دراسة جمالية فنية تنطلق من (حقيقة الخط) الممثلة في كونه صورة أو شكلا، وتهدف إلى تأسيس ما وصفه بعض هؤلاء المصنفين المعرفيين أنفسهم بـ «علم تحسينه، وتحريره، وتزيينه».



وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية
إدارة الثقافة الإسلامية